

جاسم عبد الرحمن

المكتب المصرى الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(الآية ١٦٢ من سورة الأنعام)

جميع حقوق الطبع والنسخ والنشر محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

لا يجوز إعادة نسخ أو طبع أو نشر هذا الكتاب أو أى جزء منه بأى طريقة كانت ميكانيكية أو إلكترونية أو التصوير أو التسجيل أو البث عن طريق الشبكات الإلكترونية أو غيرها إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة ومقدماً

رقم الايداع

٢٠٠٨/٢٣٠٧٣

الترقيم الدولي ١-١٨٠-٢٠٩-٩٧٧ I.S.B.N

المكتب المصرى الحديث

www.almaktabalmasry.com

القاهرة: ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت: ٢٣٩٣٤١٢٧

الإسكندرية: ٧ شارع نوبار المنشية ت: ٤٨٤٦٦٠٢

جاسم عبد الرحمن

(٨)

في

رياض الجنة

الجزء الثامن

المكتب المصري الحديث
www.almaktabalmasry.com



إهـــداء

إلى المتطلعين إلى الجنة وهم بعد في هذه الدنيا.

إلى الطامحين في أن يكون الإسلام واقعًا يعيشون به ويعيش بهم.

إلى الذين ينسجون حقائق المستقبل من كتاب ربهـــم وســـيرة نبيهم، ومن تراث سلفهم وأحلام يومهم.

نهدي هذه السلسلة (في رياض الجنة)



هذه السلسلة

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَـيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿يَا أَيُّهَا الذين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنتم مُّسْلِمُونَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الذي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الذين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾.

كلنا يشتاق إلى رياض الجنة، ففيها نعيم لا يخطر وصفه علـى البـال، ورياض الجنة متعددة:

روضة بعد النشور:

هناك روضة يدخلها المؤمنون بعد البعث والنشور برحمة ربنا ﷻ جزاء لأعمالهم، فيفوزون فيها برؤية رهم، فقد روى أَبو هُرَيْرَة ﷺ أن رسول الله ﷺ أخبره: "..أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نـزلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ، ثُـمَّ يُؤْذَنُ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِن أَيَّامِ الدُّنيَا، فَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ، وَيُبْـرِزُ لَهُـمْ عَرْشَهُ، وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِن رِيَاضِ الْجَنَّةِ".[رواه الترمـذي، مـن الحديث ٢٤٧٢].

وروضة قبل النشور:

للصالحين روضات أخرى يتمتعون بها قبل البعث والنشور، إنهـا مِـن

رياض الجنة، لكنها في القبر، فعَن أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِن حُفَرِ النَّارِ** [رواه الترمذي، من الحديث ٢٣٨٤].

وروضة تُشَدُّ إليها الرحال:

وهناك روضة من رياض الجنة يدخلها الحي منا، مكانها محدد ومحدود، قد تكون بعيدة أو قريبة، وقد يتنافس الناس على المكث فيها، إنها الروضة التي بين قبر رسول الله ﷺ ومنبره في المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة، فعَن عبد الله ابن زَيْدٍ الْمَازِنِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قال: "مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنبَرِي روْضَةٌ مِن رِيَاضِ الْجَنَّةِ"[رواه البخاري، الحديث ١١٢٠].

وروضة قريبة المنال:

وكل إنسان مسلم في متناوله رياض قريبة، لقد جعل الله ﷻ كل حلقة يُذكر فيها سبحانه روضة من رياض الجنة، إنها الحلقات التي نتلو فيها الذّكر -والذكر هو القرآن- قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾١، وهي الحلقات التي نتدارس فيها تفسير القرآن، قال الله تعالى:﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾٢، وهي الحلقات التي نطالع فيها كذلك الوحي المُنزل على نبينا محمد ﷺ في السُّنة الشريفة، فعَنِ المِقْدَام بن مَعْدِي كَرِبَ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ"[رواه أبو داود، من الحديث ٣٩٨٨].

١- الآية ٩ من سورة الحجر.

٢- من الآية ٧٩ من سورة آل عمران.

إن حِلَق الذِّكْر رياض قريبة المنال، فهي التي تُطْرَح فيها العلوم والمعارف المرتبطة بذكر الله ﷻ، فعَن أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: "إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا١"، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَـال: "حِلَـقُ الذِّكْرِ"[رواه الترمذي، الحديث ٣٤٣٢].

فاجلسَ بنا نؤمن ساعة:

وفي الروضة نُجَدِّد إيماننا، قَالَ مُعَاذُ بن جَبَلٍ ﷺ لأحد إخوانه يُذَكِّرُه: اجْلِسْ بنا نُؤْمِنْ سَاعَةً٢، فتلقفها ابن رواحة ﷺ وأهداها لأبي الدرداء ﷺ وهو آخذ بيده: تعال نؤمن ساعة، إن القلب أسرع تقلبًا مـن القِـدر إذا استجمعت غليانًا٣

وتيسيرًا للاستفادة من هذه الرياض كان كتابك هذا، نصدره بمشيئة الله في أجزاء، وفي كل جزء تجد بابًا لرياض الجنة وأنت مع النفس، هو الباب الأول، ترتشف منه في بيتك أو مع أهلك وولدك، وبابًا لرياض الجنة وأنت مع الناس، يصاحبك في تعاملاتك وتصرفاتك وحركاتك، وبابًا لريـاض الجنة وأنت مع الله، يعتني أساسًا بغذاء الروح وتقوية الصلة بالله ﷻ.

وقد اخترت من أساليب العرض أسلوبًا أدعو الله ﷻ أن يجده القارئ متميزًا ومفيدًا، ذلك أننا نستعرض موضوعات الرياض من خلال مـا ورد من صحيح السُّنة، ونحرص على إيراد نصوص الأحاديث كما وردت مـع بيان معاني الكلمات، فنحن نريد إعادة توثيق الصلة بين المـسلم المعاصـر

١- ارتعوا: أي: ارتادوها وأكثروا من الذكر فيها وتحصيل الثواب.
٢- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: "بني الإسلام على خمس".
٣- محمد أحمد الراشد، المنطلق، ص٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦.

وبين الثروة التي خلّفها لنا سلفنا الصالح في كتب السُّنة، ونريد أن نـــزيل الاستغراب الذي يصيب المسلم المعاصر إذا ما طالع في ثروته هذه؛ خاصة مَن تعوَّد قراءة الكتب المعاصرة المبسَّطة، فنحن لا نريد أن نَحـــرِمَ المــسلم المعاصر من يُسر أساليب العرض الحديثة، وفي ذات الوقت لا نريد لـــه أن يستغني بكتبنا هذه عن ثروته العريقة.

وأسلوب العرض المختار لا يجعل المسلم فقط يقرأ السيرة -التي طالمـــا قرأها- دون أن يشعر أنه يعيد القراءة، ولا يخاطبه فقط بما تعود عليه مـــن مفردات معاصرة، لكنه أيضًا يعمل كحلقة وصل مع ثروة التراث، وييسر له النقلة إلى المراجع الأصلية الأصيلة إذا أراد، ومن أجل ذلك كان الحرص على بيان معاني الكلمات، وكان الحرص على ذِكْـــر موضـــع الحـــديث الشريف بدقة، وقد اعتمدنا ترقيم العالمية في موسوعة الحديث الشريف التي أصدرتها شركة صخر لبرامج الحاسب.

وفي النهاية يمكن للقارئ أن يحاسب نفسه بنفسه، فيعرف حصيلة عقله ورصيد قلبه وحساب جوارحه، من خلال الاختبار الوارد في نهاية الكتاب.

وليس هذا الاختبار امتحانًا، ولكنه ذو دور تعليمي وتربوي، فأســئلته مهمة لبلورة الأفكار التي طالعها القارئ في كل فصل، وسيجد إجاباتهـــا بعدها ليتأكد من صحة فهمه، ويتمكن من قياس مستوى تحصيله العقلـــي والقلبي والعملي.

والله نسأل أن يتقبل منا هذا العمل، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين والمسلمات، وأن يغفر لنا كل تقصير.

جاسم عبد الرحمن الخواتمي

مقدمة الجزء الثامن

الحمد لله ﷻ الذي بنعمته تتم الصالحات، ها نحن نعاود الالتقاء في رياض الجنة، بين يديك الآن الطبعة الأولى من الجزء الثامن من هذه السلسلة، وهي تسير على نسق الطبعات الحديثة من الأجزاء الأولى (الطبعة الثالثة من الأجزاء الأول والثاني والثالث والرابع، والطبعة الأولى من الجزء الخامس والسادس والسابع) من ناحية بيان بعض المراجع لتيسير التوسع لمن أراد من القراء، وربط قصص الأنبياء والفقه بالأحاديث الشريفة الصحيحة بصورة دقيقة، كما أُظهرت الأهداف التربوية بالاستفادة من العناوين الجانبية والفرعية، وقمنا بإدراج باب خاص في نهاية الكتاب يعين القارئ على قياس الاستفادة العلمية والوجدانية والعملية فيما يتعلق بالموضوعات المطروقة في هذا الكتاب.

نسأل الله ﷻ أن تتحقق أهداف السلسلة المعرفية والوجدانية والعملية، ونتضرع إليه عز وجل أن يغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا، وأن يتقبل منا هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

جاسم عبد الرحمن الخواجي

الباب الأول

مع النفس



تمهيد

يحتوي الباب الأول [مع النفس] على أربعة فصول: فصل [في رحـــاب التفسير]، وفيه تفسير سورة القلم، وفصل [من رحيق قصص الأنبياء]، وفيه عرض لاثنين من أنبياء الله وهم: هود وصالح عليهما السلام، ثم فصل [من جواهر العلم]، وبه موضوع المساجد، ونختم بفصل [من حصاد الفكـــر]، وفيه نعتني بتناول أقسام العقائد الإسلامية، ونخصصه في هذا الجزء لتنـــاول قسم الروحانيات.

أما [في رحاب التفسير]، فنعيش فيه مع تفسير سورة القلـــم، ليتأكـــد لدينا أن أمة الإسلام هي أمة العلم، ولنرى تسرية الحق تبارك وتعالى لنبيـــه ﷺ، وتعويضه له عن كل جفوة وعن كل بهتان يرميـــه بـــه المـــشركون، وكذلك الشهادة له بعظم أخلاقه ﷺ، ولنعلم أنه لا ينبغي لمؤمن أن يساوم أو يداهن في دينه، ولنرى عاقبة البطر والمنع، كما يتبين لنا وجوب الأخـــذ على يدي الظالم، وعدم موافقته أو مشاركته فيما لا يرضي الله تعالى، كما تبرز السورة حال المكذبين وشدة الكرب التي يعانون منها يـــوم القيامـــة، وتختم السورة بوصية للدعاة والمصلحين بالصبر على مشاقّ دعوة الناس إلى الخير والصلاح.

وفصل [من رحيق قصص الأنبياء] نعرض فيه لاصطفاء الحـــق تبـــارك وتعالى لأنبيائه وتهيئتهم لإبلاغ رسالته، ونرى كيف يتعامـــل أصـــحاب الدعوات مع واقع مجتمعاتهم؛ من تشخيص للعلل والأمراض التي تنتشر في المجتمع، ثم العمل الدءوب على علاجها، كذلك نتعلم منهم الإخـــلاص والتجرد لله تعالى من كل هوى أو حظ للنفس عند دعوة الآخرين، ونتعلم

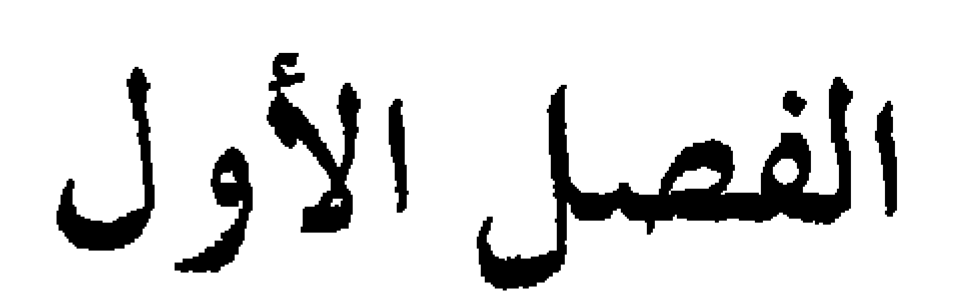
كذلك درسًا مهمًّا في الدعوة، ألا وهو تنويع الوسائل والأساليب في دعوتنا للآخرين، وغير ذلك كثير من الدروس والعبر والعظات التي لا يمكن حصرها في هذا التمهيد، لكنها مبرزة في عناوين جانبية واضحة فلنتأملها.

وفصل [**من جواهر العلم**] يركز في هذا الجزء على المساجد، حيث يتناول عمارتها، وفضلها، وآدابها، وما يحرم فعله فيها، ويُختتم بإبراز علاقة المرأة بالمسجد، وقد تحرينا ربط كل حكم بالحديث الصحيح الذي يؤيده؛ حتى يشعر القلب بمعية الوحي في كل تصرف عملي، ولتكون الآية الكريمة أو الحديث الشريف زادًا ومرتكزًا لكل من يبحث عن الثواب في تبليغ الحكم الشرعي لغيره.

وفصل [**من مصادر الفكر**] يعتني بأقسام العقائد الإسلامية، وفي هذا الجزء نقتصر على تناول قسم الروحانيات، حيث نتناول بعض المباحث التي تتعلق بالملائكة ووجودهم، وصفاتهم، ووظائفهم، وعلاقتهم بالبشر، وواجبات المسلم نحوهم، وكذلك نتناول بعض المباحث التي تتعلق بالجن ووجودهم، وأصلهم، والغاية من خلقهم، ومراتبهم في الصلاح والفساد، وعلاقة الشيطان بالجن، وأيضًا نتناول بعض المباحث المتعلقة بخلق الإنسان والعداء التاريخي بينه وبين الشيطان، وغير ذلك كثير من القضايا المتعلقة بقسم الروحانيات والتي لا يمكن حصرها في هذا التمهيد.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا علمًا نافعًا، وأن يرزقنا العمل به والإخلاص فيه.

*****



الفصل الأول



في رحاب التفسير



سورة القلم





سورة القلم

سورة القلم من السور المكية التي تعني بأصول العقيدة والإيمان، وقد تناولت هذه السورة ثلاثة مواضيع أساسية:

١- الرسالة، والشبهات التي أثارها كفار مكة حول دعوة النبي ﷺ.

٢- قصة أصحاب الجنة (البستان)، لبيان نتيجة الكفر بنعم الله تعالى.

٣- الآخرة وأهوالها وشدائدها، وما أعد الله للفريقين: المسلمين والمجرمين.

*****

قال الله ﷻ: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ*مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ*وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ*وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ*فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ*بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ*إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1].

المفردات:

﴿ن﴾ : إما أن تكون أسماء للسور، أو قد أراد الله بها تحدي العرب الفصحاء الذين نزل القرآن بلغتهم.

﴿القلم﴾ : الذي يكتب به البشر. **﴿ممنون﴾** : مقطوع.

﴿فستبصر﴾ : فستعلم. **﴿المفتون﴾** : المجنون.

١- الآيات ١-٨ من سورة القلم.

أمة العلم:

يقسم الله سبحانه بـ ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ بالقلم وبالكتابة، فأما القسم فهو تشريف للقلم وللكتابة، سواء أكانت الكتابة به أو بغيره من الآلة الطابعة أو الراسمة أو غيرها من الأجهزة الحديثة مما تحصل بها الفائدة وينتشر به العلم؛ لأنه تعالى لم يقل: والقلم وما يسطر. وإنما قال: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فدل على أن المراد ما يخطه الكتبة من أنواع العلوم والمعارف، وهو تحفيز لهمة العرب المنزل بلغتهم القرآن إلى تعلم الكتابة والقراءة والمنافسة في طلب العلم[1]، وإنها لإشارة مبكرة لقيمة العلم في هذه الأمة، فوسط صراع الأفكار والعقائد والعادات والتقاليد برزت هذه القيمة في مهد الدعوة.

تهمة بشرية ودفاع إلهي:

أقسم الله سبحانه بـ ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ لينفي عن رسوله ﷺ ذلك التهام بالجنون الذي رماه به المشركون، والذي هو أبعد ما يكون عن رسول الله ﷺ. فالذي رماه به إنما رماه عن حقد وكذب وافتراء، ولا يعتمد في اتهامه على أساس من عقل أو منطق؛ وقد يكون انتفاء هذا الاتهام مع العقل والمنطق هو سبب بدء الدفاع الإلهي عن النبي ﷺ بالقسم بأدوات العلم التي لا تنتمي عقولهم إلى أيٍّ منها.

وهكذا أهل الباطل في كل زمان ومكان حينما يعجز منطقهم وتهن حجتهم أمام منطق وحجة أهل الحق من الدعاة المصلحين، فلا يجدون إلا أن يبذلوا ما في وسعهم للإساءة بالمصلحين وإلصاق التهم الباطلة بهم لصد الناس عنهم وعن صراط الله المستقيم.

١- السيد عبد الله كنون، تفسير سور المفصل من القرآن الكريم، ص٢٢١.

تسرية وتعويض:

ثم يأتي الإيناس والتسرية والتعويض من الله سبحانه لنبيه ﷺ عن كل جفوة وعن كل بهتان يرميه به المشركون فيقول تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أجرًا دائمًا موصولاً لا ينقطع ولا ينتهي، أجرًا عند ربك الذي أنعم عليك بالنبوة ومقامها الكريم.

شهادة من علام الغيوب:

ثم تأتي الشهادة من الله الكبير المتعال يسجلها في كتابه الكريم، وتتردد في الملأ الأعلى إلى ما شاء الله على عِظم خُلق الرسول ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.[1]

وهذه اللغة لها دلالتها على تمجيد العنصر الأخلاقي في ميزان الله، وإشارة إلى عظم ومكانة الأخلاق في الإسلام.

والناظر في هذا الدين يجد العنصر الأخلاقي بارزًا أصيلاً فيه، تقوم عليه أصوله التشريعية، وأصوله التهذيبية على السواء، يقول الرسول الكريم ﷺ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ"[رواه أحمد، الحديث ٨٥٩٥] فيلخص رسالته في هذا الهدف النبيل.

طمأنة .. ووعيد:

وبعد هذا الثناء الكريم من الله تعالى على نبيه ﷺ وهذه التسرية، يطمئنه الله تعالى ومن معه من المؤمنين على نتيجة صراعهم مع المشركين، وأن الغد سيكشف عن صدق النبي ﷺ وصدق ما جاء به، ويكشف زيف ما يدعيه مكذبوه وبطلانه فقال تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ*بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ*إِنَّ

١- سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ٦، ص (٣٦٥٦،٣٦٥٧).

رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، وإن كان في دلك ما يطمئن النبي ﷺ وكل من يسير على نهجه من المؤمنين فإنه يحمل في الوقت داته تهديدًا ووعيدًا يقلق أعداءه ويبعث في قلوبهم التوجس والقلق لما سيجيء.

******

قال الله ﷻ: ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ*وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ*وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ*هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ*مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ*عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ*أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ*إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ*سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾[1].

المفردات:

﴿ودّوا﴾ : تمنّوا.

﴿تدهن﴾ : تلين لهم في دينك.

﴿فيدهنون﴾ : يلينون بالباطل.

﴿حلاّف﴾ : كثير الحلف.

﴿مهين﴾ : حقير.

﴿همّاز﴾ : يغتاب الناس.

﴿مشاء بنميم﴾ : ساعٍ بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم.

﴿معتد﴾: متجاوز للحد.

﴿أثيم﴾ . كثير الآثام.

﴿عتل﴾ : غليظ

﴿زنيم﴾ : ملحق بقوم ليس منهم والمراد به ولد الزنى.

﴿أساطير﴾ : خرافات.

﴿سنسمه على الخرطوم﴾ : سنجعل على أنفه علامة يُعَيَّر بها.

١- الآيات ٨-١٦ من سورة القلم

لا مساومة..لا مداهنة:

ثم يكشف الله له عن حقيقة حالهم، وهم مزعزعو العقيدة والتي يتظاهرون بالتصميم عليها. إنهم على استعداد للتخلي عن الكثير منها في مقابل أن يتخلى هو عن بعض ما يدعوهم إليه ! على استعداد أن يدهنوا ويلينوا ويحافظوا فقط على ظاهر الأمر؛ لكي يدهن هو لهم ويلين، فهم ليسوا أصحاب عقيدة يؤمنون بأنها الحق، وإنما هم أصحاب ظواهر يهمهم أن يستروها: ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ فهي المساومة إذن، والالتقاء في منتصف الطريق، كما يفعلون في التجارة، وفرق بين الاعتقاد والتجارة كبير! فصاحب العقيدة لا يتخلى عن شيء منها؛ لأن الصغير منها كالكبير، بل ليس في العقيدة صغير وكبير. إنها حقيقة واحدة متكاملة الأجزاء، لا يطيع فيها صاحبها أحدًا، ولا يتخلى عن شيء منها أبدًا.

إن صاحب العقيدة الصحيحة إذا تنازل عن جزء من دينه فقد تنازل عن حق ليس له حق التنازل عنه، وصاحب الباطل من دين أو غيره إذا تنازل فإنما يتنازل عن باطل أو جزء منه أو شيء ليس له فيه حق، وصاحب الحق إذا تنازل خسر، وهذا لا يرضاه عاقل، بل قد يقول أهل الباطل إذا شاركهم أهل الحق: لولا أننا على حق ما شاركونا فيه، فليحذر أهل الحق.

حرب من الله:

وبعد أن رد القرآن ما رمُي به النبي ﷺ من افتراء باطل وأثبت له الخلق العظيم، يشن حملة ضد أحد من وقفوا في وجه الدعوة وسعى في الصد عن سبيل الله وكاد برسولها ﷺ وبأصحابه، وقيل إنه الوليد بن المغيرة أو الأخنس بن شريق، حملة تعرية أمام نفسه تكشف عن حقيقته أمام

الآخرين، فيصفه القرآن بتسع صفات كلها ذميم: ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ* هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾، ثم يجيء تهديد ووعيد يلمس في نفسه موضع الاختيال والفخر بالمال والبنين كما لمس وصفه من قبل موضع الاختيال بمكانته ونسبه فقال تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾.

******

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ*وَلا يَسْتَثْنُونَ*فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ*فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ*فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ*أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ*فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ*أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ*وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ*فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ*بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ*قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ*قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ*فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ*قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ*عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ*كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1].

المفردات:

﴿ليصرمنها مصبحين﴾ : ليقطعن ثمارها وقت الصباح.

﴿ولا يستثنون﴾ : لم يقولوا إن شاء الله. ﴿طائف﴾ : آفة سماوية.

﴿كالصريم﴾ : كالليل المظلم. ﴿اغدوا﴾ : اذهبوا مبكرين.

﴿صارمين﴾ : يريدون القطع. ﴿يتخافتون﴾ : يخفون كلامهم.

﴿غدوا﴾ : أصبحوا. ﴿حرد﴾ : قصد وقدرة.

١- الآيات ١٧-٣٣ من سورة القلم

قصة أصحاب الجنة:

قال المفسرون: كان لرجل مسلم بقرب صنعاء بستان فيه من أنواع النحيل والزروع والثمار، وكان إذا حان وقت الحصاد يدعو الفقراء فيعطيهم نصيبًا وافرًا منه ويكرمهم غاية الإكرام، فلما مات الأب ورثه أبناؤه الثلاثة فقالوا: عيالنا كثير والمال قليل، ولا يمكننا أن نعطي المساكين كما كان يفعل أبونا، فتشاوروا فيما بينهم وعزموا ألا يعطوا أحدًا من الفقراء شيئًا، وأن يجنوا ثمرها وقت الصباح خفية عنهم، وحلفوا على ذلك، فأرسل الله تعالى نارًا على الحديقة ليلاً أحرقت الأشجار وأتلفت الثمار، فلما أصبحوا ذهبوا إلى حديقتهم فلم يروا فيها شجرًا ولا ثمرًا، فظنوا أنهم أخطأوا الطريق، ثم تبين لهم أنها بستانهم وحديقتهم، وعرفوا أن الله تعالى عاقبهم بنيتهم السيئة، فندموا وتابوا[1].

عاقبة البطر والمنع:

..ذه هي سنة الله في خلقه، أن الجزاء من جنس العمل، نسوا الله فنسيهم، ومنعوا الخير عن فقراء الناس فمنع الله الخير عنهم، قال الله تعالى: **﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**[2]، وقال جل شأنه: **﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾**[3]، وإذا أيقن المؤمن هذه السُنة الكونية

١- د. محمد على الصابوني، صفوة التفاسير، جـ٣، ص ٤٢٧.

٢- الآية ١٨٠ من سورة آل عمران

٣- من الآية ١٢٣ من سورة النساء

في قلبه وعمل بمقتضاها علم أن المستفيد من إحسانه هو نفسه، وأن الخاسر من إساءته هو نفسه أيضًا، قال جل شأنه: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[1].

وبهذا كانت العظة والعبرة من قصة أصحاب الجنة ساقها الله لمن يعتبر، فالجزاء من جنس العمل: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

الأخذ على يد الظالم:

نلحظ من سياق القصة أن الأخ الأوسط كان له رأيًا غير رأيهم: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾، ولكنه تابعهم عندما خالفوه في رأيه، ولم يصر على الحق الذي رآه فناله الحرمان كما نالهم، وكان عليه أن يأخذ على أيديهم، وأدنى الإيمان في هذا الموقف أن ينكر بقلبه، وعلامته وشرطه أن يتركهم ولا يشاركهم في ظلمهم فقد قيل: "أزل المنكر فإن لم يزل فزلْ أنت عنه"، قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه ابن مسعود ﷺ: "وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيْ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا" [رواه أبو داود، من الحديث ٣٧٧٤][2].

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ

١- الآية ٧ من سورة الإسراء.

٢- قال الألباني: ضعيف.

كَانُوا صَادِقِينَ*يوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ * فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ * أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾.[1]

المفردات:

﴿تدرسون﴾ : تدعون.

﴿تخيرون﴾ : تشتهون وتطلبون.

﴿أيمان﴾ : عهود ومواثيق.

﴿بالغة﴾ : مؤكدة

﴿زعيم﴾ : كفيل وضامن.

﴿ترهقهم﴾ : تغشاهم.

﴿أملي لهم﴾ : أمهلهم.

﴿متين﴾ : شديد لا يطاق.

﴿مغرم﴾ : بذل المال.

في ميزان الله:

يذكر الله تعالى المتقين المنعمين في جنات النعيم في مقابل المعذبين بسبب جرمهم فالمتقون لا يغشى وجوههم قتر ولا ذلة، وقد رفع الله من شأنهم، وأعلى من قدرهم، وكفى بها رفعة وعلوًا، وهذا ردٌّ على زعم المشركين: إن صح أن نُبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالهم وحالنا إلا مثل ما هي في الدنيا.

وهذا حيفٌ وظلم لا يليق بجلال الله ﷻ، فهو العدل وقد حرم الظلم

١- الآيات ٣٤-٥٢ من سورة القلم.

على نفسه، فهل يستوي المسلم مع الكافر؟! ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1] هذا هو ميزان الله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[2].

حال المجرمين أمام رب العالمين:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ فيوقفهم وجهًا لوجه أمام هذا المشهد كأنه حاضر اللحظة، وكأنه يتحداهم فيه أن يأتوا بشركائهم المزعومين.

ويدعى هؤلاء المتكبرون إلى السجود فلا يملكون السجود، فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا"[رواه البخاري، الحديث ٤٥٣٨]، وهذا إما لأن وقته قد فات، وإما لأن أجسامهم وأعصابهم تكون مضطربة من الهول على غير إرادة منهم.

ثم يكمل رسم هيئتهم: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ هؤلاء المتكبرون المتبجحون. وبينما هم في هذا الموقف المرهق الذليل، يُذكّرهم بما جرهم إليه من إعراض واستكبار﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾

---

١ – الآية ٤٠ من سورة النساء.

٢ – الآية ٤٧ من سورة الأنبياء.

قادرون على السجود فكانوا يستكبرون، وهم الآن يدعون إلى السجود فلا يستطيعون!

وبينما هم في هذا الكرب، يجيئهم التهديد الرهيب الذي يهد القلوب: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ ومن هو هذا الذي يكذب بهذا الحديث؟ إنه ذلك المخلوق الصغير الهزيل المسكين الضعيف! أيُّ هول مزلزل للمكذبين! وأيُّ طمأنينة للنبي والمؤمنين المستضعفين! ثم يكشف لهم الجبار القهار عن خطة الحرب مع هذا المخلوق الهزيل الصغير الضعيف: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ*وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

وإن شأن المكذبين، وأهل الأرض أجمعين، لأهون وأصغر من أن يدبر الله لهم هذه التدابير، ولكنه -سبحانه- يحذرهم نفسه ليدركوا أنفسهم قبل فوات الأوان، إنه سبحانه يمهل ولا يهمل، ويملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

موقف عجيب:

وفي ظل مشهد القيامة المكروب وفي ظل هذا التهديد يكمل الجدل والتحدي والتعجب من موقفهم: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ فهل تلتمس منهم ثوابًا ومقابلاً على ما تدعوهم إليه من الإيمان، فهم من غرامة ذلك مثقلون، فيدفعهم ذلك التوهم بالغرم إلى الإعراض والتكذيب، ويجعلهم يؤثرون ذلك المصير البشع في الآخرة، على هذا الغرم المتوهم، ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أم إنهم على ثقة مما في الغيب، فلا يخيفهم ما ينتظرهم فيه، فقد اطلعوا عليه وكتبوه وعرفوه، أو أنهم هم الذين كتبوا ما

فيه فكتبوه ضامنًا لما يشتهون، ولا هذا ولا ذاك، فما لهم يقفون هذا الموقف الغريب المريب ؟!

قال الله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿صاحب الحوت﴾ : يونس عليه السلام. ﴿مكظوم﴾ : مملوء غمًا.

﴿نبذ﴾ : طرح وترك ﴿العراء﴾ : الفضاء الواسع

﴿يزلقونك بأبصارهم﴾ : ينظرون إليك نظرة غيظ وحقد.

صبر الدعاة:

وأمام هذه الحقيقة يوجه الله نبيَّه إلى الصبر على تكاليف الرسالة، ويُذكِّره بتجربة أخٍ له من قبل حين كذَّبه قومه، قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ أي لا تكن كيونس عليه السلام فتستعجل القضاء قبل مجيء أوانه، إذ عجل يونس فضاق بتكذيب قومه له فتركهم ومضى غاضبًا يريد فراقهم، وحين ركب السفينة فاقترعوا ليظهر أيهم هرب من سيده فخرجت القرعة على يونس عليه السلام فألقوه في الماء فابتلعه حوت فنادى ربه: ﴿أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ

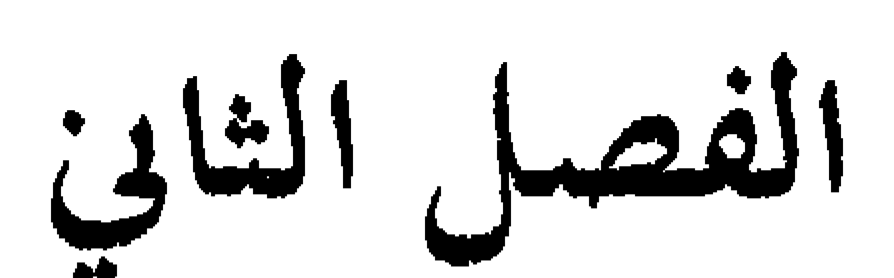
الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

إن مشقة الدعاة الحقيقية هي مشقة الصبر لحكم الله حتى يأتي موعده، في الوقت الذي يريده بحكمته، وفي الطريق مشقات كثيرة: مشقات التكذيب والتعذيب، ومشقات الالتواء[2] والعناء، ومشقات انتفاش الباطل وانتفاخه، ومشقات افتتان الناس بالباطل المزهو المنتصر فيما تراه العيون، ثم مشقات إمساك النفس على هذا كله راضية مستقرة مطمئنة إلى وعد الله الحق، لا ترتاب ولا تتردد في قطع الطريق، مهما تكن مشقات الطريق، وهو جهد ضخم مرهق يحتاج إلى عزم وصبر ومدد من الله وتوفيق، أما المعركة ذاتها فقد قضى الله فيها وقدر أنه هو الذي يتولاها[3] إنه نعم المولى ونعم النصير.

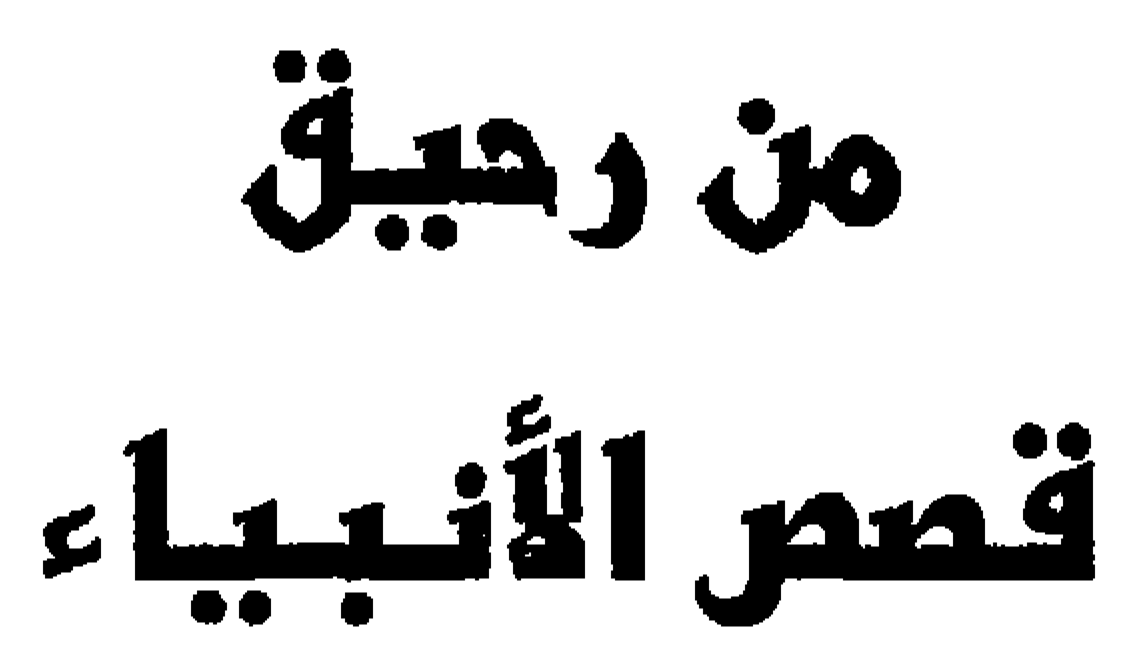
١- الآيتان ٨٧،٨٨ من سورة الأنبياء، وانظر تفسير فتح الرحمن، جـ ٧، ص ٣٧٤٤.

٢- أي التواء النفوس وإعراضها عن قبول الحق.

٣- انظر: في ظلال القرآن، جـ٦، ص ٣٦٧١.



الفصل الثاني



من رحيق قصص الأنبياء



- نبي الله هود عليه السلام

- نبي الله صالح عليه السلام





نبي الله هود عليه السلام

الاسم والقبيلة:

هو هود من نسل نوح، وهو من قبيلة عاد، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[1]، وسماه: أخًا لهم لكونه من قبيلتهم لا من جهة أخوة الدين[2]، وكانت "عَـادٍ"يسكنون الأحقاف[3] وكانت باليمن بين عمان وحضرموت[4] وهؤلاء هم عاد الأولى، وكانوا كثيرًا ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ* بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾[5]، أي عاد إرم، وهم عاد الأولى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾[6].

بلسان قومه:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[7] وهذا من لطفه تعالى بخلقه أن يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم، كما روى أبو ذر ﷺ قال: قال رسول الله

١- من الآية ٥٠ من سورة هود.
٢- ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج٦، ص٤٦٤.
٣- هي جبال من الرمال.
٤- إسماعيل بن كثير ، قصص الأنبياء ، ص١٢٥.
٥- الآيتان (٦،٥) من سورة الفجر .
٦- الآية ٥٠ من سورة النجم .
٧- من الآية ٤ من سورة إبراهيم .

ﷺ: "لَمْ يَبْعثْ اللَّهُ نَبيًّا إلا بِلُغَةِ قَوْمِهِ"[1] [رواه أحمد، الحديث ٢٠٤٤١]، وهكذا كان نبي الله هود عليه السلام يتحدث اللغة العربية كلغة قومه، فعن أبي ذر رضي الله عنه في حديثه الطويل في ذكر الأنبياء والمرسلين قال فيه: "أَرْبَعَةٌ مِنْ الْعَرَبِ: هُودُ وَصَالِح وَشُعَيْب ومُحَمَّد"[رواه ابن حبان في صحيحه]، وعاد كانت من العرب العاربة، وهم الذين كانوا قبل نبي الله إسماعيل بن إبراهيم الخليل (عليهما السلام)[2]، وهم قبائل كثيرة منهم عاد، وثمود، وجرهم، وأما العرب المستعربة فهم من ولد نبي الله إسماعيل بن إبراهيم الخليل (عليهما السلام).

تفنن وقوة:

كان قوم عاد يتفننون في صناعتهم ومساكنهم، وكانوا يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام وينفاخرون بها حتى بلغ وصف الله عز وجل لمساكنهم بالانفراد في عظمة البناء، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ*إِرَمَ ذَاتِ الْعِمادِ*الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾[3]، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشًا، قال الله تعالى:﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾[4]،

١- هذه هي سنة الله في خلقه أنه ما بعث نبيًا في أمة إلا أن يكون بلغتهم فاختص كل نبي بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم، واختص محمدًا بن عبد الله رسول الله ﷺ بعموم الرسالة إلى سائر الناس كما روى جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ = وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ"[رواه البخاري، الحديث ٤١٩].

٢- انظر: إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، ص١٢٦.

٣- الآيات٦-٨ من سورة الفجر.

٤- من الآية ٦٩ من سورة الأعراف.

وقال تعالى على لسانهم: ﴿قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[1]، وكانوا مع سكناهم في الخيام على السهول يتفننون في بناء القصور العظيمة على رءوس الجبال عبثًا ولعبًا، وكانت لهم بروج مشيدة يظنون الخلود بسكناها، وأمدهم الله سبحانه المنعم بكل أسباب القوة والنعيم، فكانت عندهم المياه والجنات والأموال والأولاد وقوة الجسم، قال الله تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ*وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ*وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ*فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ*وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ*أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ*وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾[2].

بداية الانحراف:

وكانت عاد أول من عبد الأصنام بعد الطوفان، قال الله تعالى في سورة "المؤمنون"بعد قصة نبي الله نوح عليه السلام: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ*فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾[3] ولعل بداية الانحراف والابتعاد عن جادَّة الصراط المستقيم بسبب ذلك الترف والنعيم الذي كانوا يعيشون فيه: من العبث واللعب وعدم شكر الله على ما أنعم به سبحانه عليهم، فكفران النعم يؤدي إلى كفران المنعم، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[4]، أو أن هذه السلوكيات الأخلاقية السيئة مصاحبة لما هم عليه من الكفر والتكذيب.

١- من الآية ١٥ من سورة فصلت.

٢- الآيات ١٢٨-١٣٥ من سورة الشعراء.

٣- الآيتان ٣١، ٣٢ من سورة المؤمنون.

٤- الآية ١٦ من سورة الإسراء.

نظام شامل:

ولهذا جاءت دعوة نبي الله هود عليه السلام لتكون دعوة تغييرية تستأصل جذور الشر من النفوس؛ فبدأ أولاً باستئصال الكفر من النفوس بقوله: ﴿يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾[1] فتوحيد الله أولاً وقبل كل شيء، وهو مفتاح الفوز في الدنيا والنجاة في الآخرة، كما تضمّنت دعوته تغيير الأخلاق والسلوكيات التي لا تتناسب مع جلال التوحيد والإيمان، فلفت أنظارهم إلى تَجَبُّرِهم واستكبارهم وتفاخرهم بقوتهم وتِيْهِهِم على جميع الخلق، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[2]. وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[3]، ثم أرشدهم نبي الله هود عليه السلام إلى الجانب الروحي في حياتهم المعيشية فقد تدنَّوا في ماديَّتهم ولم يَسْمُوا بأرواحهم حتى إنهم غرقوا في العبث واللعب، قال الله تعالى:﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ*وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[5] بل إن في هذه الآيات إشارة إلى ما يجب أن يكون عليه المؤمن في جانب البناء العمراني بل في كل معاملاته، وهو البعد عن العبث واللعب واستهداف الفائدة والمصلحة العلمية والعملية، فما لا مصلحة فيه في حياة المؤمن فهو

١- الآية ٦٥ من سورة الأعراف.

٢- من الآية ١٥ من سورة فصلت.

٣- الآية ١٣٠ من سورة الشعراء.

٤- الآيتان ١٢٨، ١٢٩ من سورة الشعراء.

٥- من الآية ٣٣ من سورة المؤمنون.

مرفوض ومردود، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ*لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[1].

وبذلك تكون دعوة نبي الله هود عليه السلام شاملة وانتظمت جميع شئون الحياة: في العقيدة والإيمان، وفي السلوك والأخلاق، وفي النفس والروح، وفي البناء والعمران، وهذا هو حقيقة الدين فهو: "نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعًا فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء"[2]

تنوع وتناسب:

فالمتصدر للدعوة إلى الله يجب عليه أن يتنوع في عرض دعوته ويختار لإيصال فكرته أنسب الوسائل، ويراعي أحوال المدعو وزمان الدعوة ومكانها، وله في نبي الله هود عليه السلام القدوة والمثل فتارة يذكرهم بنعم الله عليه ليستثير فيهم شكر المنعم، قال الله تعالى: ﴿واذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ*أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ*وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[4]، وتارة يبشرهم بنعيم الدنيا والآخرة إن هم آمنوا: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ

١- الآيتان ١٦، ١٧ من سورة إبراهيم.

٢- حسن البنا ، رسالة التعاليم، الأصل الأول، ص٣٥٦.

٣- من الآية ٦٩ من سورة الأعراف.

٤- الآيات ١٣٢ – ١٣٤ من سورة الشعراء.

﴿قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[1]، وتارة أخرى ينذرهم بعذاب الله من باب الشفقة والخوف عليهم: ﴿ أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2]، وتارة أخرى يدخل في مناقشة علمية هادفة معهم: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾[4]، وهو في كل هذا صابر عليهم، ومشفق عليهم، وناصح لهم، يقابل إساءتهم بالإحسان، قال تعالى على لسان قوم عاد: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ*قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ*أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[5]، حتى إذا استيأس من إجابتهم وهدايتهم أنذرهم بعذاب الله وأعلنها صريحة واضحة بهلاكهم، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾[6]، ودعا الله تعالى أن ينصره فقال: ﴿رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾[7].

١- الآية ٥٢ من سورة هود.
٢- من الآية ٢١ من سورة الأحقاف.
٣- من الآية ٦٩ من سورة الأعراف.
٤- من الآية ٧١ من سورة الأعراف.
٥- الآيتان ٦٦،٦٧ من سورة الأعراف.
٦- الآية ٧١ من سورة الأعراف.
٧- من الآية ٣٩ من سورة المؤمنون.

الاستغفار قوة:

والحق أن دعوة نبي الله هودًا عليه السلام قومه وتبشيره لهم بالقوة وإدرار المطر يلفت الانتباه والأنظار ويدعو إلى التأمل والتفكير فإن إدرار المطر ومضاعفة القوة- وهي أمور تجري فيها سنة الله وفق قوانين ثابتة في نظام هذا الوجود- من صنع الله ومشيئته بطبيعة الحال، فما علاقة الاستغفار والتوبة بذلك؟

فأما زيادة القوة فالأمر فيها قريب وميسور بل واقع مشهود فإن نظافة القلب والعمل الصالح في الأرض يزيدان التائبين العاملين قوة. يزيدانهم صحة في الجسم بالاعتدال والاقتصار على الطيبات من الرزق وراحة الضمير وهدوء الأعصاب والاطمئنان إلى الله والثقة برحمته في كل آن؛ ويزيدانهم صحة في المجتمع بسيادة شريعة الله الصالحة التي تطلق الناس أحرارًا كرامًا لا يدينون لغير الله على قدم المساواة بينهم، أمام قهار واحد تنحني له الجباه، كما تطلقان طاقات الناس ليعملوا وينتجوا ويؤدوا تكاليف الخلافة في الأرض، غير مشغولين ولا مسخرين بمراسم التأليه للأرباب الأرضية وإطلاق البخور حولها ودق الطبول.

وأما إرسال المطر مدرارًا: فالظاهر للبشر أنه يجرى وفق سنن طبيعة ثابتة في النظام الكوني. ولكن جريان السنن الطبيعية لا يمنع أن يكون المطر محييًا في كل زمان ومكان، ومدمرًا في مكان ما وزمان ما، وأن يكون من قدر الله أن تكون الحياة مع المطر لقوم، وأن يكون الدمار معه لقوم، وأن يُنْفِذَ الله تبشيره بالخير ووعيده بالشر عن طريق توجيه العوامل الطبيعية؛ فهو خالق هذه العوامل، وجاعل الأسباب لتحقيق سنته على كل حال. ثم تبقى

وراء ذلك مشيئة الله الطليقة التي تصرّف الأسباب والظواهر؛ وذلك لتحقيق قدر الله كيفما يشاء وحيث يشاء، بالحق الذي يحكم كل شيء في السماوات والأرض، غير مقيد بما عهده الناس في الغالب[1].

براءة:

فليس هناك أمر أوقع في نفوس المدعوين وإقبالهم على الداعية من شعورهم بإخلاص من يحدثهم وتبرئته من الأهواء والأغراض، ونزاهته عن المطامع الشخصية، واحتقاره للمنافع المادية، فلا يسأل الناس شيئًا ولا يقتضيهم مالاً ولا يطالبهم بأجر ولا يَتَزَيَّدُ بهم وجاهة، ولا يريد منهم جزاءً ولا شكورًا فما أجره في ذلك إلا على الذي فطره[2]، قال تعالى على لسان نبيه هود عليه السلام: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يَاقَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[4]، فالرائد لا يكذب أهله والناصح لا يغش قومه.

عناد واستكبار:

تلك كانت دعوة هود عليه السلام ويبدو أنها لم تكن مصحوبة بمعجزة خارقة؛ وربما لأن الطوفان كان قريبًا منهم، وكان في ذاكرة القوم وعلى لسانهم، وقد ذكرهم به في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5]. فأما

١- سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ١، ص (١٨٩٧ – ١٨٩٨) بتصرف

٢- انظر: حسن البنا، دعوتنا، ص١٣.

٣- من الآية ٦٨ من سورة الأعراف.

٤- الآية ٥١ من سورة هود.

٥- من الآية ٦٩ من سورة الأعراف

قومه فقد ظنوا به الظنون: ﴿قَالُوا يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ*إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾[1]، إلى هذا الحد بلغ الانحراف في نفوسهم، إلى حد أن يظنوا أن هودًا يهذي؛ لأن أحد آلهتهم المفتراة قد مسه بسوء، فأصيب بالهذيان[2].

استعلاء بالحـــق:

وهنا لم يبق لهود إلا التحدي والتوجه إلى الله وحده والاعتمـــاد عليـــه والوعيد والإنذار الأخير للمكذبين والمفاصلة بينه وبين قومه ونفض يده من أمرهم إن أصروا على التكذيب، فتوجه إليهم قائلاً: ﴿إِنِّـــي أُشْـــهِدُ اللَّـــهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ*مِـــنْ دُونِـــهِ فَكِيـــدُونِي جَمِيعًـــا ثُـــمَّ لا تُنْظِرُونِ*إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ*فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِـــهِ إِلَـــيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَـــى كُـــلِّ شَـــيْءٍ حَفِيظٌ﴾[3].

إنها انتفاضة التبرؤ من القوم–وقد كان منهم وكان أخاهم– وانتفاضـــة الخوف من البقاء فيهم وقد اتخذوا غير طريق الله طريقًا.

وهو يُشهد الله على براءته من قومه الضالين وانعزاله عنهم وانفـــصاله منهم، ويشهدهم هم أنفسهم على هذه البراءة منهم في وجوههم؛ كي لا تبقى في نفوسهم شبهة من نفوره وخوفه أن يكون منهم.

وذلك كله من عزة الإيمان واستعلائه، ومع ثقة الإيمان واطمئنانه!

١– الآيتان ٥٤،٥٣ من سورة هود

٢– سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ٣، ص١٨٩٨.

٣– الآيات٥٤–٥٧ من سورة هود.

إنه الإيمان والثقة والاطمئنان. الإيمان بالله والثقة بوعده والاطمئنان إلى نصره، الإيمان الذي يخالط القلب فإن وعد الله بالنصر حقيقة ملموسة في هذا القلب لا يشك فيها لحظة؛ لأنها ملء يديه وملء قلبه الذي بين جنبيه، وليست وعدًا بالمستقبل في ضمير الغيب، إنما هي حاضر واقع تتملاه العين والقلب[1].

آخر الدواء الكي:

فإن العضو إذا فسد وأصبح وبالاً على صاحبه واستعصى على الشفاء وخِيفَ على الجسد من عَدْوى الفساد والهلاك كان بتره هو الحل الأوحد، وكذلك الحال في سنن المجتمعات فإن الناس إذا لم تستقم على صراط الله وطريقه ودعوة الرسل ومنهجها كان زوالها أفضل من بقائها؛ لأنها فقدت سبب بقائها، وغاية حياتها؛ بتوحيد الله في أرضه، وتعميرها على منهجه ونظامه، وهكذا كان الحال مع قوم عاد، قال تعالي: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2] وذلك مع فسادهم وإفسادهم في الأرض: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ*وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ*وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[3]، واستعصوا على الهداية والرشاد بعد قول نبي الله هود عليه السلام لهم:﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[4].

١- سيد قطب، مرجع سابق، جـ٣، ص ١٨٩٩.

٢- الآية ١٣٩ من سورة الشعراء.

٣- الآيات ١٢٨-١٣٠ من سورة الشعراء.

٤- الآية ١٣١ من سورة الشعراء.

أسباب النقمة والهلاك:

قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ*وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾[1].

قال السدّي: ما بُعث نبي بعد عاد إلا لعنوا على لسانه. وهو إن دل على شيء فإنما يدل على شناعة ما فعله قوم عاد، وتوضحه الآية السابقة لهذه اللعنة، وهو الخضوع لأوامر كل متسلط عليهم في مقابل رفض الخضوع لله جل وعلا، وهم مسئولون أن يتحرروا من سلطان المتسلطين، ويفكروا بأنفسهم لأنفسهم، ولا يكونوا ذيولاً فيهدروا آدميتهم، ودعوة التوحيد تصر-أول ما تصر- على التحرر من الخضوع لغير الله والتمرد على سلطان الأرباب والطغاة، وتعد إلغاء الشخصية والتنازل عن الحرية واتباع الجبارين المتجبرين جريمة يستحق عليها الفاسقون الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة.

لقد خلق الله الناس ليكونوا أحرارًا لا ينزلون عن حريتهم هذه لطاغية ولا لرئيس أو زعيم فهذا مناط تكريمهم[2].

ولا عجب أن يلعنهم كل نبي جاء بعدهم حتى يحذر أقوامهم ومن بعدهم شناعة ما فعلوه وجرم ما انتهكوه فإنه سبب كل هلاك ونقمة.

جزاءً وفاقًا:

ولبشاعة جرمهم كانت بشاعة الهلاك والدمار الذي نزل بهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ

١- الآيتان ٥٩، ٦٠ من سورة هود.

٢- انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ٤، ص١٩٠٠ – ١٩٠١ بتصرف واختصار.

الظَّالِمِينَ﴾[1]، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ﴾[2]، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ*تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[3]، ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ[4]*مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ[5]﴾[6]، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ*إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا[7] فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ*تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[8]، ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ[9]*سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا[10] فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ*فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[11]، وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ[12]"[رواه البخاري، الحديث ٩٧٧].

١- الآية ٤١ من سورة المؤمنون.

٢- الآية ١٦ من سورة فصلت.

٣- الآيتان ٢٤،٢٥ من سورة الأحقاف.

٤- المفسدة التي لا تنتج شيئًا.

٥- كالشيء الهالك.

٦- الآيتان ٤١،٤٢ من سورة الذاريات.

٧- شديدة البرودة.

٨- عاتية: شديدة الهبوب.

٩- حسومًا: متتابعات.

١٠- الآيات: (٦-٨) من سورة الحاقة.

١١- الآيتان ١٣،١٤ من سورة الفجر.

١٢- الصبا: ريح تهب من الشرق، والدبور: ريح تهب من الغرب.

ترقب وحذر ودعاء:

عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتْ الرِّيحُ قَالَ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ** قَالَتْ وَإِذَا تَخَيَّلَتْ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَخَرَجَ وَدَخَلَ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ فَإِذَا مَطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ قَالَتْ عَائِشَةُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ **لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا**"[رواه مسلم، الحديث ١٤٩٦].

*****

نبي الله صالح عليه السلام

لننظر كيف تعملون:

لما أهلك الله عادًا بذنوبهم، وطهر الأرض من أرجاسهم، أورثها ثمود، وهي قبيلة مشهورة كانوا يسكنون بالحجر شمال الجزيرة العربية بين تبوك والحجاز[1]، وقد أنعم الله عليهم بالنعم العظيمة، والآلاء الجسيمة، قال الله تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ[2] فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾[3].

فسكنوا السهول صيفًا، وسكنوا الجبال شتاء[4]، وقال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾[5] فجعلها الله عمارًا يعمرونها ويستغلونها[6]، وكانوا: ﴿ءَامِنِينَ* فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾[7] أي: متراكم كثير حسن بهي ناضج[8]، وما كل هذه الآلاء والنعم إلا لأجل الامتحان والاختبار، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[9]؛ ولذلك حذر النبي ﷺ أصحابه

١- انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، جـ٦،ص٤٦٧.
٢- بوأكم: أسكنكم.
٣- من الآية ٧٤ من سورة الأعراف.
٤- انظر: تفسير آية الأعراف في تفسير الجلالين.
٥- من الآية ٦١ من سورة هود.
٦- تفسير ابن كثير، جـ٢، ص٤٦٦.
٧- الآيات ١٤٦ – ١٤٨ من سورة الشعراء.
٨- ابن كثير، قصص الأنبياء، ص١٥١.
٩- الآية ١٤ من سورة يونس.

ومن خلفهم من الانغماس في الدنيا ولذالها فقال: "إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ"[رواه مسلم، من الحديث ٤٩٢٥].

فصدهم عن السبيل:

ولكن ثمود لم تستقم على مراد الله ومنهجه؛ وذلك لانغماسهم في النعم والملذات ونسيالهم هدى الله بتزيين الشيطان لهم، قال الله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾[1] حتى إلهم كانوا مستبصرين في ضلالتهم معجبين بها يحسبون ألهم على هدى وصواب وهم على الضلال[2] فعبدوا غير الله وكانوا أشد من قوم عاد ظلمًا وعُلُوًّا[3].

دليل الهداية:

ولأن الله تعالى﴿ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾[4] أرسل لهم نبيه صالحًا عليه السلام لهدايتهم وإرشادهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، قال الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[5].

١- الآية ٣٨ من سورة العنكبوت.

٢- انظر: تفسير الطبري لهذه الآية.

٣- د.محمد بكر إسماعيل، قصص القرآن، ص٥٢.

٤- من الآيه ١٤٧ من سورة الأنعام.

٥- الآية ٢١٣ من سورة البقرة.

فهذه هي مهمة المؤمن في حياتنا المعاصرة، فقد كلفه الله بمهمة هي أرقى المهمات، وبواجب هو أسمى الواجبات"ذلك الواجب هو: هداية البشر إلى الحق سبحانه، وإرشاد الناس جميعًا إلى الخير، وإنارة العالم كله بشمس الإسلام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[1].

ومن هنا كان الفاتح المسلم أستاذًا يتصف بكل ما يجب أن يتحلى به الأستاذ من نور وهداية، ورحمة ورأفة، وكان الفتح الإسلامي فتح تمدين وتحضر وإرشاد وتعليم[2].

اصطفاء وتهيئة:

وقد كان نبي الله صالحًا عليه السلام من﴿الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾[3]، وهكذا هو شأن الرسل جميعًا عليهم السلام، يختارهم المولى تبارك وتعالى من أواسط القوم رفعة، ومن أشرفهم نسبًا، ومن أذكاهم عقلاً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[4]، وقال جل شأنه: ﴿ وَكُلاً فَضَّلْنَا عَلَى

١- الآيتان ٧٧،٧٨ من سورة الحج.

٢- حسن البنا، إلى أي شيء ندعو الناس ، ص ٣٤،٣٥

٣- من الآية ٤٧ من سورة ص.

٤- من الآية ٧٥ من سورة الحج.

﴿الْعَالَمِينَ﴾[1]، وهذا الاصطفاء والاختيار إنما هو محض فضل من الله جل في علاه على هؤلاء الرسل، وقد سبق في علمه أنه لا يوجد في أمة من الأمم أفضل من هؤلاء الرسل، فقد قال العليم الحكيم: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[2]، بل إن أقوامهم ليشهدون ويقرون بفضلهم كما أقرت ثمود لصالح عليه السلام، قال تعالى على لسانهم: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾[3] أي: كنا نرجوك في عقلك قبل أن تقول ما قلت[4]، فقد عهدناك ثاقب الرأي، لا تقول إلا حقًّا، ولا تتكلم إلا بخير، وكنا ندخرك للملمات الدهر، تضيء ظلماتها بنور عقلك، وتحل معضلاتها بصائب رأيك، وكنا نرجو أن تكون عدتنا حين يحزم الأمر ويشتد الخطب[5].

وهنا تبرز أهمية تهيئة جو الدعوة والمدعوين باشتهار الدعاة بحسن أخلاقهم، وكريم خصالهم، وصدق أقوالهم، وعفة أيديهم عن دنيا أقوامهم.

تشخيص ودواء:

كانت دعوة رسل الله الكرام (عليهم السلام) ترتكز على دعوة التوحيد أولاً ثم يُعْمِلون جهودهم في معالجة ما في قومهم من أدواء، واستئصال ما في نفوسهم من أمراض، وأول هذه الأدواء التي بدأ بها صالح عليه السلام مع قومه، داء الانغماس في ملذات الدنيا ومتعها، فتوجه إليهم منبهًا لما وصلوا إليه من انغماس مذموم: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ *

١- من الآية ٨٦ من سورة الأنعام.
٢- من الآية ١٢٤ من سورة الأنعام.
٣- من الآية ٦٢ من سورة هود.
٤- انظر تفسير الآية في تفسير ابن كثير.
٥- د. محمد بكر إسماعيل، قصص القرآن، ص٥٣.

وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ *وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[1].

فانغماس النفس البشرية كليًا في ملذاها يجعلها تغفل عن حقائق الأمور وطبائعها رغم ظهورها ووضوحها، فهذا الانغماس الكلي جعلهم يستشعرون -بصد الشيطان لهم أيضًا- أن هذه النعم دائمة دون سلب، ومستمرة دون فوت، وباقية دون تغيير، وهذا يشعرهم بالبقاء دون الفناء، وهي آفة عظيمة نبَّه إليها نبي الله صالح عليه السلام.

ثم يبين لهم داءً آخر يصدهم عن معرفة الحق واتباعه، ألا وهي تلك التبعية والذلة لكبراء القوم من المسرفين المفسدين وهي طاعة لمخلوق مرفوضة في مقابل طاعة الخالق فتوجه إليهم ناصحًا لهم بأن يتخلوا عن هذا الداء، قال جل في علاه: ﴿وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ *الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ولا يُصْلِحُونَ﴾[2]، ولعل هذه الأدواء النفسية هي السبب في رفضهم للحق، وتَعَنُّتِهِم في قبوله، فالغفلة داء يكدر صفاء النفس ونقاءها، وطاعة المستكبرين ظلمة تغشى نور العقل أن تنظر إلى بَلَجِ[3] الحق.

وما أسألكم عليه أجرًا:

من سنن الرسل والدعاة أنهم لا يبتغون على مهمتهم السامية أجرًا ولا مالاً، كما أعلن نبي الله صالح عليه السلام ذلك لقومه حين قال: ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ

١- الآيات ١٤٦-١٥٠ من سورة الشعراء.

٢- الآيتان ١٥١،١٥٢ من سورة الشعراء.

٣- بَلَجِ الحق: أي وضوحه، وظهوره من نوره وبهائه، ويقال: الحق أبلج، والباطل لجلج، أي: مظلم.

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، فصاحب الرسالة يقصد"بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله، وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب أو تقدم أو تأخر، وبذلك يكون جندي فكرة وعقيدة، لا جندي غرض ومنفعة"[2].

غيٌّ وضلال:

وتمادى القوم في غيهم وضلالهم، وأغلظوا له في القول، واتهموه بالسحر، وسألوه معجزة تكون دليلاً على صدقه، وبرهانًا على صحة دعوته، وتفننوا في هذا الطلب وغلوا فيه وبالغوا، سخرية منه، واستهزاء بدعوته[3]، قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ*مَا أَنْتَ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[4].

ذكر المفسرون[5] أن ثمود اجتمعوا يومًا في ناديهم فجاءهم رسول الله صالح عليه السلام فدعاهم إلى الله، وذكّرهم وحذرهم، ووعظهم وأمرهم ونهاهم، فقالوا له: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة – وأشاروا إلى صخرة هناك – ناقة، من صفاتها كيت وكيت، وذكروا أوصافًا سموها، وتعنتوا فيها، فقال لهم النبي صالح عليه السلام: أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقونني فيما أرسلت به إليكم، قالوا: نعم، فأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك، ثم قام إلى مصلاه فصلى لله عز وجل

١- الآية ١٠٩ من سورة الشعراء

٢- حسن البنا، رسالة التعاليم، ص٣٥٩.

٣- انظر: د. محمد بكر إسماعيل، قصص القرآن، ص٥٤.

٤- الآيتان ١٥٣،١٥٤ من سورة الشعراء.

٥- انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٥٣.

ما قُدر له أن يصلي، ثم دعا ربه ﷻ أن يجيبهم إلى ما طلبوا، فأمر الله ﷻ تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عُشَرَاء[1] على الوجه الذي طلبوه، فلما عاينوها كذلك رأوا أمرًا عظيمًا ومنظرًا هائلاً، وقدرة باهرة، ودليلاً قاطعًا، وبرهانًا ساطعًا، فآمن بعضهم، واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم؛ ولهذا قال تعالى:﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾[2].

تشريف وتعظيم:

وقد سميت هذه الناقة (ناقة الله) تشريفًا لها وتعظيمًا لشأنها، واشترط عليهم صالح عليه السلام أن يتركوها ترعى في أرض الله تعالى، ولا يتعرضوا لها بسوء حتى لا يصيبهم العذاب الأليم، واقتضى الحال على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم ترعى حيث شاءت من أرضهم، وترد الماء يومًا بعد يوم، وكانت إذا وردت الماء تشرب ماء البئر يومها ذلك، فكانوا يرفعون حاجتهم من الماء في يومهم لغدهم، ويقال بأنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم[3]، قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4].

١- عشراء: الناقة التي مضى من حملها عشرة أشهر.

٢- الآية ٥٩ من سورة الإسراء.

٣- انظر: د. محمد بكر إسماعيل، قصص القرآن، ص ٥٤، وانظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، جـ٦، ص ٤٦٨.

٤- الآية ٧٣ من سورة الأعراف.

وقال تعالى: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ*وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1].

مكر وطغيان:

فلما طال عليهم هذا الحال اتفق كبارهم على أن يعقروا هذه الناقة ليستريحوا منها، ويتوفر لهم الماء، وزين لهم الشيطان أعمالهم.

قال تعالى:﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[2]، وكان الذي تولى قتلها منهم رئيسهم قدار بن سالف[3].

ولم يتوقفوا عند هذا الحد بل أخذوا يمكروا ويدبروا لقتل نبيهم، كما جاء في قوله تعالى:﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ*قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَاشَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[4].

أي قال بعضهم لبعض: احلفوا بالله أن نذهب لصالح في بيته، فنقتله هو وأهله، ثم نقول لرهط صالح الذي له ولاية الدم: ما قتلناه ولا شهدنا قتله، وظنوا أنهم قادرون على ذلك، ولكن الله كان من ورائهم محيطًا.[5]

١- الآيتان ١٥٥،١٥٦ من سورة الشعراء.

٢- الآية ٧٧ من سورة الأعراف.

٣- انظر: إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، ص١٥٤

٤- الآيتان ٤٨،٤٩ من سورة النمل.

٥- انظر: د. محمد بكر إسماعيل، قصص القرآن، ص ٥٥، وانظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، جـ٦، ٤٦٨.

ومكرنا مكرًا:

قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ*فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ*فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ*وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[1].

وقد متعهم الله في ديارهم ثلاثة أيام، في اليوم الأول اصفرت وجوههم، وفي اليوم الثاني احمرت، وفي اليوم الثالث اسودت وجوههم، وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[2]

وفي صبيحة اليوم الرابع جاءهم صيحة من السماء من فوقهم، ورجفة شديدة من أسفلهم فغاصت الأرواح، وزهقت النفوس، وسكنت الحركات، وخشعت الأصوات، فأصبحوا في دارهم جاثمين جثثًا لا أرواح فيها، ولا حراك بها. قال تعالى:﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ومِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ*وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ*كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾[3].

١- الآيات ٥٠-٥٣ من سورة النمل.

٢- الآية ٦٥ من سورة هود.

٣- الآيات ٦٦-٦٨ من سورة هود.

وقال جل شأنه: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا*إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا[1]*فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا*فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا*وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[2].

ولقد كان الطغيان هو السبب في تكذيب ثمود وكان كفرهم وقتلهم للناقة هو سبب إهلاكهم، فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ لما مر بالحجر قال: "لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إلا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ ثُمَّ تَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ"[رواه البخاري، الحديث ٣١٢٩].

إهلاك مع الصلاح:

وقد عرفنا من الآيات أن الذي قتل الناقة واحد منهم تعاون معه في قتلها آخرون، لكن التبعة تقع عليهم جميعًا؛ لأنهم لم يأخذوا على يد الظالم ولم يمنعوه من عقرها، بل استحسنوا فعلته واستخفوا بوعيد الله ﷻ [illegible] الله إهلاك من لا رادَّ لقضائه ولا معقِّب لحكمه، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[3].

وما أخذ الله القرية إلا لأن الظلم قد عمّ، والشر قد انتشر، وانتكست الفِطر، وطغى الناس وتجبروا، وقد يشمل هذا الأخذ الصالحين إن لم يكونوا مُصْلحين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا

١- عن عبد الله بن زمعة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقر فقال رسول الله ﷺ: "إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة"[رواه البخاري، من الحديث ٤٥٦١].

٢- الآيات ١١-١٥ من سورة الشمس.

٣- الآية ١٠٢ من سورة هود.

مُصْلِحُونَ﴾١.

وكما سألت أم المؤمنين زينب بنت جحش (رضي الله عنها) رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ"[رواه البخاري من الحديث ٣٠٩٧].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ"[رواه الترمذي، الحديث ٢٠٩٥]٢

١- الآية ١١٧ من سورة هود.

٢- انظر هذا المبحث في: د.وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته، دمشق دار الفكر ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م ط٣، ج١، ص[٢٥٩-٢٦١].

الفصل الثالث

من جواهر العلم

المساجد




المساجد

المساجد بيوت الله في الأرض:

عن عمرو بن ميمون الأودي قال: "أدركت أصحاب محمد ﷺ وهم يقولون: إن المساجد بيوت الله في الأرض وإنه حق على الله أن يكرم من زاره فيها"[1].

أولاً: عمارة المساجد:

١- معنى العمارة:

قال الله سبحانه:﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[2]، وعمارة المسجد ليست هي البناء والتشييد وفرْشها بالبسط فحسب، بل إن عمارتها تكون بارتيادها، والمكث فيها انتظاراً للصلاة، أو لتلاوة القرآن، أو لحضور مجلس علم، وبالمحافظة عليها ونظافتها، وتعلق القلب بها.

٢- الأمر برفع ذكر اسم الله فيها:

عن سليمان بن بريدة عن أبيه ﷺ أن رجلاً نشد[3] في المسجد فقال: "مَنْ دَعَا إِلَى الْجَمَلِ الأَحْمَرِ"؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لا وَجَدْتَ إِنَّمَا بُنِيَتْ

١- رواه عبد الرزاق في مصنفه.

٢- الآية ١٨ من سورة التوبة

٣- نشد: سأل وطلب بإلحاح.

الْمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ"[رواه مسلم، الحديث ٨٨١]، قال الإمام النووي: "معناه: لذكر الله تعالى والصلاة والعلم والمذاكرة في الخير ونحوها".

وقال الإمام النووي في كتاب الأذكار: "وينبغي للجالس في المسجد أن ينوي الاعتكاف فإنه يصح عندنا[1] ولو لم يمكث إلا لحظة"بل قال بعضهم: يصح اعتكاف من دخل المسجد مارًا و لم يمكث فيه، فينبغي للمارِّ أيضًا أن ينوي الاعتكاف لتحصيل فضيلته، والأفضل أن يقف لحظة ثم يمرّ، وينبغي للجالس فيه أن يأمر بما يراه من المعروف، وينهى عما يراه من المنكر"[2].

٣- أول المساجد بناء:

أول مسجد بني في الأرض هو المسجد الحرام بلا خلاف؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾[3]، وبُنِيَ بعده المسجد الأقصى بأربعين سنة لما رواه أبو ذر ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله أيُّ مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: "الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ"، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: "الْمَسْجِدُ الأَقْصَى"، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قال: "أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ" [رواه البخاري، الحديث ٣١١٥].

وعن أبي ذر ﷺ قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ، قَالَ: "الْمَسْجِدُ الْحَرَام"، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟قَالَ: "ثُمَّ الْمَسْجِدُ الأَقْصَى"، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: "أَرْبَعُونَ"، ثُمَّ قَالَ: "حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاةُ فَصَلِّ، وَالأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ" [رواه البخاري، الحديث ٣١٧٢].

١- يعني الشافعية.

٢- يحيى بن شرف النووي، الأذكار، ٣٣.

٣- الآية ٩٦ من سورة آل عمران.

٤- فضل البنـــــاء:

وقد وعد الله تبارك وتعالى لمن بنى مسجداً أو أسهم في بنائه بنفسه، أو بماله أجراً عظيماً، وسجل لهم عنده مقامًا كريمًا، وشـــهد لهـــم بالإيمـــان والخشية، قال سبحانه: **﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِـــنَ الْمُهْتَدِينَ﴾** [1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال: **"مَنْ بَنَـــى لِلَّـــهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ لِبَيْضِهَا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّـــةِ"** [2] [رواه أحمـــد، الحديث ٢٠٥٠] [3].

وعن عثمان بن عفّان ﷺ قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: **"مَنْ بَنَى مَسْجِدًا- قَالَ بُكَيْرٌ** [4]: **حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ- بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ"** [رواه البخاري، الحديث ٤٥٠].

٥- تنظيفها وتطييبها:

المسجد بيت الله فينبغي أن نراعى فيه فوق ما نراعى في بيوتنـــا مـــن التنظيف والتطييب، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ **أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُنَظَّفَ وَتُطَيَّبَ"**.[رواه أحمد، الحديث ٢٥١٨٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر كان يُجمِّرُ [1] المسجد كل

١- الآية ١٨ من سورة التوبة

٢- المفحص: الموضع الذي تبيض فيه القطاة، والقطاة طائر، وضرب المثل هنا للمبالغة.

٣- صححه ابن حبان في صحيحه، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ج١، ص٢٤٠: إســـناده صحيح.

٤- أحد رواة الحديث.

جمعة[2]، وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ".[رواه أبو داود، من الحديث ٤٦١][3].

٦- المسجد والسياسة:

السياسة التي يراد بها تدبير أمر الناس بما يحقق مصالحهم، ويدرأ المفسدة عنهم، ويقيم الموازين القسط بينهم، هي والدين في خط واحد، بل هي جزء من ديننا نحن المسلمين، والذي هو عقيدة وعبادة وخلق ونظام شامل للحياة كلها.

ورسالة المسجد كما أرادها الإسلام الصحيح لا يتصور أن تنعزل عن السياسة بهذا المعنى.

فالمسجد موضوع لأمر المسلمين، ولكل ما يعود عليهم بالخير في دينهم ودنياهم، ومن خلال المسجد يتعلم الناس الحق والخير والفضيلة في شئون حياتهم كلها: روحية وثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية.

وهذا يدخل في الفرائض الإسلامية المعروفة فهو من"النصيحة" التي جعلها النبي ﷺ "الدين كله" في قوله عن تميم الدَّاريِّ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ".[رواه مسلم، الحديث ٨٢].

١- أي يقوم بتطييب المسجد بالبخور، وسمي تجميرًا؛ لأن البخور يوضع على الجمر المشتعل حتى يخرج رائحته الطيبة.

٢- قال الهيثمي: "رواه أبو يعلى وفيه عبد الله بن عمر العمري، وثقه أحمد وغيره، واختلف في الاحتجاج به".

٣- الحديث فيه ضعف.

وهو من التواصي بالحق والتواصي بالصبر، الذي جعله القرآن شـــرطًا للنجاة من خسران الدين والآخرة: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1].

وهو من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الـــذي جعلـــه الله تعـــالى السبب الأول في خيرية هذه الأمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّـــةٍ أُخْرِجَـــتْ لِلنَّـــاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾[2]

وللمساجد من قديم دور في الحث على الجهاد في سبيل الله، ومقاومـــة الأعداء من الغزاة المتسلطين.

السياســـة الممنوعـــة :

إنما الذي يمنع من السياسة ما كان على وجه تذكر فيه أسمـــاء محـــددة وتفاصيل جزئية، على وجه الطعن والتجريح والتشهير، فهذا لا ينبغـــي أن يعرض على المنبر لمثله، ولا يجوز أن يسلك سبيل المهاترة والتعصب الحزبي[3].

ثانياً: فضل المساجد:

١- فضل السعي إليها والجلوس فيها:

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "**مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنْ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**"[رواه البخاري، الحديث ٦٢٢].

١- الآيات [١-٣] من سورة العصر.

٢- الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

٣- انظر: د. يوسف القرضاوي، فتاوى معاصرة، جـــ٢، صـــ ١٩٥.

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً" [رواه مسلم، الحديث ١٠٧٠].

عن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: "المسجدُ بيتُ كلِّ تقيٍّ، وتَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ كانَ المسجدُ بيتَه بالرَّوْحِ والرحمةِ والجوازِ على الصِّراطِ إلى رضوانِ الله إلى الجنَّةِ" [رواه الطبراني والبزار بسند صحيح].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ"؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ" [رواه مسلم، الحديث ٣٦٩].

٢- المسجد حفظ من الشيطان:

عن معاذ بن جبل ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ؛ يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ، فَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ" [رواه أحمد، الحديث ٢١٠٢٠][1].

٣- من علامات الإيمان:

عن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ [رواه الترمذي، الحديث ٣٠١٨][2].

١- قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم في المستدرك على شرط الشيخين ج١، ص٤٢٢ ووافقه الذهبي.

٢- قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

ثالثاً: آداب المساجد:

فللمسجد آداب تتدرج في درجات العلو حتى يصل إلى حد السنة المؤكدة، وينحدر في دركات النزول حتى يصل إلى حد الحرمة:

أ- سنن المساجد:

١- الدعاء عند التوجه إليها:

ويسن الدعاء حين التوجه إلى المسجد بما في حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ خرج إلى الصلاة وهو يقول: "**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا**"[رواه مسلم، من الحديث ١٢٨٠].

وقد ورد هذا الدعاء بروايات متعددة عند مسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وأحمد، فليتخير المؤمن أيها شاء.

٢- السعي بالسكينة والوقار:

فالذاهب إلى المسجد لابد أن يتصف بسمات المؤمن في مشيه وهو السكينة والوقار لقوله صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة ﷺ: "**إِذَا سَمِعْتُمْ الإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَلا تُسْرِعُوا فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**" [رواه البخاري، الحديث ٦٠٠]. والسكينة: هي التأني في الحركات واجتناب العبث، والوقار في الهيئة كغض البصر وخفض الصوت

وعدم الالتفات، وأما الإسراع الذي لا ينافي الوقار كمن خاف فوت التكبيرة فلا يكره[1].

٣- آداب دخول المسجد:

فيستحب لمن أراد دخول المسجد أن يلتزم بالسنن الآتية:

(أ) الدخول بالرجل اليمنى.

(ب) أن يدعو بالأدعية الآتية:

عن أبي أسيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ**" [رواه مسلم، الحديث ١١٦٥]، وعنه أيضًا ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، فَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ**" [رواه أبو داود، الحديث ٣٩٣].[2]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: "**أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنْ الشَّيْطَانِ**"[رواه أبو داود، من الحديث ٣٩٤].[3]

(ج) أن يصلي ركعتين تحية المسجد، لحديث أبي قتادة السَّلَمِيِّ أن رسول الله ﷺ قال: "**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ**"

١- انظر في شرح هذا الحديث فتح الباري للحافظ ابن حجر، فقد أتى فيه بكلام غالٍ نفيس.

٢- قال الإمام ابن تيمية في الكلم الطيب، ص١٣: حديث صحيح.

٣- قال الإمام النووي في كتابه الأذكار ص٢٨: حديث حسن رواه أبو داود بإسناد جيد.

[رواه البخاري، الحديث ٤٢٥]، وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ تحيّة المسجد الحرام الطّواف للقادم لمكّة، سواء أكان تاجرًا أو حاجًّا أو غيرهما، لقول عائشة رضي الله عنها: "أَوَّلَ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ تَوَضَّأَ ثُمَّ طَافَ" [رواه البخاري، من الحديث ١٥١٠].

وركعتا تحيّة المسجد الحرام تجزئ عنهما الرّكعتان بعد الطّواف، ويجزئ عن تحية المسجد صلاة الفرض الحاضرة عند الدخول كما ذكر الفقهاء[1].

(د) يستحب لمن أراد أن يخرج من المسجد أن ينوي العودة إليها لاحقًا في أقرب وقت؛ حتى يتحقق فيه تعلق القلب بالمساجد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ؛ الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ....." [رواه البخاري، من الحديث ٦٢٠].

(هـ) الدعاء عند الخروج، فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**إن أحدكم إذا أراد أن يخرج من المسجد تداعت جنود إبليس وأجلبت واجتمعت كما يجتمع النحل على يعسوبها، فإذا أقام أحدكم على باب المسجد فليقل: اللهم إني أعوذ بك من إبليس وجنوده فإنه إذا قالها لم يضره**" [رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة]،[2] واليعسوب: هو ذكر النحل، وقيل: أميرها.

١- الموسوعة الفقهية الكويتية، جـ ١٠، صـ ٢١٤.

٢- أورده الإمام النووي في أذكاره، ص ٢٩.

ب- ما يباح فعله في المسجد:

١- النوم فيه:

يجوز النوم في المسجد من غير كراهية؛ لأن أهل الصُّفة كانوا ينامون في المسجد، وبعض الوفود الذين كانوا يأتون إلى المدينة مسلمين كانوا ينامون في المسجد أيضًا على عهد الرسول ﷺ فعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّهُ كَانَ يَنَامُ وَهُوَ شَابٌّ أَعْزَبُ لا أَهْلَ لَهُ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ. [رواه البخاري، الحديث ٤٢١].

وقد قيده بعض الفقهاء أن يكون النوم من أجل انتظار الصلاة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تتخذوه مقيلاً، وقال الإمام أحمد وغيره: إن كان مسافرًا وشبهه فلا بأس، وإن اتخذه مقيلاً ومبيتًا فلا[1].

٢- الأكل والشرب:

يجوز الأكل والشرب في المسجد لفعل أهل الصُّفة على عهد رسول الله ﷺ، إلا إذا كان في الطعام ما يكره تناوله كالثوم والبصل والكراث والفجل، وعلى الآكل أن يتجنب تلويث بساط المسجد قدر الإمكان، فإن وقع من الطعام شيء وجب عليه تنظيفه.

٣- عقد النكاح:

يباح عقد النكاح في المسجد من غير كراهة ما لم يرتكب عليه من الأمور ما يخل بمكانته كارتفاع الأصوات والتضييق على المصلين، بل قال بعض الفقهاء إنه مستحب، مستدلين بحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي

١- انظر: د. محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، جـ ١، صـ ٣٦٨.

ﷺ قال: "أَعْلِنُوا هَذَا النِّكَاحَ وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسَاجِدِ" [رواه الترمذي، من الحديث ١٠٠٩]١.

٤- القضاء وفصل الخصومات:

يجوز القضاء بين الناس في المسجد، وفصل الخصومات، لكن لا ينبغي للقاضي أن يتخذه مكانًا للقضاء بصفة دائمة.

وقضى النبي ﷺ بين رجلين من أصحابه في المسجد، وهما كعب بن مالك وابن أبي حَدْرد. [رواه البخاري، من الحديث ٤٣٧].

قال البخاري: وقضى شريح والشعبي ويحيى بن يعمر في المسجد.

يعني: حكموا بين المتخاصمين، ولم ينكر عليهم أحد من فقهاء عصرهم[٢].

٥- دخول الصبيان والأولاد فيها:

ويقصد بالصبي: كل صغير لم يبلغ الحلم، ودخولهم المسجد جائز، بل إنْ قَصد به تربيتهم على التزام المساجد والتعبد كان ذلك تدريبًا لهم على ارتياد المساجد وتعلّق قلوبهم بها، وذلك بشرط ألا يترتب على هذا الحضور تشويش للمصلين والمتعبّدين؛ فنرى كثيرًا من صحابة رسول الله ﷺ كانوا صبيانًا في أواخر عمره صلى الله عليه وسلم ولَمَّا يبلغوا الحلم من أمثال عبد الله بن عمر وابن عباس وابن الزبير وغيرهم كثير (رضي الله عنهم أجمعين)، وكانوا يترددون على المسجد، ويشهدون الخير وأصبح منهم أئمة وقادة فيما بعد.

١- حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ١٠٧٢، وانظر:د.محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، جـ ١، ص ٣٦٩.

٢- انظر:د.محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، ج ١، ص٣٧٠.

وقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها حديثا ذا دلالة على حرص المسلمين من الصدر الأول على إحضار صبيانهم إلى المسجد فقالت: أعتم رسول الله ﷺ بالعتمة[1] حتى ناداه عمر: نام النساء والصبيان، فخرج صلى الله عليه وسلم فقال: "مَا يَنْتَظِرُهَا أَحَدٌ غَيْرُكُمْ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ"ولا يُصَلَّى يومئذ إلا بالمدينة وكانوا يُصلون العتمة فيما بين أن يغيب الشفق إلى ثلث الليل الأول.[رواه البخاري، من الحديث ٨١٧].

تربية وصبر ومجاهدة منذ الصغر:

بل إن نساء الصحابة كانوا يذهبون بصبيانهم إلى المسجد لتمضية الأوقات في معان تربوية عالية كما روت الرُّبَيِّع بنت مُعوِّذ بن عفراء قالت: أرسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: "**مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ**"، فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ نَصُومُهُ وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصِّغَارَ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَنَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَنَصْنَعُ لَهُمْ اللُّعْبَةَ مِنْ الْعِهْنِ[2] فَنَذْهَبُ بِهِ مَعَنَا فَإِذَا سَأَلُونَا الطَّعَامَ أَعْطَيْنَاهُمْ اللُّعْبَةَ تُلْهِيهِمْ حَتَّى يُتِمُّوا صَوْمَهُمْ. [رواه مسلم، من الحديث ١٩١٩]. قال الإمام النووي: "وفي هذا الحديث تمرين الصبيان على الطاعات وتعويدهم العبادات.."[3]

وكأنّي بنساء الأنصار يرون أن يجتمع صبيانهم مع بعضهم بعضًا في هذا الوقت من الصوم حتى يروا بعضهم وهم صائمون فيمضي الوقت باللعب

١- العتمة: صلاة العشاء.

٢- العهن: الصوف

٣- يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم.

في المكان المقدس الطاهر، فيشبوا على مثل هذه المعاني الجليلة العظيمة.

٦- دخول الكافر المسجد:

قال أكثر الفقهاء على اختلاف مذاهبهم: يباح دخول الكفار المسجد بإذن مسلم لضرورة كتعمير مرافقه وإصلاحها، فقد ربط المسلمون ثُمامة بن أُثال الحنفي في المسجد وقد كان كافرًا. [رواه البخاري، من الحديث ٢٢٤٤].

وهذا في كل المساجد إلا المسجد الحرام فإنه لا يدخله إلا المسلمون، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾[1].

٧- التحدث بالحديث المباح:

قال الإمام النووي: "يجوز التحدث بالحديث المباح في المسجد وبأمور الدنيا وغيرها من المباحات وإن حصل فيه ضحك ونحوه ما دام مباحًا"[2]؛ لحديث جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ كَانَ لا يَقُومُ مِنْ مُصَلاهُ الَّذِي يُصَلِّي فيه الصبحَ أَوْ الْغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَإِذَا طَلَعَتْ الشَّمْسُ قَامَ وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ" [رواه مسلم، الحديث ١٠٧٤].

ج- مكروهات المساجد:

فالمسجد إنما بني ليذكر فيه اسم الله تعالى ويُسبَّح له فيه بالغدو والآصال، ولذلك يكره فيه ما يأتي:

١- من الآية ٢٨ من سورة التوبة.

٢- يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم.

١- نشدان الضالة:

والضالة هي الشيء الضائع وقد ورد النهي عن نشدانها في المسجد، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ لا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا". [رواه مسلم، الحديث ٨٨٠]، والنهي هنا للكراهة، وقيل: إن الضالة هي الناقة أو الجمل، فهي التي لا يسأل عنها في المسجد، أما الأشياء التي تقع فيه غالبًا كالساعة وحافظة النقود ونحو ذلك فلا يكره السؤال عنها في المسجد، ولا يقال لمن سأل عنها: لا ردها الله عليه[1] ويلحق بهذا-أي في الاستثناء من كراهة النشدان- الإعلان عن فقدان الأولاد في محلّة المسجد؛ وذلك حتى يهبّ أهل الحيّ لنجدة المستغيث منهم، بشرط أن يكون هذا الإعلان في غير أوقات الصلوات حتى لا يشوّش على المصلين.

٢- رفع الصوت بالذكر:

يكره رفع الصوت في المسجد بذكر الله وتلاوة القرآن إذا كان يؤدي إلى التشويش على المصلين وطلاب العلم، بل إن بعض الفقهاء أفتى بحرمة رفع الصوت في المسجد مطلقًا لورود الأحاديث المحذّرة من ذلك، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: "اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ فَسَمِعَهُمْ يَجْهَرُونَ بِالْقِرَاءَةِ فَكَشَفَ السِّتْرَ وَقَالَ: "أَلا إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّهُ فَلا يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَلا يَرْفَعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ-أَوْ قَالَ- فِي الصَّلاةِ" [رواه أبو داود، الحديث ١١٣٥].

١- انظر:د.محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، جـ ١، صـ ٣٦٠.

وروى عروة بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال: "...إِنَّ الْمُصَلِّيَ يُنَاجِي رَبَّهُ فَلْيَنْظُرْ بِمَا يُنَاجِيهِ بِهِ، وَلا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ" [رواه مالك، من الحديث ١٦٣].١

وقد ورد أن عمر بن الخطاب ﷺ بنى رحبة في ناحية المسجد تسمى الْبُطَيْحاء وقال: من كان يريد أن يلغط أو ينشد شِعرًا أو يرفع صوته فليخرج إلى هذه الرَّحبة. [رواه مالك في الموطأ]. ٢

فعلى المسلم- بمقتضى هذه الأحاديث وغيرها- أن يخفض صوته في المسجد بقدر الإمكان؛ حتى لا يشوش على غيره من المصلين، إذ لا ضرر ولا ضرار، وكل يناجي ربه، والله سميع بصير.

٣- تشبيك الأصابع:

يُكره تشبيك الأصابع عند الخروج إلى الصلاة وفي المسجد عند انتظارها ولا يُكره فيما عدا ذلك ولو كان في المسجد، فعن كعب بن عُجرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ خَرَجَ عَامِدًا إِلَى الْمَسْجِدِ فَلا يُشَبِّكَنَّ بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَإِنَّهُ فِي صَلاةٍ. [رواه الترمذي، الحديث ٣٥٢]٣، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: دخلت المسجد مع رسول الله ﷺ فإذا رجل جالس وسط المسجد مُحْتَبِيًا مُشَبِّكًا أصابعه بعضها على بعض فأشار إليه رسول الله ﷺ فلم يفطن لإشارته

١- قال الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح ج١، ص٢٧١: إسناده صحيح.

٢- حسنه الحافظ في الفتح ج١٣، ص١٩٤.

٣- قال الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح ج١، ص٣١٤: الحديث صحيح.

فالتفت رسول الله ﷺ فقال: "إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الْمَسْجِدِ فَلا يُشَبِّكَنَّ فَإِنَّ التَّشْبِيكَ مِنْ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لا يَزَالُ فِي صَلاةٍ مَا دَامَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ"[1] [رواه أحمد، الحديث ١٠٩٥٨][2].

٤- إخراج الريح:

ويكره إخراج الريح عمدًا في المسجد صيانة له عن الرائحة الكريهة، ولما يترتب عليه من إيذاء مَنْ به؛ ولأن الملائكة تستغفر للعبد الجالس فيه لانتظار الصلاة ما دام على طهر، فإذا أحدث حُرم من استغفارهم له، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "الْمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ تَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ" [رواه البخاري، الحديث ٤٢٦]، وعنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا يَزَالُ الْعَبْدُ فِي صَلاةٍ مَا كَانَ فِي مُصَلاهُ يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ وَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ حَتَّى يَنْصَرِفَ أَوْ يُحْدِثَ، قُلْتُ: مَا يُحْدِثُ؟ قَالَ: يَفْسُو أَوْ يَضْرِطُ" [رواه مسلم، الحديث ١٠٦١].

ولذلك كره بعض الفقهاء الجلوس في المسجد على غير طهارة.

٥- التكسب في المسجد:

ويكره التكسب في المسجد واتخاذه مكانًا لبعض الحِرف كالحياكة والنجارة؛ لأن المساجد جعلت للعبادة ومجالس العلم.

أما إذا جلس الرجل فيه ينتظر الصلاة فخاط ثوبه، أو أصلح متاعه فلا بأس في ذلك؛ لحديث عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن رسول الله

١- انظر: د.محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، جـ ١، صـ ٣٧٢.

٢- قال في مجمع الزوائد: إسناده حسن. وانظر: نيل الأوطار للشوكاني ج٤، ص٣٩٠.

ﷺ نهى عن الشِّراء والبيع في المسجد.[رواه أبو داود، من الحديث ١١٩]١

وأفتى الحنابلة بحرمة البيع والشراء لظاهر الحديث، وقال الحنفية: يكره البيع والشراء إذا عمَّ المسجد حتى أصبح كالسوق، أما إن قل و لم يعمّ المسجد فهو جائز بلا كراهة.٢

السوق الخيري:

وتخريجًا على قول الأحناف بجواز البيع والشراء في المسجد إذا لم يعمه فيصبح كالسوق يمكن القول في الأسواق الخيرية التي تقام في بعض المساجد وفي بعض مواسم العام كدخول المدارس والأعياد، حيث يقوم أهل الخير والفضل بعمل سوق خيري في المسجد لمساعدة الفقراء والمساكين وذوي الحاجة بتوفير حاجاتهم الأساسية بأسعار رمزية يعود ريعها ويوزع على الخير، ويقام هذا السوق عادة في مصلى النساء أو في دار المناسبات الملحقة بالمسجد، هذا النوع من السوق يمكن إلحاقه بما ذكره الأحناف سابقًا، ولكن لابد أن توضع ضوابط لهذا العمل الخيري؛ حتى لا يعود على مقاصد بناء المسجد بالإلغاء:

أولاً: لابد أن يقام هذا السوق في غير أوقات الصلوات وفي غير وقت خطبة الجمعة وصلاته؛ حتى لا يشوش على المصلين.

ثانياً: لابد أن يراعي فيه دقة الترتيب والتنظيم؛ حتى لا يؤدي إلى الاضطراب فهو – أولاً– سوق خيري وثانيًا يقام في مسجد.

١- قال الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح ج١، ص٢٢٨: إسناده حسن.

٢- انظر:د.محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، جـ ١، صـ ٣٥٩.

ثالثًـــا: لابد أن تراعى فيه أحكام المسجد المذكورة في هذا الكتاب من اجتناب المحرمات والمكروهات.

رابعًـــا: أن تقلّ أيام إقامته بقدر الإمكان بما يحقق الغرض والهدف من أجله، فهو عمل يقام استثناء من الأصل، فلابد أن يُقَدَّر بقدره.

خامسًا: مراعاة هذه الضوابط والأحكام ملقاة على عـــاتق القـــائمين والمسئولين عن إقامة هذا السوق الخيري فينبغي علمهم وانضباطهم بهـــذه الأحكام والضوابط.

رابعًا: ما يحرم فعله في المسجد:

١- رفع الصوت في المسجد:

يحرم رفع الصوت على وجه يشوش على المصلين ولو بقراءة القـــرآن؛ ويستثنى من ذلك درس العلم، فعن ابن عمر أن النبي ﷺ خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال:"**إِنَّ الْمُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّـــهُ ﷻ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يُنَاجِيه ؟ وَلاَ يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِـــالْقُرْآنِ**"[رواه أحمد بسند صحيح].

وعن السَّائب بن يزيد قال: **كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ، فَحَصَبَنِي رَجُـــلٌ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب، فَقَالَ، اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَـــا، قَالَ: مَنْ أَنْتُمَا أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ قَالا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، قَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لأَوْجَعْتُكُمَا؛ تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّـــهِ ﷺ**، وفي رواية: "**كَانَ عُمَرُ يَقُولُ: لا تُكْثِرُوا اللَّغَطَ، فَدَخَلَ الْمَـــسْجِد، فَـــإِذَا هُـــوَ بِرَجُلَيْنِ قَدْ اِرْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَقَالَ: إِنَّ مَسْجِدَنَا هَـــذَا لَا يُرْفَـــعُ فِيـــهِ الصَّوْتِ**"، قال الحافظ في الفتح: وَمِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ يَتَبَيَّنُ كَوْن هَذَا الْحَدِيث

لَهُ حُكْم الرَّفْعِ؛ لأَنَّ عُمَرَ لا يَتَوَعَّدُهُمَا بِالْجَلْدِ إِلا عَلَى مُخَالَفَةِ أَمْرٍ تَوْقِيفِيٍّ[1].

وارتفاع الأصوات في المساجد من أسباب البلاء وحلول النقم، فعن عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**إِذَا فَعَلَتْ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً حَلَّ بِهَا الْبَلاءُ**، فَقِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: "**إِذَا كَانَ الْمَغْنَمُ دُوَلاً، وَالأَمَانَةُ مَغْنَمًا، وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَعَقَّ أُمَّهُ، وَبَرَّ صَدِيقَهُ وَجَفَا أَبَاهُ، وَارْتَفَعَتْ الأَصْوَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَشُرِبَتْ الْخُمُورُ، وَلُبِسَ الْحَرِيرُ، وَاتُّخِذَتْ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ أَوْ خَسْفًا وَمَسْخًا**"[رواه الترمذي، الحديث ٢١٣٦].[2]

٢- دخول من أكل ثومًا أو بصلاً المسجد:

وينبغي على المسلم الذي يريد حضور صلاة الجماعة في المسجد ألا يأكل ثومًا أو بصلاً؛ لنهيه صلى الله عليه وسلم من أكلهما عن دخول المسجد؛ فعن معدان ابن أبي طلحة قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم جمعة فقال في خطبته: "**أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لا أَرَاهُمَا إِلا خَبِيثَتَيْنِ: هَذَا الْبَصَلَ وَالثُّومَ، لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنْ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَقِيعِ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخًا**" [رواه مسلم، الحديث ٨٧٩].

وقال صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا**"[رواه مسلم، من الحديث ٨٧٣]، وقال: "**إِنْ كُنْتُمْ لابُدَّ آكِلِيهِمَا فَأَمِيتُوهُمَا**

١- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج١، ص٧٣٨.

٢- قال الألباني في تحقيق المشكاة ج٣، ص١٥٠٠: إسناده ضعيف.

طَبْخًا"، قال: يعني البصل والثوم.[رواه أبو داود، من الحديث ٣٣٣١].

ويقاس على الثوم والبصل كل ما له رائحة كريهة يتأذى بها الناس كالفجل والكراث، والدخان، وكصاحب البخر[1] ومن به جرح منتن، أو صاحب الثياب القذرة؛ لأن إيذاء الناس لا يجوز لحديث: "**لا ضَررَ وَلا ضِرَارَ**"[رواه أحمد، من الحديث ٢٧١٩].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه **أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الثُّومُ وَالْبَصَلُ وَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَشَدُّ ذَلِكَ كُلِّهُ الثُّومُ أَفَتُحَرِّمُهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "كُلُوهُ؛ وَمَنْ أَكَلَهُ مِنْكُمْ فَلا يَقْرَبْ هَذَا الْمَسْجِدَ حَتَّى يَذْهَبَ رِيحُهُ مِنْهُ"**[رواه أبو داود، الحديث ٣٣٢٧].

كما أن المنع قائم وإن كان المسجد خاليًا لتأذي الملائكة بذلك أيضًا، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُنْتِنَةِ فَلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ الإِنْسُ**"[رواه مسلم، من الحديث ٨٧٤].[2]

٣- إنشاد الشعر للفخر والهجاء:

يحرم إنشاد الشعر في المسجد إذا كان للفخر والهجاء، أو كان غزلاً قبيحًا، **فعَنْ** عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما **عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنْ تَنَاشُدِ الأَشْعَارِ فِي الْمَسْجِدِ**.[رواه الترمذي، من الحديث ٢٩٦].[3]

والشعر المنهي عنه هو ما اشتمل على فحش أو هَجْوِ مسلمٍ أو مدحِ

١- البخر: رائحة كريهة تنبعث من الفم.

٢- انظر: د.محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، ج١، ص(٣٥٦-٣٥٧).

٣- قال الحافظ في الفتح (ج١، ص٧٢٢): إسناده صحيح.

ظالم ونحو ذلك، أما ما كان حكمة أو مدحًا للإسلام أو حثًا على برّ فإنه لا بأس به، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مَرَّ عُمَرُ فِي الْمَسْجِدِ وَحَسَّانُ يُنْشِدُ فَقَالَ: كُنْتُ أُنْشِدُ فِيهِ، وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فَقَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ! أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ"، قَالَ: نَعَمْ. [رواه البخاري. الحديث ٢٩٧٣].[1]

٤- الانتفاع بمرافق المسجد وأدواته:

كل ما وقف للمسجد كالحصر، والمصابيح، والمكانس، وأدوات التنظيف الأخرى، أو المياه فهو مقصور عليه لا يجوز إخراجه منه ولا استخدامه في غيره.

واعلم أيها المسلم أن أخذ أي شيء من أدوات المسجد ذنب كبير وخيانة عظمى، وكذلك إتلافه والتفريط فيه والإسراف في استخدامه.

فعلى خدم المساجد والقائمين عليها أن يتقوا الله في بيوت الله عز وجل فيقومون بواجبهم نحوها بأمانة وإخلاص، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، ويزيدهم من فضله إنه كريم وهاب[2].

٥- تلويث المسجد:

المساجد بيوت العبادة فيجب صيانتها من الأقذار والروائح الكريهة، فقد ورد أن النبي ﷺ قال: "إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ

١- انظر: السيد سابق، فقه السنة، ج١، ص(٢١١-٢١٢).

٢- انظر: د.محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، جـ ١، صـ ٣٧٣.

وَلا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَالصَّلاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ"[رواه مسلم، من الحديث ٤٢٩].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "الْبُزَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا". [رواه البخاري، الحديث ٣٩٨].

وعن سعد ابن أبي وقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إِذَا تَنَخَّمَ أَحَدُكُمْ فِي الْمَسْجِدِ فَلْيُغَيِّبْ نُخَامَتَهُ أَنْ تُصِيبَ جِلْدَ مُؤْمِنٍ أَوْ ثَوْبَهُ فَتُؤْذِيَهُ"[رواه أحمد، الحديث ١٤٦١][1]، وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَلا يَبْصُقْ أَمَامَهُ فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللَّهَ مَا دَامَ فِي مُصَلاهُ وَلا عَنْ يَمِينِهِ فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ فَيَدْفِنُهَا"[رواه البخاري، الحديث ٣٩٩]، وعن أبي أُمامة ﷺ مرفوعًا قال: "مَنْ تَنَخَّعَ فِي الْمَسْجِد فَلَمْ يَدْفِنهُ فَسَيِّئَةٌ، وَإِنْ دَفَنَهُ فَحَسَنَةٌ" [رواه الطبراني، ٨٠٩٢][2]؛ فلم يجعله سيِّئة إلا بقيد عدم الدفن، ونحوه حديث أبي ذر ﷺ مرفوعًا قال: "عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا: الأَذَى يُمَاطُ عَنْ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا: النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لا تُدْفَنُ" [رواه مسلم الحديث ٨٥٩]، قال القرطبي: فلم يثبت لها حكم السيئة لمجرد إيقاعها في المسجد بل بتركها غير مدفونة. وورد عن أبي عبيدة بن الجراح ﷺ أَنَّهُ تَنَخَّمَ فِي الْمَسْجِدِ لَيْلَة، فَنَسِيَ أَنْ يَدْفِنهَا حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَنْزِله، فَأَخَذَ شُعْلَة

١- قال الشوكاني في نيل الأوطار ج٢، ص٣٩٨: رواه أحمد بإسناد حسن.

٢- قال الشوكاني في نيل الأوطار ج٢، ص٣٩٨: رواه الطبراني- ج٨، ص٢٨٤ بإسناد حسن.

مِنْ نَار ثُمَّ جَاءَ فَطَلَبهَا حَتَّى دَفَنَهَا، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَكْتُب عَلَيَّ خَطِيئَة اللَّيْلَة". [رواه سعيد بن منصور في سننه] فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْخَطِيئَة تَخْتَصّ بِمَن تَرَكَهَا لا بِمَنْ دَفَنَهَا، وَعِلَّة النَّهْي تُرْشِد إِلَيْهِ وَهِيَ تَأَذِّي الْمُؤْمِن بِهَا.[1]

وهذا التوجيه النبوي بالبصق يسارًا أو تحت القدمين إنما كان لأجل أن أرض المساجد في ذلك الوقت كانت مفروشة بالرمل أو الحصى فيمكن تنفيذ هذا التوجيه، أما في عصرنا الحاضر والمساجد مفروشة بالسجاد وغيره فلا يمكن تنفيذ هذا التوجيه، ولا يبعد إن قلنا بكراهته الشديدة، بل بحرمته كما يقول الشافعية في حكم تلويث المسجد بالشيء الرطب دون اليابس وتأذي المصلين به.

خامسًا: النساء والمسجد[2]:

إن المسجد هو المؤسسة الأولى في المجتمع المسلم فهو مركز العبادة -أولاً- ومركز العلم -ثانيًا- ومركز النشاط الاجتماعي والسياسي -ثالثًا- لهذه العوامل مجتمعة كان يفسح المجال للمرأة في العهد النبوي؛ لتغشى المسجد كلما تيسر لها ذلك، وكان ترددها على المسجد بين حين وآخر يجعلها ترتبط مباشرة بحياة المسلمين العامة.

ففضلاً عن مشاركتها في العبادة وسماع القرآن يتلى في الصلاة فإنها تستمع لدروس العلم وكلمات التوجيه العامة، وتعرف شيئًا من أخبار

١- انظر: فتح الباري، ج١، ص ٦٧٣-٦٧٤.

٢- انظر تفصيل هذا المبحث في: عبد الحليم أبو شقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، القاهرة: دار القلم للنشر والتوزيع، (١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، ط٤، ج٢ [مشاركة المرأة المسلمة في الحياة الاجتماعية]، ص(١٧٨-٢٠٣).

المسلمين الاجتماعية والسياسية، وفوق ذلك كله تتعرف علـــى أخواتهـــا المؤمنات وتتوثق علاقات الصداقة والمودة، وهذا يعني أن المسجد كان على عهد النبي ﷺ مركز إشعاع عبادي وثقافي واجتماعي للرجل والمرأة علـــى السواء.

سلب الحقوق ممنوع:

ولا يجوز لأحد سلب حق المرأة في غشيان المسجد، إذ إن إجبارها على الصلاة في البيت بدعوى أنه أفضل، فيه اقتراف معصية، وذلك بمخالفة نهي الرسول ﷺ عن منع النساء المساجد.

فقد حرص رسول الله ﷺ على تأكيد حق المرأة في غـــشيان المـــسجد وصيانة هذا الحق من أي عدوان، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنـــهما عن النبي ﷺ قال: "**إِذَا اسْتَأْذَنَكُمْ نِسَاؤُكُمْ بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَأْذَنُوا لَهُـــنَّ**" [رواه البخاري، الحديث ٨١٨].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كانت امرأة لعمر تـــشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد فقيل لها: لم تخـــرجين وقـــد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعـــه قول رسول الله ﷺ: "**لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ**"[رواه البخـــاري، الحـــديث ٨٤٩].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعـــت رســـول الله ﷺ يقول: "**لا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمْ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا**"، فقال بلال بن عبد الله بن عمر(رضي الله عنهم): والله لنمنعهن، قال: فأقبل عليه عبد الله فسبه

سبًا سيئًا ما سمعته سبه مثله قط وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقــول: والله لنمنعهن. [رواه مسلم، الحديث ٦٦٧].

تعدد الدواعي:

وقد تعددت الأسباب لذهاب المرأة إلى المسجد ما بين مباح ومندوب وواجب.

أداء الصلاة:

ونخصّ بالذكر هنا صلاتين لا تلتفت إليها نساء اليوم ألا وهي الــصبح والعشاء لمجيئهما في وقت الليل، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كن نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله ﷺ صلاة الفجر مُتَلَفِّعات[1] بمــروطهن[2] ثم ينقلبن[3] إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة لا يعرفهن أحد من الغَلَــس[4].[رواه البخاري، الحديث ٥٤٤]، وعنها أيضًا رضي الله عنها قالت: أعتم رسول الله ﷺ بالعتمة حتى ناداه عمر: نام النِّساء والصِّبيان فخرج النبيُّ ﷺ فقــال: "مَــا يَنْتَظِرُهَا أَحَدٌ غَيْرُكُمْ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ"وَلا يُصَلَّى يَوْمَئِذٍ إِلا بِالْمَدِينَةِ، وَكَانُوا يُصَلُّونَ الْعَتَمَةَ فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَغِيبَ الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ الأَوَّلِ. [رواه البخاري، الحديث ٨١٧].

صلاة مهجورة من النساء:

ألا وهي صلاة الجنازة، ففيها الأجر العظيم، غير ما تتذكر المرأة هــذه

١- متلفعات: أي متسترات بثوب يغطي جسدهن كله.

٢- مروطهن: المروط جمع مرط وهو كل ثوب غير مخيط تجعله المرأة حول وسطها.

٣- ينقلبن: يرجعن.

٤- الغلس: ظلمة آخر الليل بعد طلوع الفجر.

الصلاة الدار الآخرة وعظمتها، والدنيا وحقارتها، فعن عائشة رضي الله عنها أنها لما توفي سعد ابن أبي وقاص أرسل أزواج النبي ﷺ أن يمروا بجنازته في المسجد فيصلين عليه فوُقِفَ به على حُجُرهن يصلين عليه. [رواه مسلم، من الحديث ١٦١٦].

خلوة مع الله:

الاعتكاف هو قطع النفس عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق، والأصل أن يكون في المسجد، وعلى هذا الهدي اعتكفت نساء المؤمنين في الصدر الأول، فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده. [رواه البخاري، الحديث ١٨٨٦]، حتى إن الإمام مالك لما سئل عن الرجل قد أذن لامرأته وأمته في الاعتكاف فلما بدءوا به أراد منعهم، قال: ليس ذلك له[1]

تربية عملية:

فعلى الأخت المسلمة أن تقتطع وقتًا من أوقاتها تنفرد فيه بعبادة خالقها وتحاسب نفسها على ما عملت من أعمال صالحة وطالحة، أما الأولى فتتأكد من خلوصها لربها سبحانه، وأما الثانية فتتوب وتثوب إلى خالقها من العودة إلى تلك المخالفات، ويمكن أن يكون هذا الاعتكاف في أي ساعة من ليل أو نهار، وليكن مثلاً بين المغرب والعشاء في يوم من الأسبوع، وحبذا لو كان الإكثار من مثل هذه الأوقات في أيام المواسم الإيمانية كرمضان وعشر من ذي الحجة وتاسوعاء وعاشوراء وغيرها.

١- انظر المدونة الكبرى جـ ١، ص ٢٣٠- ٢٣١. نقلاً عن تحرير المرأة لأبي شقة.

خدمة المسجد:

وهي من الأعمال العظيمة الجليلة، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنْ الْمَسْجِدِ". [رواه أبو داود، من الحديث ٣٩٠][1]. وهو ليس مقصورًا على الرجل فقط، بل على النساء أن يضربن فيه بنصيب كما روى أبو هريرة ﷺ أَنَّ رجلاً أسود أو امْرَأَةً سوداء كان يَقُمُّ[2] المسجد فمات فسأل النبيُّ ﷺ عنه فقالوا: مات، قال: "أَفَلا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ[3]، دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ- أَوْ قَالَ - قَبْرِهَا"، فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا" [رواه البخاري، الحديث ٤٣٨].

ضوابط وشروط:

ولا شك أن خروج المرأة المسلمة للمشاركة في الحياة العامة من خلال المسجد لابد أن يكون منضبطًا بضوابط وضعها الشارع الحكيم؛ وذلك حتى تتحقق المصلحة من وراء هذا العمل، ونجمل هذه الضوابط فيما يلي:

١- الاستئذان:

فعلى المتزوجة من النساء أن يسبق خروجها إلى المسجد استئذان من زوجها لأنه حق له، أما غير الأزواج من أولياء المرأة فلا يجوز لهم منعها من الخروج بل يحرم عليهم ذلك، كما نص على هذا الإمام النووي في شرحه لحديث: "لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ"، (وهذا النهي عن منعهن من

١- قال الألباني في تحقيق المشكاة ج١، ص٢٢٤: ضعيف.

٢- يقم: يكنس.

٣- آذنتموني: أعلمتموني.

الخروج محمول على كراهة التنـزيه إذا كانت المرأة ذات زوج، فإن لم يكن لها زوج حَرُمَ المنع).[1]

٢- مفاتن تُجتنب:

كما يجب على المرأة المسلمة حين خروجها للمسجد وغيره أن لا تكون متطيبة لحديث زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: "**إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِدَ فَلا تَمَسَّ طِيبًا**". [رواه مسلم، الحديث ٦٧٤]. ويؤخذ من هذا الحديث اجتناب المرأة لكل ما يفتن كالتزيّن ولبس الثياب الفاخرة اللافتة وغيرها من المفاتن.

٣- تعارض المصالح والمفاسد:

وغنيٌّ عن البيان أن خروج المرأة إلى المسجد إذا أدى إلى مفاسد تزيد على مصلحة الخروج، فبقاؤها في البيت أفضل، وكذلك إذا تعارضت مصالح أخرى أوجب وأولى من الخروج إلى المسجد كرعاية والدين مريضين وتعهدهما، أو أطفال صغار لا عائل لهم، أو حفظ مال يضيع بالخروج أو ما أشبه ذلك.

مكث الحائض في المسجد[2]:

اختلف الفقهاء كثيرًا في لبث الجنب والحائض في المسجد، بلا وضوء، لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ**

١- يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم.

٢- د.يوسف القرضاوي، دخول الحائض المسجد وجلوسها فيه، موقع إسلام أون لاين، ٢٠٠٦/٢/٢٧، بتصرف يسير.

ما تَقُولُونَ ولا جُنُباً إلا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتّى تَغْتَسِلُوا﴾[1] ومعنى (عابري سبيل): أي مجتازي طريق.

وأجاز الحنابلة اللبث للجنب في المسجد إذا توضأ، لما روى سعيد بن منصور والأثرم عن عطاء بن يسار قال: رأيت رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ، يجلسون في المسجد، وهم مجْنبون، إذا توضأوا وضوء الصلاة[2].

ترجيح جواز اللبث في المسجد للجنب والحائض:

وهناك من الفقهاء من أجازوا للجنب –وكذلك للحائض والنفساء– اللبث في المسجد، بوضوء أو بغير وضوء، لأنه لم يثبت في ذلك حديث صحيح، وحديث "فَإِنّي لا أُحِلُّ الْمَسْجِدَ لِحَائِضٍ وَلا جُنُبٍ" [رواه أبو داود، الحديث ٢٠١]. ضعفوه، ولا يوجد ما ينهض دليلاً على التحريم، فيبقى الأمر على البراءة الأصلية.

وإلى هذا ذهب الإمام أحمد والمزني وأبو داود وابن المنذر وابن حزم، واستدلوا بحديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما: "إِنَّ الْمُسْلِمَ لا يَنْجُسُ" [رواه البخاري، الحديث ٢٧٤]، وكذلك قياس الجنب على المشرك، فقد أجيز للمشرك وغير المسلم دخول المسجد، فالمسلم الجنب أولى.

واتباعًا للأدلة، وجريًا على منهج التيسير والتخفيف، وخصوصًا على الحائض، فإنها أولى بالتخفيف من الجنب، لأن الجنابة يجلبها الإنسان باختياره، ويمكنه وقفها باختياره، أي بالغسل، بخلاف الحيض، فقد كتبه

١– من الآية ٤٣ من سورة النساء.

٢– قال بن كثير: إسناده صحيح على شرط مسلم.

الله على بنات آدم، فلا تملك المرأة أن تمنعه، ولا أن تدفعه قبل أوانه، فهي أولى بالعذر من الجنب. وبعض النساء يحتجن إلى المسجد لحضور درس أو محاضرة أو نحو ذلك، فلا تمنع منه.

*****





الفصل الرابع



من حصاد الفكر

الروحـــانيـــات





الروحانيات

تبحث الروحانيات فيما يتعلق بالعالم غير المادي، كالملائكة عليهم السلام، والجن[1]، وخلق الإنسان[2]، وقد أطلق على هذا القسم من العقائد"**الروحانيات**"على سبيل التغليب، فمن العلماء من يسميه: "**الكونيات**"أو"**الغيبيات**"، ومن العلماء من يجعله والقسم الرابع من تقسيمنا"**السمعيات**"قسمًا واحدًا؛ لأن كل ما ورد من مباحث في هذه الأقسام لا يثبت إلا بالسمع وهو الدليل النقلي من الكتاب أو السنة، وهذا التقسيم إنما هو للدراسة فقط، وسنتكلم في هذا القسم"**الروحانيات**"على عدة أمور منها:

أولاً: الملائكة:

١- وجودهم:

وقد دل الخبر الصادق المتواتر عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ على وجودهم، أما الوارد عن الله ﷻ فقوله تعالى:﴿ **ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾[3] وقوله:﴿ **يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾[4] وغيرها كثير من الآيات.

١- حسن البنا، رسالة العقائد، ص٣٨٢.

٢- انظر: د. محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص ٢٤٣.

٣- من الآية ٢٨٥ من سورة البقرة.

٤- الآية ٢ من سورة النحل.

وأما الوارد عن رسول الله ﷺ فقوله صلى الله عليه وسلم لجبريل في الحديث المعروف عن عمر بن الخطاب، عندما سأله جبريل عن الإيمان: "**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**"[رواه مسلم، من الحديث ٩].

ومن هنا كان إنكار وجودهم كفرًا بإجماع المسلمين بل بنص قوله تعالى:﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا**﴾[1].[2]

٢- صفاهم:

عرّفنا الرسول ﷺ في الحديث الذي ترويه عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنها) أن المادة التي خلقوا منها هي النور فقال صلى الله عليه وسلم: "**خُلِقَتْ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**"[رواه مسلم، من الحديث ٥٣١٤].

ولم يبين لنا الرسول ﷺ أي نور هذا الذي خلقوا منه؛ ولذلك فإننا لا نستطيع أن نخوض في هذا الأمر بمزيد من التحديد؛ لأنه غيب لم يرد فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث.

متى خلقوا ؟

لا ندري متى خلقوا، فالله سبحانه لم يخبرنا بذلك، ولكننا نعلم أن خلقهم سابق على خلق آدم أبي البشر، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا**

١- من الآية ١٣٦ من سورة النساء .

٢- انظر: د. محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص ٢٧٤.

وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[1] والمراد بالخليفة آدم الطَّيْلا، وأمرهم بالسجود حين خلقه، فقال: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[2].

عِظم خلقهم:

قال الله تعالى في ملائكة النار: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[3] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَلَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الأُفُقَ". [رواه أحمد، الحديث ٣٥٦١][4]، وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال في جبريل: "رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ"[رواه مسلم، من الحديث ٢٥٩]. وقال تعالى في وصفه: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ*ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾[5]، وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أذن لي أن أحدث عن حملة العرش: ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام"[6].

١- الآية ٣٠ من سورة البقرة.
٢- الآية ٢٩ من سورة الحجر.
٣- الآية ٦ من سورة التحريم.
٤- قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية جـ١، ص ٤٧: إسناده جيد.
٥- الآيتان ١٩، ٢٠ من سورة التكوير.
٦- قال الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح: إسناده صحيح.

أجنحتهم:

للملائكة أجنحة كما أخبر الله تعالى، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أو أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّموات وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

لا يوصفون بالذكورة والأنوثة:

وقد ضل في هذا الأمر مشركو العرب الذين كانوا يزعمون أن الملائكة إناث، وناقشهم القرآن في هذه القضية، فقال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ*أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[3] ولذلك فإن وصفهم بالأنوثة كفرٌ لمخالفته صريح القرآن، أما وصفهم بالذكورة ففيه فسق وانحراف عن الصراط المستقيم فإن هذا الوصف لم يرد ذكره في الأخبار.

لا يَمَلُّون ولا يتعبون:

فهم يقومون بعبادة الله وطاعته وتنفيذ أوامره، بلا كلل ولا ملل، ولا يدركهم ما يدرك البشر من ذلك، قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾[4] أي: لا يضعفون، وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾[5] أي: لا يملون.

١- الآية ١ من سورة فاطر.

٢- الآيتان ١٤٩، ١٥٠ من سورة الصافات.

٣- الآية ١٩ من سورة الزخرف.

٤- الآية ٢٠ من سورة الأنبياء.

٥- من الآية ٣٨ من سورة فصلت.

عـــددهـــم:

الملائكة خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم:﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ﴾[1] وقال رسول الله ﷺ في البيت المعمور الذي في السماء السابعة: "يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِم"[رواه البخاري، من الحديث ٢٩٦٨].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا"[رواه مسلم، الحديث ٥٠٧٦] ، وإذا تأملنا النصوص الواردة في الملائكة التي تقوم على الإنسان علمت مدى كثرتهم، فهناك ملَك موكل بالنطفة، وملكان لكتابة أعمال الإنسان، وملائكة لحفظه، وقرين ملكي لهدايته وإرشاده.

أسماؤهم:

نحن لا نعرف من أسماء الملائكة إلا القليل، فمنهم"جبريل وميكال"، قال تعالى:﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ*مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[2] ومنهم إسرافيل، ففي دعاء الرسول ﷺ: "اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[رواه مسلم، الحديث ١٢٨٩]، ومنهم: "مالك"خازن النار، قال

١- الآية ٣١ من سورة المدثر.

٢- الآيتان ٩٧،٩٨ من سورة البقرة.

تعالى:﴿ وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَـاكِثُونَ﴾[1]، ومنـهم: "منكر ونكير"، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا الْمُنْكَـرُ وَالآخَـرُ النَّكِيرُ ..."[رواه الترمذي، من الحديث٩٩١][2]، ومنهم: "رضوان"، قال ابن كـثير: "وخازن الجنة يقال له: "رضوان"جاء مصرحًا به في بعض الأحاديث"[3].

أما تسمية ملك الموت بعزرائيل فلا يوجد في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة تسمية هذا الاسم.

الملائكة الكرام بررة:

وصف الله الملائكة بأنهم كرام بررة، قال تعالى:﴿ بِأَيْدِي سَـفَرَةٍ﴾[4]، أي الملائكة لأنهم سفراء الله إلى رسله وأنبيائه، والمعنى أن خلقهم كريم حـسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَـعَ الـسَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ فَلَهُ أَجْرَانِ" [رواه أحمـد، الحـديث ٢٣٠٨٠].

قدرتهـم على التشكـل:

أعطى الله الملائكة القدرة على أن يتشكلوا بغير أشكالهم، فقد أرسل الله جبريل عليه السلام إلى مريم في صورة بشر: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا*فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ

١- الآية ٧٧ من سورة الزخرف.

٢- حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم.

٣- ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١، ص٥٣.

٤- الآية ١٥ من سورة عبس.

لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا*قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا*قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا"[1] وإبراهيم عليه السلام جاءته الملائكة في صورة بشر ولم يَعرف أهم ملائكة حتى كشفوا له عن حقيقة أمرهم، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ*إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ*فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ*فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ*فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾[2]، وجاءوا إلى لوط عليه السلام في صورة شباب حسان الوجوه، وضاق لوط بهم وخشي عليهم من قومه فقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ"[3]، قال ابن كثير: "تبدى لهم الملائكة في صورة شباب حسان امتحانًا واختبارًا"[4]، وقد كان جبريل عليه السلام يأتي في صورة دحية الكلبي[5]، وقد شاهده كثير من الصحابة عندما كان يأتي كذلك، وذلك في حديث الإسلام والإيمان والإحسان المشهور.

منظمون في كل شئوهم:

الملائكة منظمون في عبادهم، وقد حثنا الرسول ﷺ على الاقتداء هم في ذلك فقال: "أَلا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا قَالَ يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ"[رواه مسلم، الحديث ٦٥١]، وفي يوم القيامة يأتون صفوفًا منتظمة، قال

١- الآيات ١٦-١٩ من سورة مريم.

٢- الآيات ٢٤-٢٨ من سورة الذاريات.

٣- الآية ٧٧ من سورة هود.

٤- ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١، ص٤٣.

٥- انظر الجزء السابع من الرياض.

تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[1]، ويقفون صفوفًا بين يدي الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[2] وانظر إلى دقة تنفيذهم للأوامر، فعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: "آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ" [رواه مسلم، الحديث ٢٩٢]، يمكن أن نلاحظ هذه الدق أيضاً من استعراض حديث الإسراء إذ كان جبريل يستأذن في كل سماء ولا يفتح له إلا نعد الاستفسار.

٣- وظائف الملائكة:

من استقرأ نصوص الآيات والأحاديث يلحظ تعدد وظائف الملائكة وكثرتها، ويظهر هذا مما يلي:

تبليغ الوحي:

فمن هذه الوظائف: إبلاغ كلام الله وحكمه إلى عباده المرسلين وقد ثبت ذلك بقوله تعالى عن القرآن:﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ*عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[3] وقوله تعالى:﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ﴾[4]. وقد ثبت بالسنة الصحيحة المتواترة أن الموكل بهذه الوظيفة هو جبريل عليه السلام.

١- الآية ٢٢ من سورة الفجر.

٢- الآية ٣٨ من سورة النبأ.

٣- الآيتان ١٩٣،١٩٤ من سورة الشعراء

٤- من الآية ١٥ من سورة غافر

حمل العرش:

وقد نص القرآن بصريح العبارة أن عدد الذين يحملونه يوم القيامة ثمانية من الملائكة، تقرأ ذلك في قوله تعالى:﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[1].

رعاية الجنة وأهلها:

وقد أطلق القرآن على الملائكة الذين يقومون بهذه الوظيفة اسم (الخزنة) وتجد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[2] وفي قوله تعالى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ*سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[3].

القيام بشئون النار وأهلها:

وقد أطلق القرآن على الملائكة الذين أقامهم الله على هذا الأمر اسم (الزبانية)، وقد ذكر الله تعالى أن عددهم تسعة عشر ملكًا، تقرأ ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ*لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ*لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ*عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ*وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ

١- الآية ١٧ من سورة الحاقة.

٢- الآية ٧٣ من سورة الزمر.

٣- الآيتان ٢٣،٢٤ من سورة الرعد.

مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾[1].

مراقبة أعمال المكلَّفين:

ومنها: مراقبة أعمال المكلفين وتصرفاتهم، وإحصاؤها في كتاب مبين، وقد أطلق الله على الملكين القائمين بهذا الأمر صفتي: رقيب، وعتيد، أحدهما يكون عن يمين الإنسان وهو يحصي ما يحققه من حسنات، والثاني عن شماله وهو يحصى ما اكتسبه من آثام، تجد بيان ذلك في قوله تعالى:﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ*مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2]

صاحب اليمين يكتب الحسنات والآخر السيئات:

وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: "**إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطيء، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتبت واحدة**"[صحيح الجامع ٢/٢١٢)، رواه الطبراني في المعجم الكبير][3].

المحافظة على الإنسان:

ومن وظائفهم أيضًا: المحافظة على الإنسان خلال مراحل حياته في مختلف شئونه كلها، وقد سمَّى الله تعالى الملائكة الذين وكل إليهم هذا الأمر بالمعقبة والحفظة، فقال: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[4] وقال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[5].

١- الآيات ٢٧-٣١ من سورة المدثر.

٢- الآيتان ١٧،١٨ من سورة ق.

٣- حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

٤- من الآية ١١ من سورة الرعد.

٥- من الآية ٦١ من سورة الأنعام.

قبض الأرواح:

ومنها: وظيفة قبض الأرواح، وهل أنيطت هذه الوظيفة بعدد من الملائكة أم بفرد واحد منهم؟ لم يوضح القرآن الجواب على هذا ببيان قاطع، فقد ذكر الله تعالى في آية من كتابه الكريم ما يدل على أهم طائفة من الملائكة فقال: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾[1]. وذكر في آية أخرى ما يدل على أنه واحد فقط: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[2].

والجمهور على أن ملك الموت واحد، ولكن الله ﷻ عززه بطائفة أخرى من الملائكة، شأنها معه كشأن الجنود مع القائد.

دعوة العباد إلى فعل الخير:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا"[رواه البخارى، الحديث ١٣٥١].

صلاتهم على المؤمنين:

أخبرنا الله تعالى أن الملائكة تصلي على الرسول ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[3] وهم يصلون على المؤمنين أيضًا: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[4].

١- من الآية ٦١ من سورة الأنعام.
٢- الآية ١١ من سورة السجدة.
٣- من الآية ٥٦ من سورة الأحزاب.
١- الآية ٤٣ من سورة الأحزاب.

والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند ملائكته، حكاه البخاري عن أبي العالية، وقال غيره: الصلاة من الله ﷻ الرحمة، وقد يقال: لا منافاة بين القولين.

وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار لهم، وهذا ما سنوضحه فيما يلي:

استغفارهم للمؤمنين:

أخبرنا الله تعالى أن الملائكة يستغفرون لمن في الأرض **﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأرْضِ ألا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[1].

وأخبر في آية سورة غافر أن حملة العرش والملائكة الذين حول العرش ينزهون ربهم ويخضعون له ويخصون المؤمنين التائبين بالاستغفار ويدعونه سبحانه بأن ينجيهم من النار ويدخلهم الجنة، ويحفظهم من فعل الذنوب والمعاصي: **﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ*رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ*وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[2].

٢- الآية ٥ من سورة الشورى.

١- الآيات ٧-٩ من سورة غافر.

شهودهم مجالس العلم وحِلق الذكر وحفهم أهلها بأجنحتهم:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**"[رواه البخاري، الحديث ٥٩٢٩].

٤- واجب المؤمن تجاه الملائكة[١]:

الملائكة عباد الله اختارهم واصطفاهم ولهم مكانة عند ربهم، والمؤمن الذي يعبد الله ويتبع رضوانه لا مناص له من أن يتولّى الملائكة بالحب والتوقير، ويتجنب كل ما من شأنه أن يسيء إليهم ويؤذيهم، وفيما يلي نتناول شيئًا من ذلك بالبيان والتوضيح:

البعد عن الذنوب والمعاصي:

أعظم ما يؤذي الملائكة الذنوب والمعاصي والكفر والشرك؛ ولذا فإن أعظم ما يهدى للملائكة ويرضيهم أن يخلص المرء دينه لربه، ويتجنب كل ما يغضبه. ولذا فإن الملائكة لا تدخل الأماكن والبيوت التي يعصى فيها الله تعالى، أو التي يوجد فيها ما يكرهه الله ويبغضه، كالأنصاب والتماثيل والصور ولا تقرب من تلبّس بمعصية كالسكران.

وعن علي ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**لا تَدْخُلُ الْمَلائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ وَلا كَلْبٌ وَلا جُنُبٌ**" [رواه النسائي، الحديث ٢٦١].

وفي رواية عن علي ﷺ: "**ولا بول**"[رواه أحمد، من الحديث ١١٨٣] وفي رواية

١- انظر: د. عمر سليمان الأشقر، عالم الملائكة الأبرار، ص٦٨- ٧٠.

عن أبي طلحة ﷺ: "لا تَدْخُلُ الْمَلائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلا تِمْثَالٌ"[رواه ابو داود، الحديث ٣٦٢٣]، وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رســول الله ﷺ: "لا تَصْحَبُ الْمَلائِكَةُ رِفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ أَوْ جَرَسٌ" [رواه ابو داود، الحديث ٢١٩٢].

الملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم:

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فهم يتأذون من الرائحة الكريهة، والأقذار والأوساخ، فعن جــابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ" قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: "الثُّومِ" ثُمَّ قَالَ: "الثُّومِ وَالْبَصَلِ وَالْكُرَّاثِ فَلا يَقْرَبْنَا فِي مَسْجِدِنَا" [رواه الترمذي، الحديث ١٧٢٨].

وعَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّــاب قَــامَ يَــوْمَ الْجُمُعَةِ خَطِيبًا أَوْ خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لا أُرَاهُمَا إِلا خَبِيثَتَيْنِ هَذَا الثُّومُ وَهَذَا الْبَــصَلُ وَلَقَدْ كُنْتُ أَرَى الرَّجُلَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوجَــدُ رِيحُهُ مِنْهُ فَيُؤْخَذُ بِيَدِهِ حَتَّى يُخْرَجَ إِلَى الْبَقِيعِ فَمَنْ كَانَ آكِلَهَا لا بُدَّ فَلْيُمِتْهَا طَبْخًا". [رواه ابن ماجة، الحديث ١٠٠٤].

النهي عن البصق عن اليمين في الصلاة:

نهى الرسول ﷺ عن البصق عن اليمين أثناء الصلاة؛ لأن المصلي إذا قام يصلي يقف عن يمينه ملك، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَلا يَبْصُقْ أَمَامَهُ فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللَّهَ مَا دَامَ فِي مُــصَلاهُ وَلا عَنْ يَمِينِهِ فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ فَيَدْفِنُهَا" [رواه البخاري، الحديث ٣٩٩].

موالاة الملائكة كلهم:

وعلى المسلم أن يحب جميع الملائكة فلا يفرق في ذلك بين ملَك وملَك؛ لأنهم جميعًا عباد الله عاملين بأمره تاركين ما نهى عنه، وهم في هذا لا يختلفون ولا يفترقون، وقد زعم اليهود أن لهم أولياء وأعداء من الملائكة، وزعموا أن جبريل عدو لهم، ومَيكال ولي لهم، فكذبهم الله تعالى في دعواهم وأخبر أن الملائكة لا يختلفون فيما بينهم فكل من كان عدوًا لله أو لملك فهو عدو لجميع الملائكة ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ*مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[1].

ثانيًا: الجن (الجان) والشياطين:

الجن: هم عالم من العوالم الغيبية، لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى.

وجودهم:

وقد ثبت وجودهم بالدليل القطعي الذي لا احتمال فيه، والدليل هو الخبر الصادق الذي جاء به القرآن بنصوص قاطعة لا احتمال فيها؛ فقد أخبر القرآن عن الجان في مواضع كثيرة.

فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ﴾[3].

١- الآيتان ٩٧،٩٨ من سورة البقرة.

١- الآية ٥٦ من سورة الذاريات.

٢- من الآية ٢٩ من سورة الأحقاف.

وقد جاء في السنة أيضًا أحاديث مختلفة تثبت حقيقة الجان وتخبر عنهم.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ الشُّهُبُ فَرَجَعَتْ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا مَا لَكُمْ فَقَالُوا حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ قَالُوا مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلا شَيْءٌ حَدَثَ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ بِنَخْلَةَ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلاةَ الْفَجْرِ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ فَقَالُوا هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَقَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الْجِنِّ وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ" [رواه البخاري، الحديث ٧٣١].

وإذا كان وجود هذه الخليقة مستندًا إلى هذه الأخبار اليقينية التي وردت إلينا من الكتاب وفصلتها السنة، وكان أمرها معلومًا من الإخبارات الإلهية بالضرورة، أجمع المسلمون على أن الإيمان بوجود الجن من المستلزمات الأساسية للإيمان بالله ﷻ وأن إنكارهم أو الشك في وجودهم يستلزم الردة والخروج عن الإسلام.

إن إنكارهم يستلزم نتيجتين اثنتين:

الأولى: إنكار شيء علم ثبوته من الدين بالضرورة.

الثانية: تكذيب الخبر المتواتر اليقيني الوارد إلينا عن الله ﷻ، وهو يناقض

الإيمان بالله ﷻ، كما يناقض الإيمان بكتابه المعجز.

وهاتان النتيجتان تتنافيان مع الإسلام ومقومات الإيمان بالله ﷻ[1].

أصلهم:

أصل الجان- أي العنصر الأول الذي وجد منه هذا المخلوق- فلا مطمع في معرفته إلا بالخبر اليقيني، وإنما يكون الخبر يقينًا مُورِثًا القطع واليقين، إذا ورد من الخالق نفسه، وقد ورد هذا الخبر في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾[2]، والمارج: اللهب الصافي الذي لا دخان فيه.

وإذن قد ثبت هذا الخبر الواضح بيقين، فقد وجب علينا معرفة مضمونه والإيمان بموجبه.

وقال صلى الله عليه وسلم: "خُلِقَتْ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ" [رواه مسلم، من الحديث ٥٣١٤].

الشيطان والجان:

الشيطان الذي حدثنا الله تعالى عنه كثيرًا في القرآن من عالم الجنّ، كان يعبد الله في بداية أمره، وسكن السماء مع الملائكة، ثمّ عصى ربه - عندما أمره أن يسجد لآدم- استكبارًا وعلوًا وحسدًا، فطرده الله من رحمته.

والشيطان في لغة العرب يطلق على كل عاتٍ متمرد، وقد أطلق على هذا المخلوق لعتوه وتمرده على ربه.

وأطلق عليه لفظ (الطاغوت): ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ

١- د. محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص٢٧٩ - ٢٨٠.

٢- الآية ١٥ من سورة الرحمن.

كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1] وهذا الاسم معلوم عند غالبية أمم الأرض بنفس اللفظ كما يذكر العقاد في كتابه (إبليس) وإنما سمي طاغوتًا لتجاوزه حده، وتمرده على ربه، وتنصيبه نفسه إلهًا يعبد.

وقد يئس هذا المخلوق من رحمة الله؛ ولذا أسماه الله (بإبليس) والبلس في لغة العرب من لا خير عنده، وأبلس يئس وتحير.

الشيطان مخلوق:

الذي يطالع ما جاء في القرآن والحديث عن الشيطان يعلم أنه مخلوق يعقل ويدرك ويتحرك، وليس كما يقول بعض الذين لا يعلمون: "إنه روح الشر متمثلة في غرائز الإنسان الحيوانية التي تصرفه إذا تمكنت من قلبه عن المثل الروحية العليا"[2].

هل الشيطان أصل الجن أم واحد منهم؟

ليس لدينا نصوص صريحة تدلنا على أن الشيطان أصل الجن، أو واحد منهم، وإن كان هذا الأخير أظهر لقوله تعالى: ﴿ إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[3] وابن تيمية يذهب إلى أن الشيطان أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس[4].

١- الآية ٧٦ من سورة النساء.

٢- دائرة المعارف الحديثة، ص ٣٥٧.

٣- من الآية ٥٠ من سورة الكهف.

٤- راجع: ابن تيمية، مجموع الفتاوى٤، ج٢٣٥، ص٣٤٦.

الجن تُسخر لسليمان عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ*يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾[3].

ظهور الجن والشياطين في صور شتى:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[4].

ذكر ابن اسحق وغيره في سبب نزول هذه الآية أن المشركين جاءوا في غزوة بدر ومعهم إبليس في صورة سراقة بنماللك الكناني — وكان سراقة من أشراف بني كنانة — وكانت قريش تخشى كنانة على نفسها. فقال لهم إبليس: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهون، فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس نكص على عقبيه وهرب، فقال له الحارث بن

١- الآية ١٧ من سورة النمل.

٢- الآيتان ١٢، ١٣ من سورة سبأ.

٣- الآية ٨٢ من سورة الأنبياء.

٦- الآية ٤٨ من سورة الأنفال.

هشام – وتشبث به – إلى أين يا سراقة؟ أين تفر؟ فلكمه إبليس لكمة طرحه على قفاه ثم قال: إني أرى ما لا ترون...الخ.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أَنَّهُ صَلَّى صَلاةً قَالَ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لِي فَشَدَّ عَلَيَّ لِيَقْطَعَ الصَّلاةَ عَلَيَّ فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَذَعَتُّهُ[1] وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُوثِقَهُ[2] إِلَى سَارِيَةٍ[3] حَتَّى تُصْبِحُوا فَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ قَوْلَ سُلَيْمَانَ عليه السلام رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي فَرَدَّهُ اللَّهُ خَاسِيًا" [رواه البخاري، الحديث ١١٣٤].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَرَّ عَلَيَّ الشَّيْطَانُ فَأَخَذْتُهُ فَخَنَقْتُهُ حَتَّى إِنِّي لأجد بَرْدَ لِسَانِهِ فِي يَدَيَّ فَقَالَ أَوْجَعْتَنِي أَوْجَعْتَنِي" [رواه أحمد، الحديث ٣٧٣٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللَّهِ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ"، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: "أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ"، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ

١- خنقته.
٢- أربطه.
٣- عامود.

اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: "أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ"، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهَذَا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ، قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ"قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: "مَا هِيَ"، قُلْتُ: قَالَ لِي إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ"، قَالَ: لا، قَالَ: "ذَاكَ شَيْطَانٌ"[رواه البخاري].

حضور الشيطان كل شيء للإنسان إذا لم يذكر اسم الله تعالى:

عَن جابر ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللُّقْمَةُ

فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا وَلا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ فَإِذَا فَـرَغَ فَلْيَلْعَـقْ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ" [رواه مسلم، الحديث ٣٧٩٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنه يبلغ النبي ﷺ قال: "لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَـالَ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرُّهُ" [رواه البخاري، الحديث ١٣٨].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: "إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لا مَبِيتَ لَكُمْ وَلا عَـشَاءَ وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ". [رواه مسلم، الحديث ٣٧٦٢].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الـشَّيْطَانَ يَـسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لا يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَـذْتُ بِيَدِهَا فَجَاءَ بِهَذَا الأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَـدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا" [رواه مسلم، الحديث ٣٧٦١].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "إِذَا اسْتَجْنَحَ[1] اللَّيْلُ أَوْ قَالَ جُنْحُ اللَّيْـلِ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَ سَـاعَةٌ مِـنْ الْعِـشَاءِ

١- جنح الليل: أي أول الليل.

فَخَلُّوهُمْ[1] وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَأَوْكِ سِقَاءَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ[2] وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَلَوْ تَعْرُضُ عَلَيْهِ شَيْئًا" [رواه البخاري، الحديث ٣٠٣٨].

لا سلطان لهم على عباد الله الصالحين:

لم يعط الله سبحانه الشيطان القدرة على إجبار الناس وإكراههم على الضلال والكفر ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾[3]، ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[4]. ومعنى ذلك أن الشيطان ليس له طريق يتسلط به عليهم لا من جهة الحجة، ولا من جهة القدرة، والشيطان يدرك هذه الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ*إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[5]

وإنما يتسلط على العباد الذين يرضون بفكره، ويتابعونه عن رضا وطواعية: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[6]، وفي يوم القيامة يقول الشيطان لأتباعه الذين أضلهم وأهلكهم: ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[7]

وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ

١- أي اتركوهم ليخرجوا.

٣- أي غطوا آنيتكم.

٤- الآية ٦٥ من سورة الإسراء.

٥- الآية ٢١ من سورة سبأ.

٦- الآيتان ٣٩، ٤٠ من سورة الحجر.

٧- الآية ٤٢ من سورة الحجر.

٨- الآية ٢٢ من سورة إبراهيم.

مُشْرِكُونَ﴾[1].

والسلطان هو تسلطه عليهم بالإغواء والإضلال، وتمكنه منهم، بحيث يؤزهم على الكفر والشرك ويزعجهم إليه، ولا يدعهم يتركونه كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[2]، ومعنى تؤزهم: تحركهم وتهيجهم.

الغاية من خلقهم:

خلق الجن للغاية نفسها التي خلق الإنس من أجلها:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[3].

فالجن على ذلك مكلفون بأوامر ونواهي، فمن أطاع رضي الله عنه وأدخله الجنة، ومن عصى وتمرد فله النار، يدل على ذلك بنصوص كثيرة.

ففي يوم القيامة يقول الله مخاطبًا كفرة الجن والإنس موبخًا مبكتًا: ﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾[4] ففي هذه الآيات دليل على بلوغ شرع الله الجن، وأنه قد جاءهم من ينذرهم ويبلغهم.

والدليل على أنهم سيعذبون في النار قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ

١- الآية ١٠٠ من سورة النحل.

٢- الآية ٨٣ من سورة مريم.

٣- الآية ٥٦ من سورة الذاريات.

٤- الآية ١٣٠ من سورة الأنعام.

خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2].

وقال: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[3]، والدليل على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ*فَبِأَيِّ ءَالاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[4].

والخطاب هنا للجن والإنس؛ لأن الحديث في مطلع السورة معهما، وفي الآية السابقة امتنان من الله على مؤمني الجن بأهم سيدخلون الجنة ولولا أهم ينالون ذلك ما امتن عليهم به.

مراتبهم في الصلاح والفساد:

وهم في هذا طوائف: فمنهم الكامل في الاستقامة والطيبة وعمل الخير ومنهم من هو دون ذلك، ومنهم الكفرة، وهم الكثرة، يقول الله سبحانه في حكايته عن الجن الذين استمعوا إلى القرآن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ

١- الآية ٣٨ من سورة الأعراف.

٢- الآية ١٧٩من سورة الأعراف.

٣- من الآية ١٣ من سورة السجدة.

٤- الآيتان ٤٦،٤٧ من سورة الرحمن.

﴿ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾[1]، أي منهم الكاملون في الصلاح، ومنهم أقل صلاحًا، فهم مذاهب مختلفة كما هو حال البشر.

ويقول الله عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا*وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[2]، أي أن منهم المسلمين، والظالمين أنفسهم بالكفر، فمن أسلم منهم فقد قصد الهدى بعمله، ومن ظلم نفسه فهو حطب جهنم.

العداء التاريخي:

العداء بين الإنسان والشياطين عداء بعيد الجذور، يعود تاريخه إلى اليوم الذي شكل الله فيه آدم قبل أن يُنفخ فيه الروح، فأخذ الشيطان يطيف به، ويقول: لئن سلطت عليَّ لأعصينك، ولئن سلطت عليك لأهلكنك.

فعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكَهُ فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لا يَتَمَالَكُ**"[رواه مسلم، الحديث ٤٧٢٧].

فلما نفخ الله في آدم الروح، وأمر الملائكة بالسجود لآدم، وكان إبليس يعبد الله مع ملائكة السماء فشمله الأمر، ولكنه تعاظم في نفسه واستكبر، وأبى السجود لآدم:﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[3] لقد فتح أبونا آدم عليه السلام عينه، فإذا به يجد أعظم تكريم، يجد الملائكة ساجدين له، ولكنه يجد عدوًا يتهدده وذريته بالهلاك والضلال.

١- الآية ١١ من سورة الجن.

٢- الآيتان ١٤، ١٥ من سورة الجن.

٣- من الآية ١٢ من سورة الأعراف.

وطرد الله الشيطان من جنة الخلد بسبب استكبارهن وحصل على وعد من الله بإبقائه حيًا إلى يوم القيامة: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ*قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾[1] وقد قطع اللعين على نفسه عهدًا بإضلال بني آدم والكيد لهم: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ*ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[2]، وقوله هذا يصور مدى الجهد الذي يبذله لإضلال ابن آدم، فهو يأتيه من كل طريق ممكن، عن اليمين والشمال، ومن الأمام والخلف، أي من جميع الجهات، وهذا مثل لوسوسته إليهم، وتسويله لهم ما أمكنه وقدر عليه، كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا﴾[3].

تحذير الله لنا من الشيطان:

وقد أطال القرآن في تحذيرنا من الشيطان لعظيم فتنته، ومهارته في الإضلال، ودأبه وحرصه على ذلك، قال تعالى: ﴿يَابَنِي ءَادَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[4].

وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[5] وقال: ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ

١- الآيتان ١٤،١٥ من سورة الأعراف.
٢- الآيتان ١٦،١٧ من سورة الأعراف.
٣- الآية ٦٤ من سورة الإسراء.
٤- الآية ٢٧ من سورة الأعراف.
٥- من الآية ٦ من سورة فاطر.

الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾[1].

وعداوة الشيطان لا تحول ولا تزول؛ لأنه يرى أن طرده ولعنه وإخراجه من الجنة كان بسبب أبينا آدم، فلابد أن ينتقم من آدم وذريته من بعده: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلاً﴾[2]

ثالثًا: خلق الإنسان[3]:

الإنسان مخلوق (من حيث الجنس) من تراب، ومتكاثر (من حيث المصدر) من الإنسان الأول آدم عليه الصلاة والسلام.

واعلم أن البرهان على هذه الحقيقة، محصور في اعتماد الخبر الصادق المتواتر، إذ هي ليست من المسائل المتعلقة بالحسيّات التي تخضع لدليل التجربة والمشاهدة، وإنما هي منبثقة عن خبر يتعلق بتاريخ قديم، فلا مطمع للتحقق منها بأكثر من التحقيق في الخبر نفسه.

فأما أن الإنسان مخلوق (من حيث جنسه) من عنصر التراب، فقد دلت على ذلك آيات صريحة وكثيرة في كتاب الله ﷻ.

فمنها: قوله عز وجل: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[1] وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[3]

١- من الآية ١١٩ من سورة النساء.

٢- الآية ٦٢ من سورة الإسراء.

٣- انظر د. محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص ٢٤٩ – ٢٦٩ باختصار.

والصلصال طين يبس فهو يتصلصل أي يصوت كأنه الفخار، والحمأ طين أسود متغير، والمسنون أي المصور صورة إنسان.

فالصلصال تفسير لجنس التراب؛ والحمأ المسنون تفسير لجنس الصلصال، كما تقول: أخذت هذا من رجل من العرب من الشام.

الإنسان الأول:

وأما أنه متكاثر من آدم عليه الصلاة والسلام، وأنه الإنسان الأول، فقد دلت على ذلك أيضًا آيات صريحة وكثيرة في كتاب الله تعالى، تقرأ هذه الآيات في قصة خلق آدم التي تكررت كثيرًا في الكتاب المبين.

واعلم أنه لا شأن لنا في هذا المقام بالبحث في كيفية نزول آدم من الجنة والتحقيق في البقعة التي هبط إليها من الأرض، وكيفية تكاثر النسل من آدم وحواء بعد ذلك، إذ كل ذلك مما لا دخل له بأمر العقيدة القائمة على الأحكام الثابتة القطعية.

بل الحديث في ذلك كله من فضول النظر والقول، ولا يوجد دليل قاطع على شيء من ذلك في كتاب أو سنة؛ ولذلك لم يتعبدنا الله ﷻ باعتقاد شيء معين فيه.

وسنة رسوله أن نكل علم ما لم يبينه الله ﷻ ولا رسوله إلى علم الله وحده، اللهم إلا ما كان من ذلك خاضعًا لوسائل البحث والتجربة

١- الآية ٥٥ من سورة طـه

٢- الآية ٢٦ من سورة الحجر.

٣- الآية ١٤ من سورة الرحمن.

والمشاهدة، فقد دعانا كلام الله تعالى إلى البحث عن الحقيقة والتنقيب عن اليقين في ذلك.

الإنسان مخلوق منذ النشأة الأولى في أحسن تقويم:

والحديث عن النشأة الأولى للإنسان، لا يخضع هو الآخر لبراهين التجربة والمشاهدة المحسوسة، إذ هو في جملته حدث تاريخي لن تستطيع أن تُعمل فيه الفكر والنظر.

ولو أن الله ﷻ لم يحدثنا بشيء قطعي في هذا الصدد، لما التزمنا في شأنه بأي حكم نعتقده ونقطع به.

ولكن الخبر الصادق المتواتر، وضعنا في ذلك أمام ما لا مجال للشك أو الظن فيه، وهو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1] و"الـ" الداخلة على الإنسان للاستغراق كما هو معلوم، فهي عامة للأفراد كلهم.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ*الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ*فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[2] أي جعلك سويًا مستقيمًا معتدل القامة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال.

ومن مؤكدات هذه الحقيقة التي قررها القرآن، ما روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ**

١- الآية ٤ من سورة التين.

٢- الآيات ٦-٨ من سورة الانفطار.

يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ" [رواه البخاري، الحديث ٥٧٥٩]، أي أنه منذ خلق إنما كانت صورته هي الصورة ذاتها التي استمر عليها وعرف بها، أي لم ينشأ متنقلاً من شكل إلى آخر، فالضمير في صورته راجع إلى آدم.

وإذا كان الأمر كذلك، وجب أن نعلم بأن الإنسان لم يتنقل، خلال تاريخه كله، في أي طور نوعي، كأن يقال إنه ترقى من فصيلة إلى أخرى، أو تدرج من مظهر نوعي في الهيئة والشكل إلى مظهر آخر.

وهذا الحكم نتيجة قطعية للأمور التي ذكرناها على الإنسان، وهي: أنه مخلوق من التراب ومتكاثر من آدم عليه الصلاة والسلام وأنه خلق (في نشأته الأولى) في أحسن تقويم.

*****

الباب الثاني

مع الناس



تمهيد

الباب الثاني **مع الناس** مُكَوَّن من أربعة فصول، وكل فصل يتكون من أربعة موضوعات، يخدم كل موضوع منها محورًا تربويًّا متميزًا، وحتى لا تملّ من التشابه، أو يستحوذ عليك محور واحد لفترة طويلة فتفتر، أو يتحول الأمر إلى مجرد استزادة علمية دون تحقيق للجانب الوجداني أو للترجمة السلوكية المقصودة؛ كان تقسيم المحور الواحد على الفصول الأربعة مقصودًا، فمَن تناول الباب بهذا الترتيب، سار في المحاور كلها بتوازن وبخُطى ثابتة، وأعان نفسه على نفسه بالتنوع، وتحققت بسهولة الجوانب الوجدانية والعملية.

ومَن أراد بعد ذلك تتبع المحور الواحد عبر الفصول الأربعة، فله ما أراد، فبإضافة كل موضوع إلى نظيره في باقي الفصول، يكتمل المحور في جانبيه العلمي والمعرفي.

فالمحور الأول يعتني ببعض الأصول التي يُفهَم الإسلام في إطارها، فيتناول موضوع البدع من حيث: مراتبها، وأحكامها، ودواعيها، وفقه محاربتها والقضاء عليها، كما يوضح بعض أنواع البدع المختلف في حكمها الشرعي وهي: البدع الإضافية، والتركية، والالتزام في العبادات المطلقة. ويعرض أيضًا لموضوع أولياء الله الصالحين وضرورة حبهم وتقديرهم، وثبوت الكرامات لهم مع الاعتقاد بأنهم لا يملكون لأنفسهم أو لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا، كما يحذّر من الوقوع في بعض ذرائع الشرك مثل: الاستعانة بالمقبورين أيًّا كانوا، وندائهم لذلك، وطلب قضاء الحاجات منهم، والنذر لهم، وتشييد القبور، وسترها، وإضاءتها، والتمسح بها، والحلف بغير الله.

والمحور الثاني يحرك القارئ للمبادرة إلى مهاداة من يحبهم تعبيرًا عما في قلبه من حب لهم، ويدعو أيضًا للعمل من أجل الحفاظ على نعمة الصحة من خلال اتخاذ التدابير الوقائية. وبالمسارعة إلى طلب العلاج عند بداية الإصابة بمرض ما، ويحث كذلك على البعد عن الإسراف في المباحات بكل أشكالها، ثم يرشدنا إلى التخلق بخلق من أخلاق الإسلام الرفيعة ألا وهو التعفف والتنزه عن سؤال الآخرين.

والمحور الثالث يلفت الانتباه إلى ضرورة أن يضحي المسلم ببعض وقته وجهده لدعوة غيره إلى الخير، ويحذِّر من الاستجابة لوسوسة الشيطان التي تؤدي بمن من يستجيب لها إلى القعود عن طاعة الله تعالى، وينبه إلى ضرورة أن يستثمر المرء قدراته وهواياته فيما يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع المادي والمعنوي، كذلك يحثنا على العمل على تنمية عقولنا من خلال السعي والجد في طلب العلم.

أما المحور الرابع فيعتني بالرقائق، من خلال تدبر الموت وأحوال الآخرة، فنتأمل موقف التجرد بين يدي الغاسل من كل زينة، أو قوة مادية أو معنوية، أو إرادة بعد الموت، ونتعرف على أنواع الشفاعات وشروطها يوم القيامة، ثم نتأمل في بعض أصناف العذاب في النار – والعياذ بالله – لنتجنب أسبابها، ونتعرف على بعض ألوان النعيم في الجنة؛ لنستحث الخطى إليها.

*****



الفصل الأول



١- صيانة الشريعة

٢- بريد الحب

٣- بيعة مع الله

٤- طهر ورداء



صيانة الشريعة

لقد كانت آية المائدة الدالة على تمام الدين فارقه في تاريخ التشريع الإسلامي، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأتممتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[1]، فبعد تمام الدين وبموت رسول الله ﷺ لا يحق لأي أحد أن يزيد في دين الله أو ينقص منه، أما النقص منه فقد أخبرنا الله تعالى في قوله جل شأنه منكراً على من يعطل بعض أحكام الدين: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[2]، ومن أمثلة النقصان: تعطيل الجهاد، وتعطيل الحكم بما أنزل الله، أما من زاد فيه فقد ضاهى الله في التشريع، ونصب نفسه شريكاً له، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقد أخبرنا الله عن حالهم بقوله جل جلاله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾[3] ومن أمثلتها الرهبنة والطواف حول الأضرحة وما إلى ذلك.

حقيقة البدعة:

والبدعة في حقيقتها: "ما أُحدث بعد الرسالة على سبيل التقرب إلى الله، ولم يكن قد فعلها الرسول ﷺ ولا أمر بها ولا أقرها، ولا فعلها الصحابة"[4] وتسمى"البدعة"و"المحدث"، وهذا المفهوم للبدعة هو ما ورد

١- من الآية ٣ من سورة المائدة .

٢- من الآية ٨٥ من سورة البقرة .

٣- من الآية ٢١ من سورة الشورى.

٤- جمعة أمين، فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين، ص١٦٩، وفي تعريف البدعة عند العلماء انظر:-

النهي عنه في الشرع، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّه وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[1]، وقال جل جلاله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عذابٌ أَلِيمٌ﴾[2]. وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ عمِل عمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ" [رواه مسلم، الحديث ٣٢٤٣]، وفي رواية: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ" [رواه مسلم، الحديث ٣٢٤٢]. وعن العرباض بن سارية ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "..وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ"[رواه أبو داود، من الحديث ٣٩٩١].

فالبدعة المنهي عنها لابد أن يتحقق فيها الآتي:

١-أن تكون من الأمور التي يفعلها العباد على أنها من العبادات.

٢-يتقربون بها إلى الله تعالى.

٣- لم يكن لها أصل في الدين[3].

وهذا ما يسميه العلماء بـ ((البدعة الأصلية)) أي التي لا أصل لها في الدين، أما التي لها أصل في الدين فسيأتي الحديث عنها.

= أ- أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام، ج١، ص (٥٠-٥١). ب- أبو شامة ، الباعث على إنكار البدع والحوادث ، ص (٨٦-٨٩). ج- الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج١، ص (٢١-٢٣).

١- من الآية ٥٤ من سورة النور.

٢- الآية ٦٣ من سورة النور.

٣- جمعة أمين ، فهم الإسلام، ص١٧٠.

الابتداع الحسن:

أما الابتداع الحسن في مقتضيات الحياة والأمور الدنيوية فهو من التطور المطلوب كي نلبي حاجة العصر الذي نعيشه، حتى لا نتخلف عن الركب ولا نكون في عزلة عن الدنيا، فمَلَكة الاختراع والإبداع لها ميدان نستطيع الانطلاق فيه ولا حجر عليه، فلديها شئون الدنيا، وآفاق الحياة تعالجها وتفترض فيها وتبتدع ما شاءت، وعلينا فيه الإجادة والإفادة، وكفانا قدوة تلك البدعة التي ابتدعها سلمان الفارسي فأنقذت المسلمين يوم الخندق من خطر محدق بهم ألا وهي حفر الخندق.

زوائد ضارة:

ومن الآثار الضارة للابتداع في دين الله أن منشئ هذه البدعة يعطى نفسه منزلة ليست له؛ فإن المشرّع الفرد لعباده جميعاً هو الله الواحد الفرد الصمد، فتلك نزعة إلى الألوهية يعدو فيها الإنسان قدره ويجاوز حده، والذين يختلقون هذه المحدثات يحملون وزر ضلالهم الخاص وتضليل الذين ينخدعون بهم ويستجيبون لهم، وفي الحديث: "**.. وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ لا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا**" [رواه ابن ماجة، من الحديث ١٩٩].

والذين يشتغلون بالمحدَثات يضيعون حقائق الإسلام الصحيح وفرائضه المحكمة بقدر ما أحدثوه من بدع.

فليس خطر البدعة أنها وسخ يشوب وجه الحقيقة فحسب، بل هي

مرض بفقد الدين عافيته وينقص قلبه وأطرافه[1]؛ ولذلك قال ابن مسعود ﷺ: **"الاقتصاد في السُنة خير من الاجتهاد في البدعة"**، وقال: **"ما أحدث الناس بدعة إلا أضاعوا مثلها من السنة"**؛ ولذا يمكن القول أن البدعة والابتداع تقوض صرح الشريعة.

مراتب وأحكام:

والابتداع في الدين قد يكون في العقائد وقد يكون في العبادات، أما البدعة في العقيدة فقد اتفق العلماء على أنها محرمة، وقد تتدرج إلى أن تصل إلى الكفر. فأما التي تصل إلى الكفر فهي التي تخالف معلوماً من الدين بالضرورة كبدعة الجاهليين التي نبه عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: **﴿مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ﴾**[2] وقوله تعالى: **﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾**[3]، وحددوا ضابطاً للبدعة المكفرة وهي: أن يتفق جميع العلماء على أن هذه البدعة كفر صراح لا شبهة فيه.

أما البدعة في العبادات، فمنها ما يكون حرامًا ومعصية ومنها ما يكون مكروهًا، ومثال الحرام: بدعة التبتل والصيام قائمًا، والخصاء لقطع الشهوة في الجماع والتفرغ للعبادة، وذلك لما جاء في حديث الرهط الذين فعلوا ذلك فعن أنس بن مالك ﷺ قال: **جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ**

١- محمد الغزالي ، ليس في الإسلام ، ص (٨١-٨٢) بتصرف.
٢- من الآية ١٠٣ من سورة المائدة.
٣- من الآية ١٣٩ من سورة الأنعام.

نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: "أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي" [رواه البخاري، الحديث ٤٦٧٥].

ومثال البدع المكروهة في العبادات: ذكر السلاطين في خطبة الجمعة للتعظيم وزخرفة المساجد والمصاحف.[١]

دواعي البدعة

دواعي البدعة وأسبابها وبواعثها كثيرة ومتعددة يصعب حصرها؛ لأنها تتجدد وتتنوع حسب الأحوال والأزمنة والأمكنة والأشخاص. ومع ذلك فمن الممكن إرجاع الداوعي والأسباب إلى ما يأتي:

١- الجهل باللغة العربية:

فقد أنزل الله ﷻ القرآن الكريم عربياً لا عجمة فيه بمعنى أنه جارٍ في ألفاظه ومعانيه وأساليبه على لسان العرب، وقد أخبر الله تعالى بذلك فقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[٢] وقال: ﴿قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[٣]. ومن هذا يُعلم أن الشريعة لا تُفهم إلا إذا فُهم اللسان العربي لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾[٤] والإخلال في ذلك قد يؤدى إلى البدعة[١].

١- الموسوعة الفقهية الكويتية، ج٨، ص (٢٦-٢٧).

٢- من الآية ٢ من سورة يوسف.

٣- من الآية ٢٨ من سورة الزمر.

٤- من الآية ٣٧ من سورة الرعد.

٢- الجهل بالسنة:

والجهل بالسنة يعني أمرين: الأول جهل الناس بأصل السنة، والثاني جهلهم بالصحيح من غيره فيختلط عليهم الأمر، أما جهلهم بالسنة الصحيحة فيجعلهم يأخذون بالأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ، وقد وردت الآثار من القرآن. والسنة تنهى عن ذلك قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[٢]. وقال ﷺ: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" [رواه البخاري، من الحديث ١٢٠٩].

٣- حُسْن الظنّ بالعقل:

ويتأتى هذا من جهة أن المبتدع يعتمد على عقله فيجرّه عقله القاصر إلى أشياء بعيدة عن الصراط المستقيم؛ وهذا لأن الله جعل للعقل في إدراكه حدًّا ينتهي إليه ولا يتعداه من ناحية الكمّ ومن ناحية الكيف، أما علم الله سبحانه فلا يتناهى، والمتناهي – وهو عقل الإنسان – لا يساوي ما لا يتناهى[٣] – وهو علم الله – فلا يجوز إذن لامرئ مهما رسخ علمه ونضجت تجربته أن يستحسن عملاً على أنه من عند الله رب العالمين، فهذا هو الافتراء بعينه مهما كانت نية المستحسن[٤].

٤- اتباع الهوى:

ويطلق الهوى على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء ثم غلب استعماله في الميل المذموم والانحراف السيئ، ونُسبت البدع إلى الأهواء وسمي أصحابها

١- الموسوعة الفقهية الكويتية، ج٨، ص٢٧.

٢- من الآية ٣ من سورة الإسراء.

٣- الموسوعة الفقهية الكويتية، ج٨، ص٣٠.

٤- محمد الغزالي، ليس من الإسلام، ص٨٤.

بأهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة مأخذ الافتقار إليها والتعويل عليها، بل قدموا أهواءهم واعتمدوا على آرائهم ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك.

محاربة البدع:

وأول درجات المحاربة تكون بالوقاية من الوقوع فيها أصلاً وذلك بفهم الشرع على أساليب العربية كما أُنزل ونشر السُنة الصحيحة وإحيائها والتجرد من تحسين الظن بالعقل ومن الأهواء، فالوقاية خير من العلاج، وواجب على حملة الشريعة حماية الأصيل من الشرع وصيانته من الدخيل، وهنا يجب الإنكار على هذه البدع بالتصدي لها لإزالتها عملاً فإن لم نستطع فباللسان فإن لم نستطع فبإنكارها بالقلب.

فقه الإنكار:

ولكن يلزم على المتصدي لإزالة منكر المبتدعات أن يكون على فقه ونظر عظيم لما يمارسه، فعليه أن يكون عالماً بالمنكر الواجب إزالته-وهي البدع هنا- فيُعلم البدع التي لا أصل لها في الدين من التي لها أصل، والبدع المتفق على بدعيتها من المختلف فيها، ثم ينظر إلى مآل ما يفعله من الإنكار هل سيؤدى إلى ما هو شر من المنكر القائم، يقول الإمام ابن القيم: "إنكار المنكر أربع درجات: الأولى: أن يزول ويخلفه ضده، الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه، فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة"[1]،

١- ابن قيم الجوزية ، إعلام الموقعين، ج٣، ص٥ نقلاً عن نظرات في رسالة التعاليم، ص١١٨.

وهذا الحكم على مآل ومستقبل ما يفعله يتطلب منه دراسة المجتمع ونفسيته وعقليته حتى يتوقع نتيجة ما يمارسه من إنكار فيقدم أو يحجم وينصرف إلى ما هو أولى، والله أعلم.

قاعدة كلية:

ولهذا وضع العلماء لما نحن بصدد الحديث عنه قاعدة كلية لحقيقة البدعة الأصلية، وحكمها وكيفية علاجها فقالوا: **"وكل بدعة في دين الله لا أصل لها ــ استحسنها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ــ ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شرّ منها"**[1].

وفي النهاية فلنسأل أنفسنا كم من البدع الأصلية أنكرناها بفقه وعن علم؟ وكم سنة أحييناها ؟

*****

١ - حسن البنا ، مجموعة الرسائل، رسالة التعاليم، ص٣٥٨، الأصل ١١.

بريد الحب

ليس في القلب عاطفة يمكن أن تجعل المرء سعيداً مرحاً يكاد يرفرف بجناحين ويغرد شادياً مثل عاطفة الحب، فإنها إذا تمكنت من القلب تجاه أحد حملت صاحبه على صنع المبهرات، واستسهال الصعاب، والاستخفاف بالمشقات غير متغضب ولا متشكٍّ. ولعل الحكمة التي تقول: "إذا لم تجد من تحب فأحب من تجد"أكبر دليل على صعوبة احتمال الحياة بغير من نحبهم ويحبوننا، كما تُبرز-بوضوح- أهمية وجود مشاعر الحب لاستكمال مسيرة الحياة، وما يمكن أن ينتج عن غيابها من ضيق وعسر وألم، إنه الحب الذي تبقى النفوس بدونه تحلق حائمة هائمة حتى تحط على أشجاره، وتتفيأ ظلاله، إنه الحب الذي تغيب بغيابه معاني الحياة لتصير غير مستحقة للوجود حتى إنه إذا انحرف قوم عن جادة الصواب وأراد الله أن يستبدل هؤلاء القوم آخرين جعل أول شرائطه فيمن يأتون من بعدهم أن يحملوا قلوبًا تنبض بالحب، وأفضل الحب ما كان لله خالصًا، يقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ[1]﴾.

حتى في عزهم وتذللهم يحركهم الحب لله ثم للمؤمنين. كما أن الله مدح بهذه العاطفة قومًا، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[2] .

١- من الآية ٥٤ من سورة المائدة .

٢- من الآية ٩ من سورة الحشر.

أوثق عرى الإيمان:

ولما كان الوصول إلى شاطئ الوحدة والألفة من مستلزمات قوة المجتمع وتماسك

أركانه، وكان الجسر إلى بلوغه المحبة المتبادلة من أعماق الـــشعور، لا المتكلفة الزائلة مثل القشور، لا غرو إذن أن نجد النبي ﷺ يعد حب المؤمنين بعضهم بعضًا أقوى روابط الإيمان وأثبتها، فعن ابن عباس، عن الـــنبي ﷺ قال: **"أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعـــاداة في الله، والحـــب في الله، والبغض في الله"** [رواه الطبراني في الكبير].

حريص على الحب:

لما كان الحب في الله أوثق عرى الإيمان، وأصدقها دلالة علـــى عمـــق الروابط الإيمانية بين المؤمنين، فإنه يمثل مرحلة متقدمة تسبقها مراحل ومعانٍ أخرى في مقدمتها الإخلاص لله ثم لمن نحبهم في الله؛ لذا كان حرص المؤمن على دوام هذه المحبة دليل كمال ونقاء يستحق لأجله أفضل الجزاء، فعن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: **"ما من رجلين تحابا في الله بظهر الغيب إلا كـــان أحبهما إلى الله أشدهم حبًا لصاحبه"** [رواه الطبراني في الأوســـط]. إنها محبة تأصلت وترسخت فكانت في المشهد مثلما هي في المغيب فاستحقت –بـــسموها– أن تنال محبة الله التي تحفظهما في أشد اللحظات حرجًا وأحلك الأوقـــات عناء، وذلك حين يظلهما الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، فعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **"سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه"**. وذكـــر منهم: **"وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ"** [رواه البخـــاري، مـــن الحديث ٦٢٠].

أما الشرف الأكبر والفوز الأعظم فيتجلى يوم القيامة في أبهى صوره حيث يجلسهم الله على منابر من نور، فعن معاذ قال: سمعنا رسول الله ﷺ قال: قال الله ﷻ: "**الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ**"[رواه الترمذي، الحديث ٢٣١٢].

إعلان عمّا في القلب:

وكثيراً ما يشعر القلب وتجيش النفس بعواطف جميلة عذبة رقراقة تجاه بعض الأفراد غير أنها تبقى حبيسة صدر صاحبها، وربما لو علمها هؤلاء لتجاوبوا معها، وتأثروا بها غاية التأثر، فتزداد المحبة بينهم عمقاً، والألفة بينهم نماء. والنبي ﷺ كان يعلّم أصحابه أن أول أصول الحب في الله أن تخبر من تحب بمحبتك له، فعن المقدام بن معدي كرب عن النبي ﷺ قال: "**إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ**"[رواه أبو داود، من الحديث ٤٤٥٩]. ولكن المحبة الصادقة لا تقف عند حد شعور القلب، وإنما تفيض بمعانيها على سائر الجوارح، وتظهر معالمها في التصرفات والسلوك؛ فتجد المحب لأخيه في الله يحرص على جلب النفع له، ودفع الأذى عنه، والنصح بالخير، والابتسام عند لقائه، والتعبير عن سعادته برؤيته، ومهاداته ولو بأقل الأشياء، وحفظ سره، والتغاضي عن زلاته، والسؤال عنه عند غيابه، وندائه بأحب أسمائه، والتلطف معه، وحسن الاستماع إليه، والحديث عنه في غيابه بما يحب في غير كذب، لا نبتغي بذلك مكافأة أو أجراً أو ثناءً إلا من الله الذي أحببناه فيه، فإنه سبحانه يجازي بالإحسان إحساناً، قال تعالى: **﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ﴾**[1] .

١- الآية ٦٠ من سورة الرحمن.

شرحٌ للصدور:

بينما رجل يجلس بين أصحابه إذ جاءته جاريته تحمل إليه عودًا من الريحان وتقول أعجبني، فأحببت أن أهديه إليك، فتناوله منها، ثم شمّه فقال: ادهبي، فأنت حرة. فلامه جلساؤه قائلين: كيف تكافئها على عود من الريحان بالعتق وقد اشتريتها بكذا وكذا؟ فابتسم وقال: لم أجد لانشراح صدري بهديتها مكافأة أقل من العتق.

أرأيت أثر الهدية في انشراح الصدور، وارتفاع المقدار من رق العبودية لمرتبة الأحرار.

تأليف للقلوب:

فمن أراد أن يحظى بمحبة الإخوان والجيران، ويدفع نقمة الكارهين له، الساخطين عليه، فعليه بالهدية، كما أشار إلى ذلك الفضل بن سهل: ما استرضي الغضبان، ولا استعطف السلطان، ولا سُلِبت السخائم[1]، ولا دفعت المغارم، ولا استميل المحبوب، ولا تُوُقي المحذور بمثل الهدية[2]. هكذا جُبِلت[3] القلوب على حبِّ مَن أحسن إليها، وبغض مَن أساء إليها[4]. فحريٌ بأهل الحق وبأصحاب الدعوات السامية أن يستثمروا كريم معاني الهدية وحليل آثارها في تأليف القلوب وتقوية الصفوف المؤمنة، إضافة إلى ما تضفيه من بهجة في نفوس أحبابنا، وتغمرنا بفيوض محبتهم، فقد قالت أم

١- أي: الأحقاد والضغائن.
٢- المستطرف ٤٥/٢.
٣-جُبلت: فُطرت وطبعت.
٤- المستطرف ٤٧/٢.

حكيم الخزاعية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"تهادوا فإن الهدية تضعِّف الحب، وتذهب بغوائل الصدر"**.[رواه الطبراني في الكبير]. وما أجملها حين تُقَدَّمُ مع ابتسامةٍ، ورقعةٍ صغيرة تُعرِبُ[1] فيها عن صادق محبتك.

إزالة ركام الاحتكاك:

في زحام العمل ومشكلاته، وفي مناقشات المرء ومحاوراته، وفي انشغاله وحماسته بتحقيق مطلوباته، وفي حرصه وغيرته على حسن أداء أعماله، وفي غمرة الموازنة والمقارنة بين حقوقه وواجباته، قد تنفلت الأعصاب وكذلك الألسنة، وتتجمع لدى المحيطين بنا بعض الرواسب النفسية من تكرار هذه الأمور، فإذا ما أُهملت تحولت إلى ركام من المشاعر غير الطيبة تأتي بعواقب سيئة يصعب على الكثيرين بعد ذلك تلافيها أو علاجها، بينما كان بالإمكان- ولا يزال- تداركها بأشياء يسيرة مثل الهدايا، فقد قيل: في نشر المهاداة طيُّ المعاداة[2] فكيف بمن هم في الأصل ليسوا أعداءنا؟ وبهذه الهدايا البسيطة يتحول هذا الركام الناجم عن الاحتكاك الطبيعي في مسيرة الحياة إلي أرض خصبة تنبت زهرات المحبة في القلوب، والألفة بين الأرواح.

تناسب وتنوع:

يسعد المحب حين يقدم هديته فتنال الإعجاب والاستحسان من المُهدَى إليه، ومن أهم الأمور في الهدية أن تتناسب مع المُهدَى إليه، وَيجمل بالهدية أن تكون في مناسبة طيبة، أو بعد انتهاء مشكلة، وليس المهم في الهدية

١- تُعرب: تُظهر وتبين.

٢- المستطرف ٢/٤٥.

قيمتها وإنما فيما تحمله من عواطف ومشاعر مُقدِّمها، فإنه كلما زادت هذه المشاعر وكانت صادقة ضاعفت من قيمة الهدية والسرور بها، ولا ننسى أن ندعو للمُهدَى إليه بخير أيضًا فذلك أدعَى لاكتمال سعادته بالهدية.

وإذا كانت الهدية الأولى تمثل طرقًا على باب القلب فإن الثانية والثالثة تجعلانك تقيم داخله باطمئنان، فإن زدت تربعت على عرشه وتملكت الشغاف والسويداء. فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "تهادوا تحابوا"[رواه البيهقي في السنن الكبرى].

*****

بيعة مع الله

قد يعجب كثير من الناس لما يرون من تضحيات بعض المؤمنين في سبيل الإسلام، وإعلاء كلمة التوحيد، مسترخصين في ذلك السبيل الأرواح والأبدان والكثير والقليل، ولا يدرك هؤلاء القاعدون الخاملون أن المؤمن الكيس لا يضحي بمتع الحياة ولذائذها إلا لأنه يفكر بعقل التاجر الذكي الذي يوازن بين صفقتين، وأنه قد يقبل راضياً بالخسارة القريبة اليسيرة ليربح ويكسب أخرى أثمن وأجود وأفضل؛ لأنه يرى أن التضحية بالحياة والمال والراحة ليظفر بالنعيم الخالد الغالي، ولأنه فهم عن الله مراده في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[1] فعلم أن الدخول في الإسلام صفقة بين متبايعين، يعقد به المسلم بيعة مع الله، لا يبقى بعدها شيء في نفسه ولا ماله يحتجزه دون الله لتكون كلمة الله هي العليا، فمن أمضى الصفقة وقدم الثمن فهو المؤمن"[2].

القدوة والمثل:

وكذلك كان الرعيل الأول من المؤمنين حين أدركوا أن شجرة الإيمان والدعوة لا تسقيها إلا التضحيات المخلصة التي تثبت جذورها، وتعلو بأغصانها، وتفيض بثمارها، وتمد ظلالها الوارفة إلى الناس كافة لينضووا تحت أفيائها الرحيبة، مثلما أدركوا أنه بغير هذه التضحيات تُجتث

١- من الآية ١١١ من سورة التوبة.

٢- الظلال، ج ٣، ص ١٧١٣-١٧١٦ بتصرف.

جذورها، وتجف أوراقها، وتذبل نضارتها، وتتقلص ظلالها، فلما تبينوا ذلك وفطنوا إليه كانت كلمات القرآن ما تلبث أن تطرق مسامعهم حتى تتحول واقعًا مرئيًا ملموساً، فلا يتلقونها لمجرد التأمل في بلاغة الألفاظ وسحر البيان بقدر ما يتلقونها للعمل المباشر بها، وتحويلها إلى حركة منظورة، مضحين في سبيل ذلك بكل ما يملكون، لا يريدون بذلك مدحًا ولا جزاء من البشر، إنما يطمعون في رضا خالقهم آملين في حسن مثوبته، وجزيل فضله، فإنه سبحانه ذو الفضل العظيم؛ مثلما يروي لنا الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه أنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أمر ببناء المسجد، وقال: "**يَا بَنِي النَّجَّار ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا قَالُوا لا وَاللَّهِ لا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلا إِلَى اللَّهِ**"[رواه البخاري، من الحديث ٤١٠].

وبأمثال هؤلاء الذين لم يبخلوا عن دعوة ربهم بشيء من متاع الدنيا انتصر الإسلام، وارتفعت رايته، وبمثل هذه الصفات يعود مجده.

جهد مشكور مأجور:

ويحسب بعض الناس أن التضحية في الإسلام مقصورة على الخروج للجهاد أو إنفاق الأموال، وكأن دعوة الله ليست إلا اندفاعة لقتال أو مشروعاً يعوزه[١] المال، والحق أن التضحية بالنفس والمال من أعظم التضحيات، ولكن الله أخذ علينا البيعة على أن نهب النفس والنفيس، والغالي والرخيص، في المنشط والمكره، ولا يكون الوفاء بهذه البيعة كاملاً إلا إذا كان هذا البذل والتضحية متضمناً كل ما يملك المؤمن من جهد

١- يعوزه: ينقصه.

ووقت، فالمؤمن لا يمكن أن يكون لديه وقت فراغ يستطيع أن يبذلـــه في سبيل دينه ولا يقوم ببذله. يقول النبي ﷺ: "لا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلاهُ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ" [رواه الترمذي، الحـــديث ٢٣٤٠]. كما أن المؤمن لا يبخل بذرة عرق يمكن أن يبذلها في طريق دعوته، يقول النبي ﷺ: "لا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنْ الْمَعْرُوفِ وَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَلْـــقَ أَخَاهُ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ"[رواه الترمذي، من الحديث ١٧٥٦]. فالراحة بالنسبة للمؤمن شيئاً لا يطلبه في الأرض، وإنما عليه أن يتفانى في العمل للإسلام موقناً بأن راحته وهناءه في السماء حيث الجنة.

ضرورة ملحة:

واليوم والإسلام مُحارب بضراوة من أعدائه ومن بعض بنيه الجاهلين، تحتاج ساحات الدعوة إلى من يشمرون لحمل رايتها وتوصيلها إلى الناس، وكل هذا لا يتأتى إلا بجهد يبذله من عرفوا الحق والتزموا به، وهذا الجهد والعمل لهداية الناس وتبصيرهم بحقوق ربهم، ومقتضيات إيمـــانهم، وآداب دينهم، يعد من أفضل التضحيات، وأسمى القربات إلى الله، فعن سهل بـــن سعد ﷺ عن النبي ﷺ: "فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِـــنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ"[رواه البخاري، من الحديث ٢٧٨٧]. نعم إن هداية الناس من الضلالات والانحراف إلى نور الهداية والصراط المستقيم جهد عظيم أفضل وأثمن عند الله من كل كنوز الأرض، فلا ينبغي لمسلم حصيف أن يتخلى أو يفرط في هذا الجزاء العظيم والفضل الكبير فلا يخصص من قدراته وجهده

وإمكانياته وطاقاته ما يؤهله لنيل تلك المنن الربانية، وهو أمر يمكن للكثير من الراغبين في هذا الفضل تحقيقه بغير مشقة ولا عسر.

أغلى الأوقات:

والتضحية بالجهد غالباً ما يلازمها تضحية بالوقت، وحيث إن وقت الإنسان هو وعاء حياته، والحياة أغلى ما يملكه الإنسان، والذي يستهين بوقته لا يُعدُّ عند العقلاء إلا مستهينًا بحياته، ولا يُقدِّر قيمة الوقت إلا أصحاب الأهداف السامية بل ويعتبرونها جزءًا لا يتجزأ من رأس مالهم مما يجعلهم متمسكين به حريصين عليه أشد الحرص؛ لأنهم يعلمون أن الدقيقة التي تمر لن يمكنهم استرجاعها مهما بذلوا لاستعادتها، وهذا ما يؤكده القول المأثور[1]: "كل يوم ينشق فجره ينادي في الخلق قائلاً ومنبهًا: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني بعمل صالح فإني لا أعود إلى يوم القيامة". وإذا أدركنا قيمة الوقت وأنه مرادف للحياة بغير مبالغة، أدركنا أن من يضحي بوقته الذي يحتاجه المرء للعمل والتكسب والراحة والتمتع لا يقل عمن يضحي بحياته حين البأس على أرض المعركة، وبقدر ما يضحي يكون الأجر والثواب، وفي عصرنا حيث تنافس الناس على طلب الدنيا وجمع متاعها والتنعم بطيباتها، وانشغلت أوقاتهم في هذه الأمور، وقد يكون هذا الانشغال مباحًا إلا أنه يفوت عليهم العمل لدين الله الذي وعد الله عليه خير الجزاء كما يفوت عزة الإسلام وكرامة المسلمين. ودعوة الناس إلى الخير وكلها مقاصد لا ينبغي لمسلم غيور على

١- هذا القول للحسن البصري.

هذا الدين أو حريص على منازل الجنة ونعيمها أن ينهمك في أعماله ومشكلاته وهمومه فلا يعطي للدعوة إلا ما يتبقى من أوقاته إن بقي منها شيء، وإنما ينبغي أن يخصص لها وقتًا مثلما يخصص وقتًا لطعامه وشرابه على الحد الأدنى، فكما لا يستغني المرء عن الطعام لإقامة حياته الدنيا لا يستغني عن الدين لينال الآخرة، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1]. فهل نبخل على الحياة الحقيقية والنعيم الأبدي بهذا الوقت الضئيل نضحي به ونقتطعه محتسبين الأجر والثواب وهو جزيل عظيم عند الله.

تدرب على التضحية:

ينظر أكثر المسلمين إلى أولئك الذين يضحون بأرواحهم وأموالهم وجهودهم وأوقاتهم وراحتهم لنصرة الإسلام ورفع شأنه نظرة الإعجاب والاستحسان، ولكن هذه النظرة لن تقدم أو تؤخر في تقدم قافلة الإيمان، وإنما الذي يفيد ويؤثر أن نشارك العاملين الباذلين، ونضحي ببعض مما رزقنا الله به من نعمة الصحة والجهد والوقت، فإن الوفاء ببيعتنا مع الله يستوجب من كل مسلم ومسلمة أن يأخذ نفسه بالعزم على البذل والتضحية بالعمل الذي يناسب قدراته ويلائم طاقاته، وبوقت يخصصه لذلك العمل وإن كان العمل والوقت قليلين، وذلك لأن استمرار العمل القليل مع الدوام والتخطيط الجيد لاستغلاله يتحول بعد مدة إلى عمل كبير، وأجر جزيل عند الله، وهكذا تستمر الدورة وتتضافر الجهود، وتتوالد صفوف وخبرات

١- من الآية ٦٤ من سورة العنكبوت.

جديدة تعمل وتضحي لتزيل وتمحو أشكال الانحراف والغواية ولتثبت وترسخ معالم الاستقامة والهداية، وبذلك أيضًا يتم التكافل المعنوي بين قدرات المجتمع المسلم وملكاته وطاقاته ، ويكون في التضحية ببعضها أو كلها دعمًا وسندًا للدعوة، وحسن استثمار لما وهب الله لنا من نعم، ووفاء لبيعتنا معه ﷺ.

ولتكن بداية التدريب بالاشتراك في إقامة حفل أو معرض إسلامي، أو المساهمة في إعداد عقيقة أو غير ذلك، وتخصيص نصف ساعة يوميًا للمعاونة في الأعمال الدعوية أو المسجدية مما يتناسب مع قدراتنا وأوقاتنا من غير بأس ولا حرج.

*****

طهر ورداء

ها قد أتى اليوم الذي يخشاه كل امرئ، وكثيرًا ما كان يغفل عنه وينساه، يقول الشاعر:

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن

يوم أن تطوى صفحة حياته بما سجَّل فيها من خير أو شر، وبما خطّ من أعمال صالحة أو طالحة، تُطوى لتنتقل من مكان مألوف إلى مكان آخر يحدده ما سطّر بيديه فلئن كان مقبولاً نال القبول، ولئن كان فاسدًا مرذولاً عاجله العقاب.

موقفٌ لابد منه:

بعد أن تصعد الروح وتفارق الجسد، يبكي الأهل والأحباب إذ تيقنوا عجزهم عن إبقائه، وقدومه -لا محالة- على حساب ربه، فيسرعون بإحضار مَن يُغسِّله، فالمسلم لابد أن يلقى ربه طاهرًا؛ لأن الاتصال بالله يحتاج إلى طهارة، فكيف بمن سيقابله؟

وليعلم كلٌ منا أنه لا محالة سيمر بهذا الموقف، حيث سيجرد من كل ثيابه إلا من ساتر يستر العورة، وسيقوم الغاسل بكل ما كنت تقوم أنت به لنفسك، فسيزيل ما على بدنك من نجاسة، ثم يوضئك وضوءك للصلاة،ثم يغسلك ثلاثاً بالماء، ثم يجففك ويضع عليك الطيب وذلك قبل لبس الكفن،كل ذلك وأنت لا حول لك ولا قوة، لا تستطيع حراكًا، ولا يمكنك إبداء رأيك فيما فُعِلَ بك، أين ذهبت قوتك؟ أين ذهبت إرادتك؟

لقد أصبحت اليوم وكأنك قطعة من لحم يقوم الغاسل ومن معه بعمل اللازم تجاهها.

فهل تذكرت يوماً وأنت تنظف جسدك وتعتني بنظافته أنك يوماً ما ستقف ذلك الموقف، فهلا أتممت استعدادك لهذا اليوم بالعمل الصالح والتقرب إلى الله.

فلسفة التجرد:

تجريد المتوفّى من ثيابه وتعريته أمر لازم لتغسيله، وهذا التجرد اللازم يلفتنا إلى أننا لن نخرج من الدنيا إلا مجردين من كل مظاهرها، ومن كل ما لهثنا لجمعه من مال وملابس ومتاع أو غير ذلك. ولنعلم جميعاً أن متاع الدنيا إلى زوال، فكما أتينا إلى الدنيا عرايا سنخرج منها أيضا عرايا، وأن الأمر لم يتعد سوى أنه مجرد رحلة صغيرة قمنا بها في هذه الدنيا، وهذا ما يدلنا عليه حديث النبي ﷺ عندما قال: "**مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**"[رواه الترمذي، من الحديث ٢٢٩٩]، ولذلك يجب علينا أن يستقر في وجداننا دائماً أن ما سنخرج به من هذه الدنيا ليس إلا عملنا الصالح، قال تعالى: ﴿**وتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى واتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾[1].

السّتر تكريم:

إذا انتهى المغسل من تنظيف الميت وتغسيله، سارع بإحضار الكفن؛ ليستر الميت، فإن الله حين شرع اللباس ما كان ذلك إلا تكريمًا منه لبني

١- من الآية ١٩٧ من سورة البقرة.

آدم، يقول الله تعالى: ﴿ولَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[1] وإذا كان الملبس للحي فيه تكريم، فإنه كذلك للميت، يقول الله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً﴾[2] ولكن هذا الكفن مجرد ستر ليس فيه نوع زخرف أو نقش أو زينة، وذلك أن الميت مقبل على الله، الذي أعلمنا بما يحبه ويرضاه من الزينة، قال الله تعالى: ﴿ولِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾[3] وذلك أن حسن المنظر لا يغني شيئًا إذا قبح الجوهر، ولقد قال أحد الشعراء في هذا المعنى:

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى   تجرد عريانًا وإن كان كاسيًا

نعم إن الزينة الحقيقية للمؤمن هي فيما يرتديه لهذا اللقاء من حلل التقوى والإخلاص.

فما ينبغي لمؤمن أن يكون جمال مظهره ومنظره هو شغله الشاغل، وإنما عليه أن يكثر من ذكر ذلك اليوم الذي سيرتدي فيه الكفن، وليصرف همته وشغله إلى مطلوب الله منه، فإذا ما تم اللقاء وجد من ربه الحفاوة والترحيب.

*****

١- من الآية ٧٠ من سورة الإسراء.
٢- من الآية ٢٦ من سورة الأعراف.
٣- من الآية ٢٦ من سورة الأعراف.



الفصل الثاني



١- الإضافة والترك والالتزام

٢- نعمـــة مغبـــون فيهـــا

٣- العــــــــدو الأول

٤- الشفاعة طوق النجـــاة





١- الإضافة والترك والالتزام

البحث في البدعة والسنة من البحوث المعضلة في أحكام الإسلام، ولا يُقطع فيه ببادئ الرأي، بل لابد من نظر دقيق وإحكام تـام في القواعـد والتطبيق؛ لذا وجب علينا أن نبين أنواعاً أخرى من البدع – بعدما بينـا البدعة الحقيقة– متعرفين على حجم كل منها الحقيقي، فكثيراً مـا أدى التماس هذه الأمور إلى تناحر و تفرق، فاحتاج الأمر إلى حـسن تمييـز، وحسن تقدير.

البدعة الإضافية:

وخلاصة ما ورد عن العلماء في تعريف البدعة الإضافية[١] أنها ما كان لها أصل في الشرع أو كانت سنة في الأصل ثم عرض لها وصف أو هيئة لم نرد عن الشرع.

ومن أمثلة ذلك: الالتزام في العبادات المطلقة، فقد ورد الحـث علـى الصيام المطلق وأنه يباعد بين المؤمن والنار سبعين خريفًا، فلو أن فـردًا أو جماعة ألزموا أنفسهم بصيام يوم محدد يجتمعون فيه على الإفطار معًا كـل شهر –مثلاً– وذلك من باب تقريب المستويات فيمـا يتعلـق بـالتكوين والتربية والتنافس على الخير وتآلف القلوب فإن هذا يعـد مـن البـدع

١- انظر تعريف البدعة الإضافية:

أ- أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام،ج١،ص٣٦٧.

ب- الموسوعة الفقهية الكويتية، ج٨،ص٣٢.

ج- محمد عبد الله الخطيب ومحمد عبد الحليم حامد، نظرات في رسالة التعاليم، ص١٢٠.

الإضافية، ولو أن أحدًا تعوَّد أن يتصدق كل شهر بقدر معين من المال في وقت محدد، يقصد بذلك وجه الله تعالى، كان هذا أيضًا من البدع الإضافية، وكذا لو تعود أحد صباح كل يوم ومساءه أن يدعو الله تبارك وتعالى بصيغة كهذه مثلاً: "اللهم فرج كربتي واجعلني عندك من المقبولين وارزقني اتباع سنة نبيك ﷺ" كان من الالتزام في العبادات المطلقة وبذا يعد من البدع الإضافية.

البدعة التركية:

الترك فعل من الأفعال الداخلة تحت الاختيار، وعلى ذلك قد يكون طاعة وقد يكون معصية ما دام داخلاً تحت الاختيار، فإذا خرج الترك من حد الاختيار ولم يقصد الإنسان إليه فلا أثر له في ثواب ولا في عقاب.

والبدعة كما تشمل الفعل المخالف للسنة تشمل الترك المخالف للسنة كذلك، فإن ترك المسلم المباحات تديُّنًا -أي: يعتقد أن ترك المباح من الدين- وذلك كترك بعض المأكولات زهدًا، أو ترك الزواج بضوابطه، أو كثرة السهر وترك النوم، فإنه يعترض هذه الطريقة أمران: الأول أنه يعتمد في مشروعيته على أصل أحاديث الزهد في الدنيا ومجاهدة النفس وما إلى ذلك. والثاني: إن فيه مخالفة لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ولا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1] وقول الرسول ﷺ: ".. وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي" [رواه أحمد، من الحديث ٢٢٣٧٦].

١- الآية ٨٧ من سورة المائدة .

خلاف فقهي:

ونأتي هنا للحديث عن حكم البدعة الإضافية وهل هو داخل في البدع المنهي عنها في قوله ﷺ : "كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ"[رواه ابن ماجة، من الحديث ٤٢] أم لا؟

ويظهر من كلام العلماء أنهم مختلفون في هذه المسألة فهي إذن من المسائل الفقهية الخلافية، ولكل قائل رأيه وحجته وبرهانه فيما ذهب إليه.

أما القائلون بدخول هذه البدعة الإضافية في مسمى البدع المنهي عنها، فمستندهم عدم ورود نص تفصيلي يدل على أن هذه الأمور من العبادات، فهم يشترطون لمشروعية العمل ورود النص عليه إجمالاً وتفصيلاً وممن ذهب إلى هذا الإمام أبو إسحاق الشاطبي[١] ومن تبعه.

وطائفة أخرى ذهبت إلى أن البدعة الإضافية لا تدخل في البدع المنهي عنها وتسميتها بهذا الاسم هو تنزّلٌ من باب الاصطلاح، أو من باب البدعة اللغوية، فطالما أن الأمر قد ورد فيه نص بمشروعيته فهذا أصل يعتمد عليه في مشروعية هذا العمل. قال الإمام ابن رجب الحنبلي: "المراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدع شرعًا وإن كان بدعة لغة"[٢].

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: "المحدثات: ما أحدث وليس له أصل في الشرع ويسمى في عرف الشرع بدعة، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة"[٣] وقد ذهب إلى هذا القول جماهير العلماء[١].

١- وانظر في هذا: أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام، ج١، ص ٣٦٧.

٢- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ص ٣٩٨.

٣- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج١٣، ص٢٦٧

ويدل على ما ذهب إليه جماهير العلماء ما رواه جرير بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حسنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ" [رواه مسلم، من الحديث ١٦٩١]. قال الإمام النووي: "فيه الحث على الابتداء بالخيرات وسن السنن الحسنات والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات". وفي هذا الحديث تحقيق قوله صلى الله عليه وسلم: "...كُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ" [رواه أحمد، من الحديث ١٦٥٢١]. وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة"[٢]، فالحسنة: هي التي توافق أصول الشرع وهي وإن كانت محدثة باعتبار الهيئة والكيفية فهي مشروعة باعتبار نوعها لدخولها في قاعدة شرعية أو عموم آية أو حديث؛ ولهذا سميت حسنة وكان أجرها يجري على من سنها بعد وفاته، والسيئة هي التي تخالف قواعد الشرع وهي المذمومة والبدعة الضلالة"[٣].

خلاصة القول: في هذه المسألة أن: "**البدعة الإضافية، والتركية، والالتزام في العبادات مطلقًا: خلافٌ فقهيٌّ لكل فيه رأيه ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان**"[٤].

٢- انظر: عبد الله الصديق الغماري، إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة، ص١٤، وقال: "ولم يشذ عن هذا الاتفاق إلا الشاطبي صاحب الاعتصام".

٢- يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، ج١٦،ص (٢٢٦-٢٢٧).

٣- انظر: عبد الله الصديق الغماري، إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة، ص١٦.

٤- مجموعة الرسائل، رسالة التعاليم، ص٣٥٨، الأصل الـ١٢.

فلنتعاون فيما اتفقنا عليه من المختلف فيه من أوجه الخير، وليعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، ولا ينكر بعضنا على بعض في المختلف فيه.

*****

٣- نعمة مغبون فيها

حقاً لا يُقدّر قيمة الصحة مثل من فقدوها، فهذه الصحة التي نمرح في نعمائها ونرتع في ربوعها حين تسرى في أبداننا والتي تمنحنا القدرة على إنجاز واجباتنا والقيام بوظيفة الخلافة في الأرض من إصلاح وتعمير وهداية. والتي بها أيضًا نستمتع بطيبات الحياة هي نعمة عظيمة من الله فعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: "**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**"[رواه البخاري، الحديث ٥٩٣٣]. ففي هذا الحديث توجيه واضح لأهمية الصحة ونفيس قدرها وتنبيه لغفلة الكثير من الناس عن أداء حقها وتهاونهم في الحرص عليها وحسن استثمارها، إما جهلاً بقيمتها أو تكاسلاً عن رعايتها وحفظها.

تداووا يا عباد الله:

إن الإسلام لم يقف عند حد النصح والإرشاد لهذه النعمة بل تعداه إلى أن جعل رعايتها وحفظها حقًا من حقوق هذه الأبدان علينا، فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: "فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا" [رواه البخاري، من الحديث ٤٨٠٠] فاعتبرنا الإسلام مسئولين ومستأمنين على هذه النعمة وشرع لنا ما يعيننا على الوفاء بهذه الأمانة، فعن أسامة بن

شريك قال قالت الأعراب: يَا رَسُولَ اللَّهِ ألا نَتَدَاوَى قَالَ نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً أَوْ قَالَ دَوَاءً إِلا دَاءً وَاحِدًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ قَالَ الْهَرَمُ". [رواه الترمذي، الحديث ١٩٦١].

الوقاية خير:

وكما اعتنى الإسلام بسلامة بنيه ليحيوا موفوري الصحة، صحيحي الأبدان قادرين على أداء ما يناط بهم من أعمال ومهام وواجبات اعتنى كذلك بمحاربة الأمراض ووأدها في مهدها بما شرع من أسباب الوقاية، وفيما سن من قواعد النظافة والحماية للمسلم في جسمه بالوضوء والغسل والسواك، وفي بيئته بالحث على التنظيف والتطهير، فعن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال: "نَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ" [رواه الترمذي، الحديث ٢٧٢٣]. وكذلك إيجابه لقضاء الحاجة في أماكن معزولة حتى تذهب الفضلات في مستقر سحيق فلا يتلوث بها ماء ولا يتنجس بها مجلس ولا طريق١، فعن معاذ قال، قال رسول الله ﷺ: "اتَّقُوا الْمَلاعِنَ الثَّلاثَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَالظِّلِّ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ" [رواه ابن ماجة، الحديث ٣٢٣].

وكذلك نرى أن الإسلام قد وضع قواعد الحجر الصحي، فإذا ظهر مرض معدٍ في بلد ما ضرب حوله حصاراً شديداً فمنع الدخول فيه أو الخروج منه، وذلك حتى تنكمش رقعة الداء في أضيق نطاق فقد قال رسول الله ﷺ: "إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلا تَدْخُلُوهَا وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا مِنْهَا" [رواه البخاري، الحديث ٥٢٨٧].

١- السابق ص ١٥٨-١٦٠.

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: "لا يُورِدَنّ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ"[رواه البخاري، الحديث ٥٣٢٨]. وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنْ الأَسَدِ" [رواه أحمد، الحديث ٩٣٤٥].

حماية من البداية:

كما أن النبتة الصغيرة في أول نشأتها تكون ضعيفة لا تحتمل مقاومة آفة أو مصارعة أو مدافعة ضرر، كذلك أطفالنا وقرة عيوننا في بداية نشأتهم يحتاجون منا إلى مزيد رعاية واهتمام ليكونوا في قابل الأيام على ما نرجو من عافية واقتدار على نفع أنفسهم ومجتمعهم.

ومن هذه الرعاية الاهتمام بالتطعيمات التي تحميهم من غوائل الأمراض وأخطارها بالحرص على مواعيدها المعلنة والمتابعة الجيدة لصحتهم والتيقظ لمعرفة أية تطعيمات استثنائية حتى لا نحرم أبناءنا من فوائدها ونجنبهم آثاراً قد نعجز عن تلافيها إذا فاتتهم، فإن الأمراض تزداد أخطارها يوماً بعد يوم، والتلوث يتفاقم حولنا، وكلما شب الطفل وقد اجتاز هذه الأخطار ازداد الأمل في تمتعه بصحة جيدة في مستقبله، ومناعة تعينه على مغالبة الأمراض ومقاومتها.

ولا تقتصر العناية بالتطعيمات على الصغار فإنه من المهم كذلك للكبار أن يحرصوا عليها إذا وجدت فرصة لذلك للحماية من بعض الأمراض الخطيرة أو في حال انتشار وباء ما إذا كان ذلك ممكناً ومتاحاً فإن بعض أهل العلم جعل هذا الأمر واجباً فقال: "إذا كان عصرنا قد اهتدى إلى

أمصال واقية من بعض الأمراض، فإن النظر الفقهي يقتضى القول بوجوب تناول هذه الأمصال"[1]

حبة سوداء فيها شفاء:

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بالصحة وسريان العافية في أجسادنا أرشدنا إلى فوائد بعض الأطعمة والأشربة والنباتات والأعشاب كالحبة السوداء مثلاً، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "عَلَيْكُمْ بِالْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ فَإِنَّهَا شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلا مِنْ السَّامِ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ الْمَوْتُ"[2] [رواه أحمد، الحديث ١٠٢١٧].

فهذه الحبة التي أوصى بها النبي ﷺ قال بعض العلماء بأنها حبة البركة، والتي وجد أنها تتكون من عناصر طيبة النكهة عجيبة الفوائد، ففيها الفوسفات والحديد والفسفور والكربوهيدرات وتحتوى على مضادات حيوية مدمرة للميكروبات والجراثيم ومثبطات للسرطان، كما أن بها منشطات قوية للهرمونات الجنسية ومدرات للبول وإنزيمات مهضمة ومضادة للحموضة[3].

اهتم بصحتك:

ما دمنا قد عرفنا فضل الصحة وجب علينا أن نحرص عليها ونحسن القيام بحقها ونتوقى ما يعرضنا للأوجاع والأسقام حريصين على أخذ

١- د. يوسف القرضاوي، السنة مصدراً للمعرفة والحضارة، ص ١٦٠.
٢- الموت.
٣- معجزات الشفاء في الحبة السوداء والعسل والثوم والبصل، تأليف أبي الفداء محمد عزت. شركة بدران للطباعة ص١٤.

الأمصال الواقية والتطعيمات لنا ولصغارنا والاهتمام بتناول الحبة السوداء.

ويفضل أن يعرض كل منا نفسه على طبيب مرة كل ستة أشهر للاطمئنان على صحته وما يحتاجه جسمه في الفترة المقبلة وعلاج أي مرض في بدايته فإنه يكون أيسر وأسهل وأقل تكلفة، فهذا أفضل من أن يسقط المرء صريعاً للمرض فجأة ويكتشف أنه قد قصر، ولكن بعد فوات الأوان.

*****

العدو الأول

العداء بين الإنسان والشيطان عداء بعيد الجذور يعود تاريخه إلى اليوم الذي صور الله فيه آدم قبل أن ينفخ فيه الروح، وحين رفض إبليس السجود لآدم طرده الله من رحمته وأعلمه بمصيره المشئوم إلى النار فاعتبر إبليس أن آدم هو السبب، وقرر أن ينتقم لنفسه من آدم وذريته ليصل بهم إلى نفس المصير الذي وصل هو إليه. وبعد أن حصل على وعد من الله بإبقائه حياً إلى يوم القيامة قطع على نفسه عهداً ببذل كل إمكاناته وقدراته وجهوده لصدنا عن سبيل الله، فقال كما أخبرنا الله ﷻ: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[1] وبهذا يتبين لنا أن عداوة الشيطان للبشر لن تزول ولا يمكن إيقافها إلى قيام الساعة؛ لذلك فإن الله قد أكثر في تحذيرنا منه لعظيم فتنته ومهارته في نصب شباك

١- الآيتان ١٦، ١٧ من سورة الأعراف.

الغواية ليوقع فيها المؤمنين، فقال تعالى: ﴿يا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾[1]، وهو ما يعني أن الأمر ليس بمجرد مخالفة لأوامره فقط وإنما هي معركة تمتد بامتداد حياتنا، فهي معركة المصير التي لن يربحها باقتدار إلا من تجهز لها وعلم أهداف عدوه وخططه وأساليبه.

تزين وزخرفة:

وربما لا يتغلب الشيطان على الكثيرين حين يرغبهم في إتيان المعاصي ولكن الخطر الأكبر حين يأتينا في ثياب الناصحين الراغبين في إسداء المعروف والخير لنا، فنتخلى عن حذرنا في التعامل معه كما فعل مع آدم وحواء من قبل، قال تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[2] فالشيطان يحسن تزيين الكلام وزخرفته ليوهمنا بخلاف الحقيقة ويستعمل الحيلة والخديعة للوصول إلى أهدافه حتى لو اضطر إلى أن يشغلنا بطاعة ما دامت ستُفَوِّت علينا طاعة أعظم وأجلَّ عند الله، أو تؤخرنا عن خير هو أفضل في ميزان الآخرة، فأسعد لحظات الشيطان أن يوقع الإنسان في معصية أو يحجبه عن فعل طاعة ولا يغيظ إبليس مثل أن يجد مؤمناً نشيطاً في عمل الصالحات وإرشاد الناس إلى الحق وكفهم عن الباطل. من هذا المنطلق يجب على المؤمن أن يحذر وسواس الشيطان حين يشرع في عبادة الله ﷻ،فإن الشيطان لن يأتي للمؤمن الطائع لله ﷻ ويوقعه في المعصية مباشرةً،

١- من الآية ٢٧ من سورة الأعراف.

٢- الآية ٢١ من سورة الأعراف.

ولكنه يفسد عليه عبادته عن طريق وسواسه، فإذا أفسد عليه عبادته كانت الخطوة التالية تزين المعصية له، قال تعالى: ﴿ولا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[1].

اتقوا وسواس الماء:

قد يأتي الشيطان إلى المتوضئ فيوسوس له بأنه لم يقل النية من وضـــوئه أو قالها خطأ وهذا سببه عدم العلم بأن النية محلها القلب ولا يشترط التلفظ بها.

ومنهم من يشككه في الماء الذي يتوضأ منه أهو طـــاهر أم لا؟ وهـــذا يكفيه أن يعلم أن الأصل في الماء الطهارة فلا يترك الأصل بالاحتمال.

ومنهم من يُلبِّس عليه بكثرة استعمال الماء وربما أطال الوضوء ففـــات وقت الصلاة أو فات أولها وهو وقت الفضيلة أو فاتته الجماعة، ويقول له إبليس: إنه في عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة.

وقد نهى الشرع عن الإسراف في الماء، وأن ذلك من الشيطان، فعن أبي بن كعب ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**إِنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ الْوَلَهَانُ فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ**" [رواه الترمذي، الحديث ٥٢].

مدافعة في الصلاة:

فإذا تخلص المرء من وسوسة الوضوء أراد الشيطان أن يفسد عليه صلاته بكثرة الوساوس وتشكيكه في النية وتكبيرة الإحرام، وهكذا في سائر صلاته والعاقل من يجتهد في دفع وسوسته ويُقبل على صلاته في خشوع واطمئنان بعد أن علم أن ذلك من إبليس، فعن عثمان بن أبي العاص ﷺ قال: قلت

١- من الآية ١٦٨ من سورة البقرة.

لرسول الله ﷺ: إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي يُلبِّسها عليّ فقال رسول الله ﷺ: "**إنَّ ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا**" ففعلت ذلك فأذهبه الله عني. [رواه مسلم، الحديث ٤٠٨٣].

ولكن ربما أتاه الشيطان قبل التسليم ليشككه في عدد ركعاتها وعلاج هذا الأمر -كما يقول العلماء- أن يبني على الأقل ثم يسجد سجدتي سهو قبل التسليم أو بعده[1]، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**إنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي جَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَلَبسَ عَلَيْهِ حَتَّى لا يَدْرِيَ كَمْ صَلَّى فَإِذَا وَجَدَ ذَلِك أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ**"[رواه مسلم، الحديث ٨٨٣].

خدعة الريـــاء:

كم من خير حُجب عن الناس، وكم من طاعة حرمها المؤمن بسبب هذه الخدعة والحيلة التي ينسج خيوطها الشيطان حول المؤمن، فتجده يُذكِّره بفضل الإخلاص وعاقبة الرياء ويقول له: من أنت حتى تعظ الناس وتُذكّرهم؟ لا تطل في الصلاة حتى لا تكن مرائياً، لا تفعل.. ولا تفعل..، وذلك ليقعده عن الخير ويمنعه منه. ولخطر هذه الحيلة ووقوع الكثيرين في شبكتها المحبوكة بمهارة شيطانية فقد تنبه لها العلماء العاملون المخلصون لما يدركون من خطرها على الأمة، فقد حدث الإمام مالك عن ربيعة قال: سمعت سعيد بن جبير يقول: "لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر".

١- انظر تفصيل مباحث سجود السهو في الجزء السابع.

وقال الحسن البصري لمطرف: عظ أصحابك، فقال مطرف: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل، فقال الحسن: يرحمك الله وأينا يفعل ما يقول ؟ لود الشيطان أنه ظفر منكم بهذه فلم يأمر أحد بمعروف و لم ينه عن منكر.

فالواجب على المؤمن أن يحرص على أداء كل طاعة نوى عملها ولا يلتفت إلى وساوس إبليس وإنما يجتهد -قدر طاقته- في الإخلاص فيها والدعاء بعدها بأن يقبلها الله منه"فإن العمل من أجل الناس رياء، وتركه من أجلهم شرك"[1]

ادخل الحصن:

ولما كان الشيطان صاحب مهارة في فتنة العباد عن أمور دينهم، شديد الحرص على إغوائهم وهو في ذلك لا يكل ولا يمل، فإن من رحمة الله بنا أن جعل لنا أسلحة قوية وتحصينات منيعة تحمينا من الشيطان بعد أن أعلمنا بأهدافه ووسائله وأسلحته وجعل أقوى أسلحتنا في مواجهتنا مع الشيطان هي استعاذة به ﷻ وصدق اللجوء إليه فإنه عليه قادر فإذا أجار عبده فأنى يخلص الشيطان إليه، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]. وكي يكون هذا السلاح فعالاً مؤثراً بقوة محققاً نصر الله لنا على هذا العدو يتطلب منا أموراً منها:

- أن نكون من حزب الله الذين يتمسكون بكتابه وسنة نبيه فنجعلها منهجاً لحياتنا لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[3].

١- انظر المنطلق.

٢- الآية ٢٠٠ من سورة الأعراف.

٣- من الآية ٥٦ من سورة المائدة.

- أن نذكر الله كثيراً؛ لأن الشيطان يخنس ويفر عند ذكـره وأن نلـزم جماعة المسلمين الصالحين، فعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "... **فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنْ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ**"[رواه أحمد، من الحديث ١٧٢].

- مخالفة الشيطان في كل ما يأمرنا به وفيما نعلم أنه يحبه لقول الله تعالى: **﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾**[١].

- العلم الشرعي الصحيح، فمن تعلم دينه وتفقه فيه صعب على الشيطان أن يضله، وكما يقول أحد السلف: "لعالم واحد أشد على الشيطان من مائة عابد".

غيظ إبليس:

أدركنا أهداف إبليس في الإهلاك والإضلال، والمعركة التي يخوضها ضدنا شئنا أم أبينا، فالواجب على المؤمنين ألا يتركوا له الميدان بل يصارعوه ويغالبوه وليثقوا بالنصر لقول الله تعالى: **﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[٢]. وليس أشد غيظًا لإبليس من رؤية من يعملون بطاعة الله ويكشفون للعباد ما يدبره إبليس من مؤامرات مهلكة للزج بهم إلى الجحيم وليكن أول من نبدؤه من ذلك أن نخبر من استطعنا من إخواننا -ولو اثنين- بما علمناه عن كيفية مجاهدة وسوسة الشيطان في الوضوء والصلاة وغيرهما من الطاعات، وأن نحرص كذلك على إنجاز الأعمال الصالحة وإن كانت أمام الناس، سائلين الله الإخلاص والقبول دائماً.

١- الآية ٤ من سورة الحج.

٢- من الآية ١٩ من سورة المجادلة.

الشفاعة طوق النجــاة

في هذا اليوم الرهيب العصيب الذي يجمع الله فيه الخلائــق جميعًــا في صعيد واحد حفاة عراة قيامًا والشمس دانية منهم والعرق يغمرهم والرعب يتملكهم في أرض المحشر، والله قد غضب غضباً شديداً فلا يجرؤ أحد على مخاطبته، والانتظار قد طال، هنا يلهم العباد البحث عن أفضل إنسان يحبــه الله كي ينجيهم من هول ذلك الموقف فيلجأون إلى الأنبياء واحــدًا تلــو الآخر بدءًا بآدم عليه السلام حتى يصلوا إلى محمدٍ ﷺ رحمة الله للعالمين فيقول ﷺ: "أنا لَهَا"[رواه البخاري، من الحديث ٦٩٥٦]. فيشفع لهم، والشفاعة مأخوذة مــن الشفع يعني أن الإنسان وتر مفرد يُحضِر معه شافع له محبة أو مكانة لــدى الآخرين ليجلب لنفسه نفعاً أو يدفع ضرًّا ربما لا يستحقه من باب العــدل ولكن يرجوه من باب الفضل والإحسان: ﴿واللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾[1] .

الشفاعة العظمى:

وهي لا تنبغي لأحد إلا لمحمد ﷺ تكريماً من الله له فيشفع لجميع الأمم، قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿عَــسَى أَن يَبْعَثَــكَ رَبُّــكَ مَقَامــاً مَّحْمُوداً﴾[2] . أكثر أهل التأويل على أن ذلك هو المقام المحمود الذي يقومه رسول الله محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم. وقال النووي: والمقام المحمود هو الشفاعة العظمى التي اختُصَّ بها وهي إراحة أهل الموقف من أهوال القضاء بينهم والفراغ مــن

١- من الآية ٤ من سورة الجمعة.

٢- من الآية ٧٩ من سورة الإسراء.

حسابهم، قال ﷺ: "... .فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنَ لِي فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ" [رواه البخاري، من الحديث ٤١١٦].

شفاعته ﷺ لأمته:

ومن عظيم فضل الله على أمة محمد ﷺ ورحمته الواسعة بها أن يقبل شفاعة حبيبه وخير خلقه محمد ﷺ فيها، يقول ﷺ: "لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا" [رواه مسلم، الحديث ٢٩٦].

والله سبحانه وعده أن يرضيه في أمته، فقال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[1]. ومعلوم أنه ﷺ لا يرضى وأحد من أمته في النار فلا يهلك بعد شفاعته إلا هالك كما أخبر ﷺ: "**فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك**"[رواه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء]. فالمؤمن يحب الرسول ﷺ لعلمه أنه سبب من أسباب نجاته ويحسن الاقتداء به.

وليست شفاعة النبي ﷺ تقتصر على طائفة من المؤمنين، بل تتعدد وتتنوع. قال الإمام النووي: "له خمس شفاعات؛ الشفاعة العظمى للفصل، وفي جماعة يدخلون الجنة بغير حساب، وفي ناس استحقوا النار فلا يدخلوها، وفي ناس دخلوا النار فيخرجون منها، وفي رفع درجات ناس في الجنة"، كما أكثر ما يهتم به النبي ﷺ في ذلك اليوم هو الشفاعة لأهل

١- الآية ٥ من سورة الضحى.

الكبائر الذين ضعفت نفوسهم فارتكبوا بعض الكبائر ثم ماتوا قبل أن يتوبوا منها، وذلك لأن أهل الصغائر لا يحتاجون إلى شفاعة فالله تعالى يقول: **﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾**[1].

كما أن النبي ﷺ صرح بذلك لأصحابه حين ظنوا أنها للمتقين الأخيار فصوب لهم النبي هذا الظن الخاطئ، فعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**"[رواه الترمذي، الحديث ٢٣٥٩]. ولذا فلا ينبغي لمسلم أبدًا أن ييأس من رحمة الله التي وسعت كل شيء، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**خَلَقَ اللَّهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَوَضَعَ وَاحِدَةً بَيْنَ خَلْقِهِ وَخَبَأَ عِنْدَهُ مِائَةً إِلا وَاحِدَةً**"[رواه مسلم، الحديث ٤٩٤٣].

شفاعات أخرى:

كذلك فإنه من رحمة الله وإكرامه لعباده المؤمنين أنه جعل أناسًا يشفعون لهم بالإضافة لشفاعة النبي العظمى، ومن هذه الشفاعات شفاعة الشهيد، وذلك لأن من فضل الشهادة في سبيل الله والتضحية لإعلاء كلمته يجعل للشهيد فضل التشفع في سبعين مسلمًا من أقاربه، فعن المقدام بن معدي كرب، عن رسول الله ﷺ: "**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ**"منها أنه"**يُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ**"[رواه الترمذي، من الحديث ١٥٨٦]. كما أن الصالحون من أمة محمد ﷺ ممن رضي الله عنهم في الدنيا لبرهم وإحسانهم في طاعة ربهم، ومعاملة خلقه يُشَفَّعون فعن أبي أمامة، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ**"[رواه

١- الآية ٣١ من سورة النساء.

الترمذي، من الحديث ٢٣٦٢]، كذلك يُشفّع أطفال المسلمين، فعن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: "يُقَالُ لِلْوِلْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ قَالَ فَيَقُولُونَ يَا رَبِّ حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا قَالَ فَيَأْتُونَ قَالَ فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ مَا لِي أَرَاهُمْ مُحْبَنْطِئِينَ[1] ادْخُلُوا الْجَنَّةَ قَالَ فَيَقُولُونَ يَا رَبِّ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا قَالَ فَيَقُولُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ"[رواه أحمد، من الحديث ١٦٣٥٧]، كما أنه من فضل الله ورحمته بعباده الصالحين أنه يأذن أن تشفع لهم أعمالهم الصالحة التي فعلوها في الدنيا، فعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: "الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصِّيَامُ أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ قَالَ فَيُشَفَّعَانِ"[رواه أحمد، من الحديث ٦٣٣٧].

للشفاعة شروط:

اعلم أن الشفاعة لا تكون مقبولة عند الله إلا بشرطين؛ الأول: أن يأذن الله للشافع في الشفاعة؛ لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إلا بِإِذْنِهِ﴾[2]، والثاني: أن يرضى الله عن المشفوع له؛ لقوله تعالى: ﴿ولا يَشْفَعُونَ إلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[3]. فلا تغترّ بها وتترك العمل الصالح.

١- المحبنطي: الممتنع امتناع طلب لا امتناع رفض.

٢- من الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

٣- من الآية ٢٨ من سورة الأنبياء.

فـــز بالشفاعـــة:

أرشدنا النبي ﷺ إلى بعض أسباب الفوز بشفاعته يوم القيامة، ومنـــها الدعاء له ﷺ وبخاصة بعد الأذان بأن ينال الوسيلة، فعن عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ قال: "...فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ" [رواه النسائي، من الحديث ٦٧١]. ومنها دعاء الإنسان لنفسه أن يكرمـــه الله بالوفاة في المدينة، فعن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: "مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا" [رواه الترمذي، الحـــديث ٣٨٥٢]، وكذلك من أسبابها إخلاص التوحيد لله، فعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامـــة؟ قـــال: "أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ" [رواه البخاري، الحديث ٩٧].

فائـــدة:

على المسلم العاقل أن يشكر ربه دومًا على هذا الفضل العظيم ويحرص على الاقتداء بنبيه صاحب الشفاعة، ويحمد الله تعالى على نعمة الإســـلام، ويكثر من مصاحبة الصالحين، ويتزود بالأعمال الصالحة، ويرضى بقدر الله فإن كل ذلك من أسباب استحقاق الشفاعة في الآخرة.

*****



الفصل الثالث



١- حب في غير غلو

٢- لا يحب المسرفين

٣- الاستفادة المزدوجة

٤- يَصْلَونها بما كانوا يعملون





حب في غير غلو

أثنى رب العزة على الصالحين من خلقه، ونوه بأخلاقهم ومسالكهم: ﴿واذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياً﴾[1]، ﴿واذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وكَانَ رَسُولاً نَّبِياً * وكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصَّلاةِ والزَّكَاةِ﴾[2]. والثناء على الصالحين قانون مطرد تتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيل، وتخلد به تقوى العابدين وشجاعة الأبطال، قال الله تعالى عن نوح عليه السلام[3]: ﴿وتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي العَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُؤْمِنِينَ﴾[4].

حب الصالحين عبادة:

ولذلك فإن محبة الصالحين والأولياء من القربات التي يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل، فالنفوس مجبولة ومفطورة على حب من عمل خيرًا، وأسدى للناس معروفًا، وعُرف بينهم بالتقوى والصلاح، وكان له أثر إيجابي في صلاح المجتمع وإصلاحه قال الله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾[5].

فكل ما هو من الخير والصلاح والنفع من فطرة الإنسان فهو مجبول على حبه وحب من يعمل به.

١- الآية ٤١ من سورة مريم.

٢- الآيتان ٥٤،٥٥ من سورة مريم.

٣- محمد الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، ص١١٨.

٤- الآيات ٧٨-٨١ من سورة الصافات.

٥- الآية ٣٠ من سورة الروم.

تصحيح للمفاهيم:

وهؤلاء الأولياء الصالحون قد يُجري الله على أيديهم بعض الكرامات[1] وخوارق العادات تكريمًا لهم وتشريفًا كما حدث للسيدة مريم عليها السلام من إيتائها رزقها في محرابها، وكما حدث في قصة موسى والخضر عليهما السلام، وكما حدث لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ عندما نادى: "يا سارية الجبل"، لكن هذه الكرامات ليست شرطًا لصحة الولاية والصلاح والتقوى، فالضابط والمعيار في كون العبد من أولياء الله هو قوله سبحانه: **﴿ ألا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وكَانُوا يَتَّقُونَ﴾**[2]. فالإيمان والتقوى هما معيار الولاية والصلاح.

"فالزوجة التي ترعى بيتها وتربي أولادها وتسعد زوجها، ناشدة بهذا كله وجه الله هي من الأولياء، والرجل في عمله الرسمي يحرس مصالح الناس ويعجل بقضائها ويهش لأصحابها مع وفائه بحقوق الله من صلاة وزكاة هو من الأولياء، وغيرهم كثير من الأولياء الأتقياء الأخفياء، وليس من الضروري ألبتة أن يقع لهم أي خارق من خوارق العادات"[3].

درجات الولاية:

وبيّن الرسول ﷺ مزيد بيان وإيضاح لمعيار الولاية والصلاح وفضلها وأثرها، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ...**" [رواه البخاري، من الحديث ٦٠٢١]، فذكر في هذا

١- انظر: مبحث الكرامات في الجزء السابع من الرياض.

٢- الآيتان ٦٢،٦٣ من سورة يونس.

٣- محمد الغزالي، دستور الوحدة الثقافية، دين المسلمين، ص١٢٠، بتصرف.

الحديث أن أولياء الله على درجتين:

إحداهما: المقربون إليه بأداء الفرائض[1] وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين، وأداء الفرائض هو من أفضل الأعمال.

والثانية: درجة السابقين المقربين، وهم الذين تقربوا بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع[2].

فقد آذنته بالحرب:

ثم بيَّن الرسول ﷺ منزلةِ الولي عند الله فهو الحبيب إلى الله، القريب إليه، حتى إنه جل جلاله يعلن الحرب على من عاداه بل حتى مجرد الأذى والإهانة كما في رواية: "**من آذى لي وليًا**"[3] [رواه الطبراني في الأوسط]، وفي رواية: "**من أهان لي وليًا**"[4] [رواه الطبراني في الأوسط]. وهذا يدعونا -بل يوجب علينا- محبة الصالحين والأولياء وموالاتهم واحترامهم والثناء عليهم بما عُرف من طيب أعمالهم.

حب في غير غلو:

ولكن هذا الحب والثناء والتقدير لا يجعلنا نغالي في هذا الحب والتقدير فننزلهم فوق منزلتهم، ونخلط بين توقير الأولياء وصفات الألوهية، فنعتقد فيهم -كما يعتقد بعض من لا علم له- الضر والنفع، وما هذا إلا

١- يقصد بالفرائض هنا: ما هو واجب على العبد فعله، وما هو واجب عليه تركه.

٢- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ص ٤٨١ - ٤٨٢، بتصرف.

٣- قال الهيثمي في مجمع الزوائد (جـ٢، ص٢٤٧، ٢٤٨): رجال الطبراني رجال الصحيح خلا شيخه هارون بن كامل.

٤- قال الهيثمي في مجمع الزوائد (جـ١٠، ص٢٧٠): وفيه عمر بن أبي حفص الدمشقي وهو ضعيف.

نتيجة طبيعية وتلقائية لتجاوز الحدود وللمغالاة في الحب؛ ولهذا أوصى النبي ﷺ صحابته الكرام قبل وفاته قائلاً: "**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**"[رواه البخاري، الحديث ٣١٨٩]. فالرسول ﷺ وهو من هو من الخيرية والفضل على جميع البشر يدعو إلى عدم إعطاء منزلته فوق ما تستحق، فالرب رب والعبد عبد، قال جل في علاه: ﴿**قُل لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نفْعاً ولا ضَراً**﴾[1]. فالمعاداة مذمومة كما أن المجاوزة مذمومة.

قاعدة كلية:

والقاعدة الكلية في هذا الموضوع والضابط العام أن: "محبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى، والأولياء هم المذكورون بقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾[2]، **والكرامة ثابتة بشرائطها الشرعية، مع اعتقاد أهم رضوان الله عليهم لا يملكون نفعًا ولا ضرًا في حياقم أو بعد مماقم فضلاً عن أن يهبوا شيئًا من ذلك لغيرهم**".[3]

فعلينا أن نحب الصالحين، ونحترمهم ونثني عليهم، وندعو غيرنا إلى ذلك. وعلينا كذلك أن نوضح لمن حولنا أن الأولياء الصالحين لا يملكون لأنفسهم -فضلاً عن أن يملكوا لغيرهم- ضرًا ولا نفعًا.

١- من الآية ١٨٨ من سورة الأعراف.

٢- من الآية ٦٣ من سورة يونس.

٣- حسن البنا، رسالة التعاليم.

لا يحب المسرفين

تضمن الإسلام طائفة من الإرشادات والآداب المتصلة بحياة المسلمين خاصة، قصد بها تنظيم شئونهم البدنية والنفسية، ووضعها على أساس كريم.

وهي آداب تتعلق بمطعم الإنسان وملبسه ومسكنه، وسائر آماله التي يسعى إليها في هذه الحياة، لا يجنح فيها إلى الرهبانية المغرقة ولا إلى المادية الجشعة، فهي تقوم على التوسط والاعتدال"[1].

فإن الإفراط في شيء يأتي على حساب أمور أخرى يجب القيام بها، قد حرص الإسلام على أن يقرَّ ذلك كمبدأ لا يقبل التخلي عنه أو المساومة عليه ويوضح ذلك أن النبي ﷺ نهى عن الإسراف حتى في العبادة الخالصة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للنفر الذين استقلوا عبادته: "أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[رواه البخاري، الحديث ٤٦٧٥].وما كان ذلك منه ﷺ إلا لما يرى من أن التوسط والاعتدال وعدم الإفراط في كل شيء هو أشد عونًا على أداء رسالته في هذه الحياة وما وراءها.

الإسراف في المباحات:

وبعض الناس يظن أن انطلاقه في أنواع المباحات من الطعام والشراب والملبس والأثاث لا حرج عليه فيه ما دام مباحاً وحلالاً وعلى ذلك فهم

١- خلق المسلم ص١٤٢، الطبعة الأولى.

يمعنون في الأكل والشرب حتى الامتلاء، ويقضون أوقاتًا للتفكير في وسائل جديدة للطهي وابتكار ألوان جديدة تزيد التلذذ والتنعم، ومنهم من يسرف على نفسه في التبهرج ويغالي في البحث عن أحدث خطوط الموضة وأبهاها، وينفق ماله ووقته في انتقائها واختيارها، ومثل هؤلاء لا يصلحون لجلائل الأعمال وعظائم الأمور لما تجلبه هذه الأمور من فقدان للهمة في طلب الآخرة وتزيد من طلب الدنيا والتعلق بها والركون إليها؛ لذلك نهانا الله تعالى عن هذا الإسراف، فقال تعالى ﴿وكُلُوا واشْرَبُوا ولا تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ﴾[1]. والنهي عنها لا يراد منه ترك الطيبات أو عدم التلذذ بها، وإنما عدم الإسراف الذي يفضي إلى الشر، فعن المقدام بن معدي كرب عن النبي ﷺ: "مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ طَعَامٍ وَثُلُثٌ شَرَابٍ وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ"[رواه أحمد، الحديث ١٦٥٥٦].

لماذا يسرف البعض؟

وقد يغتر البعض بكثرة شيء ما، فهو يبعثره وينفقه من دون تدبر أو تفكر ظنًّا منه أن هذه الكثرة ستبقى دائمة له، وهذا ما حدا بالنبي ﷺ أن يأمر المسلمين بترشيد استعمالهم للماء مهما بدا كثيراً غزيراً، فعن عبد الله بن عمرو ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ مَا هَذَا السَّرَفُ فَقَالَ أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ قَالَ نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ" [رواه ابن ماجه، الحديث ٤١٩]. فاحفظ النعمة وارعها تدم لك.

١- من الآية ٣١ من سورة الأعراف.

والبعض يظن أن حسن هندامه وبديع منظره سواء في ملبسه أو أثاث بيته سيعوضه شيئًا عن نقص نفسه، واعوجاج مسلكه، وأن يشتهر بين الناس بذلك الأمر، فلمثل هؤلاء أتى تحذير شديد ووعيد لمن يسلك سبيلهم، فعن ابن عمر ﵄ عن النبي ﷺ قال: "**مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ أَلْهَبَ فِيهِ نَارًا**"[رواه ابن ماجه، الحديث ٣٥٩٧].

فهذا تهديد صريح لمن أولعوا بالمظاهر وألوان الألبسة والأثاث يبرأ الإسلام منه، ويُنزِّه الأتقياء عنه.

فالإسلام يريد أن ينتزع جذور الترف والإسراف ليحفظ على الأمة كيانها وتماسكها؛ لتقوى على مجابهة تكاليف الدعوة، ومشقة الحياة، وليرتفع بالمسلمين عن ملاهي الدنيا الصغيرة إلى معالم الشرف ومراقي المجد والفلاح معتبرًا أن فيها فقط تكمن السعادة الحقيقية.

سعادة بغير إسراف:

لعلنا قد أدركنا الآن حرص الإسلام على سعادة أفراده، وما ينشده لهم من كمال من خلال هذا التنظيم الدقيق والتوازن الموفق بين ضرورات البدن وأشواق الروح، فلا تستبد بالمسلم الرغبة الملحة في المفاخرة والمكاثرة بالمتاع والأثاث وغير ذلك لتشغلهم عما هو أجدى وأنفع من تهيئة في زاد الآخرة، وكلاهما مطالب في شريعة الإسلام بالتيسير والتبسيط، خاصة في أمور تجهيز البيوت؛ لما يترتب على عكس ذلك من تعسير وتعقيد حذرنا الله منه أشد التحذير حين قرن الإسراف عامة بالشياطين لما فيه من المفاسد

والرذائل، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾[1]. وفي هذه الصورة والوصف من القبح والدمامة والسوء ما لا يليق أن يتصف به المسلم التقي الحصيف.

الاستفادة المزدوجة

الإسلام فيما افترض من عبادات، ورخصه من بعض المرفهات والمبهجات حث المسلم على الحرص على ما ينفعه، كما وجه الإنسان إلى الاستفادة من طاقاته وقدراته فيما يعود عليه بالنفع، فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[2]. وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلا تَعْجَزْ**" [رواه مسلم، من الحديث ٤٨١٦]، وذلك أن النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، فخطر الفراغ على النفس البشرية حين تخلو مساحة فيها من الطاعة والخير تتمدد فيها مساحة من المعصية والشر، لأجل ذلك شرع الإسلام من العبادات المتعددة والمتنوعة ما يلتهم الفراغ ويملأ النفس نوراً؛ لتنطلق على بصيرة لأداء رسالة الخير والحق والهدى، كما اعتبر الإسلام أن كل عمل فيه خير لنا أو إصلاح لدين الفرد أو دنياه عبادة لها أجرها عند الله بقدر نفعها للفرد والإنسانية، وامتداد أثرها في الحياة، فعن رسول الله ﷺ قال: "**سبع يجرى للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علّم علماً أو كرى نهراً[3] أو حفر بئراً أو غرس نخلاً**

١- من الآية ٢٧ من سورة الإسراء.

٢- الآيتان ٩، ١٠ من سورة الشمس.

٣- كرى النهر كريًا: استحدث حفره.لسان العرب (ك ري) .

او بنى مسجداً أو ورّث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته"[رواه البزار وأبو نعيم والبيهقي][1].

لكلٍ موهبة وطاقة:

ومن العجيب أن بعض الناس ممن يشكون الفراغ لديهم إمكانات هائلة وقدرات رائعة غير أنها انطمرت تحت ركام إهمالهم لها أو إحجامهم عن المشاركة بها في ميدان الحياة الرحيب لسبب أو آخر، وبعضهم بانتظار من يكشف عن مواهبهم ويحسن توجيهها واستثمارها، وبعضهم غابت عنه في زحام التوافه التي شغل نفسه بها، فهو لا يرى لنفسه أية قدرات أو إمكانات، والذي ينبغي أن يعلمه الجميع أن الله ميز كل إنسان بملكات وقوى داخلية أو خارجية، ذهنية أو عضلية. تتفاوت نعم، لكن المجتمع في حاجة إليها جميعاً، وعليك أنت أن تبحث عنها، وتستفيد منها، فلا تخضعك الظروف لحكمها، ولا الأحوال لتصاريفها، فإن الإسلام جاء ليفجر فينا طاقات الخير والإبداع بما منحنا من قيم ومفاهيم تمجد البذل والعطاء، وتبغض الكسل والشح، فإن ما نملكه فقط من حواس وأعضاء ثروة ربانية تحتاج لحسن توظيف منا لتعود علينا بأفضل الثمرات، وأجل الفوائد.

هواية مربحة:

وهكذا يتبين لنا أن أغلب الناس يملكون من الطاقة والفراغ ما لو أُحسن استغلاله في ممارسة هواية مفيدة لعاد عليهم وعلى غيرهم بأعظم النفع، وقد

١- حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٣٦٠٢.

كان نبي الله داود عليه السلام يستثمر طاقته وجزءاً من وقته في صنع الدروع؛ يزاول هذا العمل بعد أدائه لتكاليف الحكم والملك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾[1]. فداود عليه السلام لم يكن في حاجة إلى العمل ولكنه كان حريصاً على ما ينفع الناس سعيداً بذلك.

والهوايات المفيدة أكثر من أن تحصى، كما أنه من السهل لمن لا هواية له أن يمارس واحدة أو أكثر بحسب ما تميل إليه رغبته ويوافق ميوله بحيث يجد فيها النفع والمتعة معاً بدلاً من الفراغ الذميم، والهواية المفيدة تُعرف بقدر ما تجلبه للفرد من معرفة وخبرة، أو قدرة على الأداء، أو تحسين في العمل والإنتاج، أو تهذيب للمشاعر والسلوك، أو تنمية لمواهبه وإمكانياته، أو ربح، أو خير للمجتمع. وكم من هواية كانت سبباً في ارتقاء شأن صاحبها وعلو قدره.

ولا ينسى حينئذ أن ينقل خبراته إلى الآخرين، فإن إعانة الآخرين على الاستفادة والإفادة نوع من الخير، والله يقول: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[2]

أحسن الاختيار:

بعد أن علمنا أن الهوايات تتعدد وتتنوع لتتناسب مع جميع الميول والرغبات والقدرات ودورها المهم في نفع الفرد والمجتمع، وثمارها في ملء الفراغ بأنواع من الخير، وصرف الأوقات فيما هو مفيد وبنّاء في الحاضر

١- الآيتان ١٠،١١ من سورة سبأ.

٢- من الآية ٢٠ من سورة المزمل.

والمستقبل، يجب على المسلم أن يحسن اختيار الهواية الملائمة له والتي تحوي على أكثر من فائدة أو يحسن توجيهها إلى ذلك. وكذلك إذا قرر أن يتعلم هوايات جديدة يراعى أن يشبع بها جانبي النفع المعنوي والمادي، فهذا أعون على الاستمرار والابتكار.

*****

يَصْلَونها بما كانوا يعملون

إن الذي ترك الطيبات وارتكب المحرمات و لم يتعظ بنصائح المؤمنين و لم تزجره المواعظ وتمادى بلا وجل في الظلم وفي الباطل مع صحبة الشر ورفقة السوء ينتظره ما سبق أن حذره الله منه، يقول تعالى: ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾[1] فإذا دعت النفوس إلى الشهوات والملهيات ودعا الشيطان إلى الخبائث والرذائل كان في زواجر القرآن وقوارعه ما يُكَفْكِف من شَرَه النفوس إلى اللذائذ والشهوات المحرمة، ويقصُرها عن غيّها، ويكبح ما يجمح من شوارد الخواطر عما يرديها في المخاطر، يقول الشاعر:

والنفس والشيطان فاعْصِهما وإن هما محّضاكَ النُّصح فاتّهِم

قيود وأغلال:

لهؤلاء الذين انفلتوا من مسئولياتهم وعاشوا لأنفسهم فقط؛ للملذّاتِ والشهوات والاستخفاف بكل شيء أعد الله لهم في النار سلاسل وقيودًا،

١- الآية ٦ من سورة فاطر.

يقول الله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾[1].

وبعد التقييد يأتيهم التنكيل، يقول الله: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً﴾[2]. ويقول أيضًا: ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[3] وهي مطارق تهوى على رءوسهم فتطوحهم بين جنبات الجحيم.

سوداء مظلمة:

ربما هان خطب مفزع، أو خفّت حدته إذا كانت النفس متهيئة لوقوعه أو وجدت من يشاركها فيه فتتعزى قليلاً ولكن أصحاب النار في ظلمة حالكة يداهمهم الموت من كل مكان وتفترسهم الآلام من كل جانب وهم لا يدرون من أين تأتيهم أصناف العذاب المتوالية المتتابعة لشدة سواد النار، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه عن النار: "أَتُرَوْنَهَا حَمْرَاءَ كَنَارِكُمْ هَذِهِ لَهِيَ أَسْوَدُ مِنْ الْقَارِ[4]"[رواه مالك، من الحديث ١٥٨٠].

في العذاب مشتركون:

ولا يتعزى أو يتسلى أحدهم بوجود غيره معه من الظالمين الذين تكبروا في الأرض وكان يسير في ركابهم ويستمرئ عيشهم ويعينهم على إثمهم في إهدار حقوق الناس وأكلها ظلمًا وعدوانًا، يقول الله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ اليَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي العَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[5]. بل إن ما بينهم من علاقات

١- الآيات ٣٠-٣٢ من سورة الحاقة.

١- الآية ١٢ من سورة المزمل.

٢- الآية ٢١ من سورة الحج.

٣- القار: الزِّفْتُ.

٤- الآية ٣٩ من سورة الزخرف.

حميمة وصداقات متينة تتمزق وتتحول إلى عداوات وأحقاد أشد إظلامًا من النار تضاعف آلامهم، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾[1]. ويقول أيضًا: ﴿الأَخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ﴾[2] والظلم ظلمات فاحرص ألا تظلم فإن عاقبة الظلم وخيمة.

طعام يُفزع:

من يأكل الحرام، ويتلذذ بطعمه، ويلهث للمزيد منه، وكذلك من تضعف نفسه عن الحلال المباح، فتميل إلى الحرام السهل، يكون قد اختار ما يناسبه في الآخرة، يقول الله تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾[3]. إن الحرام الذي أكله في الدنيا سيتحول إلى أقبح وأفظع صورة في انتظاره، يقول الله تعالى في وصف طعامهم: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾[4]. أما شكلها فيبينه الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[5]. وطلعها أي ثمرها، وهو لا يستطيع أن يتحمل هذا الطعام ويبتلعه ويأتيه الشراب ليساعده على البلع، يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُم﴾[6].

١- الآية ١٦٦ من سورة البقرة.

٢- الآية ٦٧ من سورة الزخرف.

٣- الآية ٦٢ من سورة الصافات.

٤- الآيات ٤٣-٤٥ من سورة الدخان.

٥- الآيتان ٦٤،٦٥ من سورة الصافات.

٦- الآية ١٥ من سورة محمد.

وهو لا يشرب ماء مغليًا فحسب، يقول الله تعالى: ﴿ويُسْقَى مِن مَـاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ ولا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾[1].

حيث لا ينفع الندم:

كان العصاة في الدنيا يسخرون من المؤمنين ويتمتعون بما فيها من نعيم، مسرورين بما يقتنصون من اللذات ويختلسون من المتع، غير عـابئين بـأي مسئولية حتى إذا دخلوا النيران ودخل المؤمنون الجنان تقطعـت قلـوبهم حسرات، فيقول قائلهم كما يصف القرآن: ﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ.﴾[2] ويـراهم المؤمنـون في العـذاب فيضحكون منهم، يقول الله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّـذِينَ آمَنُـوا مِـنَ الكُفَّـارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُون﴾[3]. فيتحسر العصاة تنـدُّما ويبكـون ويصرخون طالبين الإذن بالرجوع إلى الدنيا لعمل الصالحات كما يحكـى القرآن عنهم: ﴿وهُمْ يَصْطَرِخون فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّـذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[4]. فتأتيهم الإجابة بالرفض والتقريع، يقول الله تعالى: ﴿أَوَ لَـمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّـالِمِينَ مِـن نَّصِيرٍ﴾[5]. فتزداد الحسرات ويرى بعض معارفه في الجنة منعمين فيتمنى أن لو كان سمع نصحه في الدنيا، ولكن فات الأوان فيطمع في قليل مـن المـاء العذب أو حتى في أقل شيء مما يأكلونه في الجنة فتأتيه الإجابة التي تخرسـه

١- من الآيتان١٦، ١٧ من سورة إبراهيم.

٢- من الآية ٥٦ من سورة الزمر.

٣- الآيتان ٣٤، ٣٥ من سورة المطففين.

٤- من الآية ٣٧ من سورة فاطر.

٥- من الآية ٣٧ من سورة فاطر.

وتملؤه كمدًا وألمًا؛ يقول الله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1].

الخطبة النارية:

حتى الشيطان لا يسلمون منه، فبينما ينتظرون من معلمهم الأكبر وأستاذهم الأول أن يخفف عنهم أو يهون عليهم، بعد أن فاضت نفوسهم بالحسرات واعتصرهم العذاب تأتيهم كلماته -بعد أن يقف خطيباً فيهم على منبر من نار- كالحمم المقذوفة من بركان تصدمهم وتزلزلهم، حيث يقول لهم كما يخبرنا الله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]. إنها حسرات تتلوها حسرات، وعذابات تذيب راسخات الجبال، والهرب غير ممكن، يقول الله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾[3].

اربأ بنفسك:

أربأ بنفسك أن تكون من هؤلاء، فالمؤمن يعلم أن الدنيا ساعة فعليه أن يتحلى فيها بالطاعة ويقبل على ربه بإنابة ويحذر التسويف فإنه من مطايا

١- الآية ٥٠ من سورة الأعراف.

٢- الآية ٢٢ من سورة إبراهيم.

٣- من الآية ٢٢ من سورة الحج.

إبليس، ويقاوم شهواته في إرادة مستعينًا بربه ثم بصحبة الصالحين، يقــول الشاعر:

والنفس كالطفل إن تهملــه شب على   حــب الرضـــاع وإن تفطمـــه يــنفطم

فاصرف هواها وحــاذر أن توليـــه   إن الهــوى مــا تــولى يَــصْمِ أو يَـصِمِ

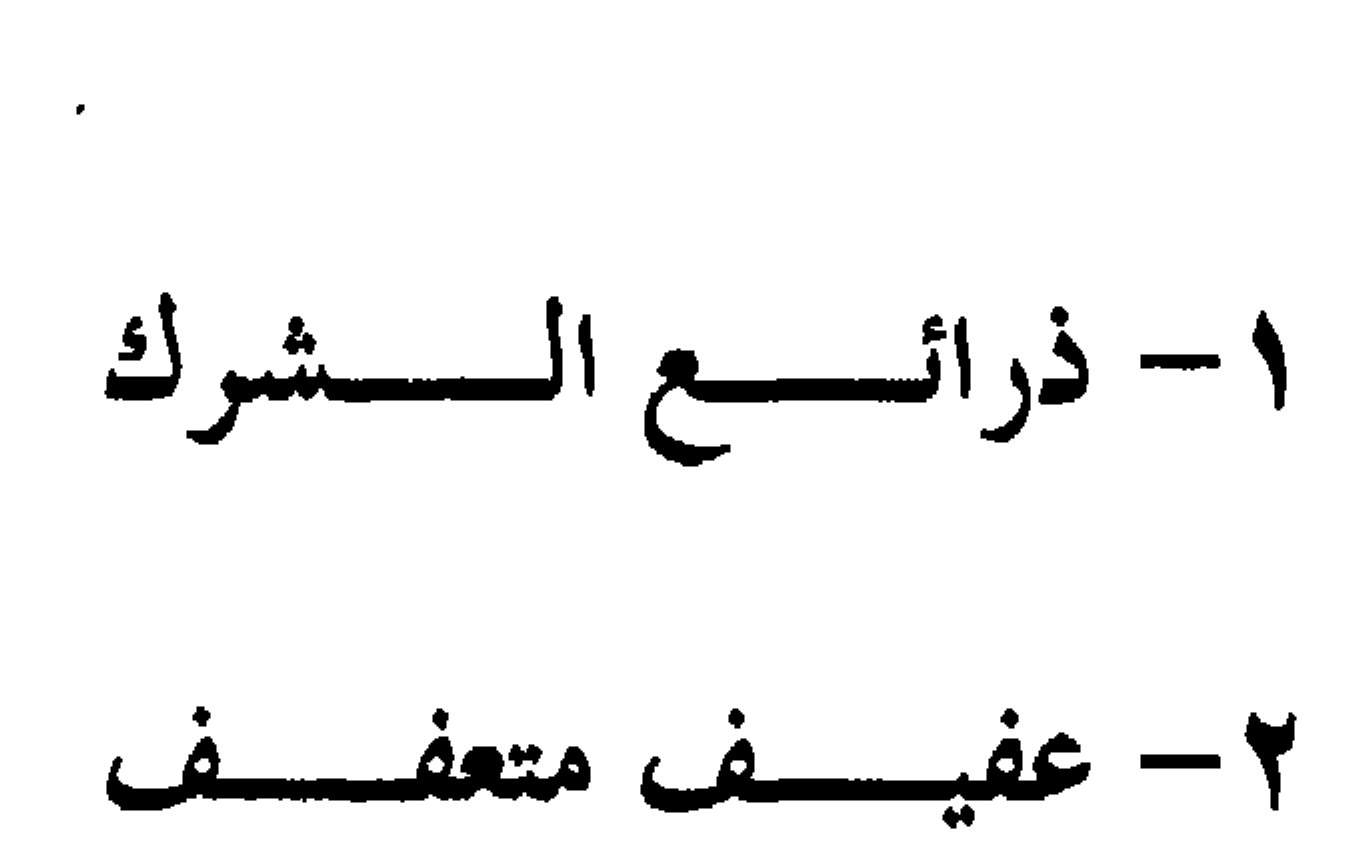
كم حــسنت لــذة للمــرء قاتلـــة   من حيث لم يــدر أن السم في الدسم

واستفرغ الدمع من عين قــد امتلأت   مــن المحــارم والــزم حمية النـــوم

نعم ما أحلى أن نوقد بالليل شمعة لنذيب بدموع الخشية ما ران علـى القلوب من قسوة ونتجه إلى الله بصدق أن ينجينا من عذاب النار.

*****

الفصل الرابع



١– ذرائع الشرك

٢– عفيف متعفف

٣– العقل ينمو

٤– هنيئا بما صبرتم

ذرائع الشرك

أرسل الله تبارك وتعالى خاتم المرسلين محمدًا ﷺ لتوحيده سبحانه، والإيمان به، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[1]، أي: ذلك الدين المستقيم الموصل إلى جنات النعيم أما ما سواه من الكفر والإشراك فطرق موصلة إلى الجحيم، وهذا أصل ومنهج قرآني عظيم، وهو التركيز على حفظ العقيدة صافية نقية خالية من الشركيات والبدع والشوائب، وإغلاق الباب أمام الذرائع المكدِّرة لصفوها.

الذرائع وعلاقتها بأحكام المقاصد:

الذريعة هي الوسيلة المفضية إلى الشيء، أو هي: ما يُتوصل به إلى الشيء، والذريعة كما تكون إلى المفاسد المحرمة تكون إلى المصالح أيضًا، فالسفر وسيلة الحج والسفر من الوسائل والحج من المقاصد فتأخذ الوسيلة هنا أو الذريعة حكم المقصد (وهو الحج)، والعبرة في الحكم هنا بالمآل[2] لا بالحال، فقد يكون حكم الوسيلة في حد ذاته مباحًا لكن لأنه قد يؤدى إلى محرم (وهو المآل) فيأخذ حكمه كما قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[3]. فسبُّ ما عُبِدَ من دون الله مباح أو مستحب في حد ذاته، لكنه هنا أدى إلى الاعتداء بسبِّ الله

١- الآية ٥ من سورة البينة .

٢- المآل: النتيجة النهائية.

٣- من الآية ١٠٨ من سورة الأنعام.

فحرُمَ لأجله وهذا هو ما يسمى بسدِّ الذرائع، أي: منع الوسائل المفضية إلى ما هو محرم أو مكروه وهى قاعدة من قواعد الشرع الحكيم ولها شـــواهد كثيرة تدل عليها.

نداء الموتى:

ومن الذرائع المؤدية إلى الشرك نداء الموتى والاستعانة بالمقبورين[1] بـــأن يقول الداعي مثلاً: "يا حسين ارزقني" أو : "يا بدوى اشف مريضي" أو : "يا دسوقي اقض حاجتي"فكل هذا لا يجوز في شرع الله؛ لأنه استعانة بغير الله، قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَـــى يَـــوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾[4]. وقال ﷺ: "إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّـــهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ"[رواه الترمذي، من الحديث ٢٤٤٠][5].

ونداء الموتى والمقبورين منافٍ لخلوص القلب لله، وهذا بخلاف التوسل بالموتى الصالحين إلى الله، وهو بأن يقول الداعي: يا رب أسألك بحق جاه نبيك ﷺ أو أسألك بالصالحين من عبادك أو ما شابه ذلك، فهذا دعـــاء لله

١- ونداء الموتى والاستعانة بالمقبورين فعل محرم في حد ذاته، ولكنه ليس شركًا وإنما قد يـؤدي إلى الشرك.

٢- الآية ٥ من سورة الفاتحة.

٣- الآية ١٠٦ من سورة يونس.

٤- الآية ٥ من سورة الأحقاف.

٥- قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم و الحكم (ص:٢٤٠) "...والطريق التي خرجهـــا الترمذي حسنة جيدة".

وتوجه إليه سبحانه بالطلب، وهذه الكيفية مختلف فيها والجماهير العظمى من العلماء على جوازها.

النذر لغير الله:

فهناك أعمال لا يجوز فعلها إلا لله جل في علاه ومنها: "النذر"وهو: إيجاب الفعل المشروع على النفس بالقول تعظيماً لله تعالى، قال تعالى: **﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾**[1] وقال تعالى: **﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾**[2] فهي من العبادات الشرعية[3]، والقاعدة أن العبادات يحرم صرفها لغير الله تعالى، فلا يجوز مثلاً أن يقال: إن شُفي مريضي لأتصدّقن للحسين أو ما شابه ذلك، وكذا لا يجوز الذبح لغير الله فهو من العبادات، قال تعالى: **﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾**[4] وقال تعالى: **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾**[5] وقال ﷺ: **"لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ"** [رواه مسلم، من الحديث٣٦٥٨] ولهذا قال العلماء: لا يجوز النذر للقبور، فإنه معصية لا يجوز الوفاء به بالاتفاق، ولا أن يوقف عليه شيء لأجل ذلك، فإن هذا الوقف لا يصح إثباته ولا تنفيذه[6].

١- من الآية ٧ من سورة الإنسان.

٢- من الآية ٢٧٠ من سورة البقرة.

٣- محمد رواس قلعه جي، معجم لغة الفقهاء، ص٤٧٧.

٤- الآيتان ١٦٢،١٦٣ من سورة الأنعام.

٥- الآية ٢ من سورة الكوثر.

٦- انظر: الشيخ على محفوظ، الإبداع في مضار الابتداع.

تعظيم لغير الله:

ويتمثل في الحلف بغير الله، والحلف في اصطلاح علماء الشريعة: "توكيد حكم بذِكْرٍ مُعظَّم على وجهٍ مخصوص"[1]، وهذا الذكر المعظَّم لا يكون إلا بالله وأسمائه وصفاته، قال العلماء: والسر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده.

ولهذا قرر العلماء أن الحلف بغير الله لا يجوز كأن يقول: وحياة الأب أو الأم أو ما شابه ذلك، وهل المنع هنا للتحريم ؟ قولان عند المالكية، والمشهور عندهم الكراهة، والخلاف أيضًا عند الحنابلة لكن المشهور عندهم التحريم، وبه جزم الظاهرية، وقال ابن عبد البر: لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع، ومراده بنفي الجواز الكراهة أعم من التحريم والتتريه، والخلاف موجود عند الشافعية وجمهورهم على أنه للتتريه.[2]

ويدل على عدم الجواز قول رسول الله ﷺ: **"أَلا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ"**[رواه البخاري، من الحديث ٦١٥٥] وفي رواية: فقال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنها ذاكراً ولا آثراً.

١- الموسوعة الفقهية الكويتية، مصطلح (حلف).

٢- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج١١، ص٥٤٠.

اتخاذ القبور مساجد:

وهذا النهي متعلق بالقبور ومنها: "اتخاذ القبور مساجد" أي: السجود لها على وجه تعظيمها وعبادتها كما يسجد المشركون للأصنام والأوثان وهو شرك صريح، فعن عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: "لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا قَالَتْ وَلَوْلا ذَلِكَ لأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا". [رواه البخاري، الحديث ١٢٤٤]. قال القاضي عياض: شدد في النهي عن ذلك خوف أن يتناهى في تعظيمه ويخرج عن حد المبرة (أي: البر) إلى حد النكير، فيعبد من دون الله ﷻ؛ ولذا قال النبي ﷺ: "اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"[رواه مالك في الموطأ، الحديث ٣٧٦]؛ لأن هذا الفعل كان أصل عبادة الأوثان؛ ولذا لما كثر المسلمون في عهد عثمان واحتيج إلى الزيادة في المسجد وامتدت الزيادة حتى أدخلت فيه بيوت أزواجه ﷺ أدير على القبر المشرف حائط مرتفع؛ كي لا يظهر القبر في المسجد فيصلي إليه العوام فيقعوا في اتخاذ قبره مسجداً، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وصرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من جهة الشمال، حتى لا يمكن استقبال القبر في الصلاة.[١]

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ"[رواه الترمذي، الحديث ٢٩٤]، والسُرج هنا جمع سراج، والمقصود باتخاذ السراج هنا إيقادها وإضاءتها وهو

١- القاضي عياض اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص ٣٢١.

منهي عنه بنص الحديث خوفاً من تعظيم المقبور أو لما فيه من تضييع مال بلا نفع، ومثل إيقاد السرج وإضاءتها ستر القبور والتمسح بها، وغير ذلك من المبتدعات فهي من الذرائع المؤدية إلى الشرك.

تغيير النفوس:

يقول العلماء: "إن الناس يعيشون في أكواخ من عقائدهم فلا تهدموا عليهم أكواخهم، ولكن ابنوا لهم قصراً من العقيدة السمحة، عندئذ سيهدمون أكواخهم بأيديهم"[1] وهذا هو المنهج القرآني في تغيير ما في الناس من انحرافات عقدية أو عبادية أو أخلاقية، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[2]. وقد مكث رسول الله ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاماً، يصلي في المسجد الحرام وفيه ثلاثمائة وستون صنماً وكان يسكن في دار الأرقم على الصفا، وعلى الصفا صنم اسمه "إساف"وعلى المروة صنم آخر اسمه"نائلة"ولم يرد عنه ﷺ أنه كسر صنماً واحداً من هذه الأصنام ولا غيَّر شيئاً من هذه الشركيات، وإنما دعا إلى توحيد القلب لله والإخلاص له سبحانه، فلما صفت هذه القلوب من هذه الشركيات كسَّر الأصنام الظاهرة في فتح مكة بعد كسر الأصنام الباطنة في القلوب وبنى فيها قصر التوحيد، وهكذا ينبغي على دعاة اليوم تجاه بعض الأمور المنهي عنها والتي قد تكون سبباً في الشرك بالله أن يغيروا ما في نفوس الناس ببناء لبنة التوحيد والعقيدة السمحة، وشيئاً فشيئاً سيزول وينخلع ما تجذَّر في

١- من مقال للأستاذ حسن البنا، جريدة الإخوان المسلمون الأسبوعية، يعني العقائد الباطلة والعادات السيئة.

٢- من الآية ١١ من سورة الرعد.

النفوس من باطل وانحراف، والأمر يحتاج إلى صبر ونَفَس طويل: ﴿واصْبِرْ وما صبْرُكَ إلا باللّهِ﴾[1] .

زيارة مأثورة:

ولا يجعلنا الحذر من الوقوع في بعض الأمور المنهي عنها والخاصة بالقبور أن نغفل عن سُنة مأثورة عن النبي ﷺ ألا وهى وزيارة القبور بالضوابط الشرعية. روى بريدة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ**" [رواه مسلم، الحديث ١٥٦٠]. وقد زار الرسول ﷺ قبر أمه، وقال: "**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي**" [رواه مسلم، الحديث ١٦٢١].

وعن نافع أن ابن عمر كان لا يمر بقبر أحد إلا وسلم عليه. وفي صحيح مسلم عن بريدة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى عَلَى الْمَقَابِرِ فَقَالَ **السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاحِقُونَ أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ لَنَا وَلَكُمْ**" [رواه النسائي، الحديث ٢٠١٨]. وفي سنن ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها أنها فقدت النبي ﷺ فإذا هو بالبقيع فقال: "**السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ وَإِنَّا بِكُمْ لاحِقُونَ اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ وَلا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ**" [رواه ابن ماجة، الحديث ١٥٣٥].

وعن أبي أمامة قال: رأيت أنس بن مالك، أتى قبر النبي ﷺ فوقف، فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة، فسلم على النبي ﷺ، ثم انصرف.

١- من الآية ١٢٨ من سورة النحل.

ولا شك أن زيارة القبور بالطريقة المأثورة تُذكر بالموت وانقطاع هذه الحياة، وانقضاء إلف اللذات والشهوات، وتفكر فيما يصير إليه من ضيق اللحود وصولة الدود، وهو لا يدري ما يؤول إليه من شدة الحساب، وصعوبة الجواب، ولا شك أن في هذا إحساناً إلى الميت بالسلام عليه، والدعاء له بالرحمة والمغفرة وسؤال العافية.

ويمكن أن نخلص مما سبق بقاعدة: **"وزيارة القبور أيًا كانت سُنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيًا كانوا، ونداؤهم لذلك، وطلب قضاء الحاجات منهم- عن قرب أو بعد- والنذر لهم، وتشييد القبور، وسترها، وإضاءتها، والتمسح بها، والحلف بغير الله، وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سدًا للذريعة"**[١].

*****

١- الإمام حسن البنا، رسالة التعاليم، ص٣.

عفيف متعفف

العفاف والعفة والتعفف كلمات جميلات تدل على خلق عظيم ونفس كريمة تأبى أن تهبط إلى ما لا يجمل من الأقوال والأفعال حتى لو تيسرت لها الأسباب والوسائل لتعلن عن قدرة صاحبها على ضبط نفسه حال اليسر والعسر، وعن قدرة المحروم على حكم إرادته مع التجمل والتنزه عن السؤال.

خُلق الأنبياء:

ولا نعجب إذا قلنا إن خلق التعفف أو العفاف من أخلاق الأنبياء، فعن المقدام ﷺ عن رسول الله ﷺ: **"مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ"** [رواه البخاري، الحديث ١٩٣٠].

إن هذه الإشارة إلى خلق التعفف في المال والمطعم مع ما أوتيه نبي الله داود عليه السلام من الملك والسلطان صنعت أجيالاً من المسلمين يفتحون الدنيا ولا يطمعون، أو يسألون أصحاب البلاد المفتوحة شيئاً من أموالهم وإن لم يجدوا في بعض الأحيان ما يسد رمقهم، فهم كما يقول الله تعالى: **﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾**[1].

وكأن الإسلام حين حث أصحابه على هذا الخلق إنما كان يُعدُّهم ليكونوا ملوكاً في هذه الدنيا بما يحملونه في أنفسهم من نبل وغنى.

١- من الآية ٢٧٣ من سورة البقرة.

رفعة لأصحابه:

وإذا كان شرف النفس في صونها عن الدنايا والمطامع وتعليق الآمال بذوي الجاه والسلطان، فالمؤمن يربأ بنفسه أن يضعها في هذا السبيل، بل ولا يرضى أصلاً أن تعرض عليه الأموال والمناصب دون استحقاق"فالرجل الشريف لا يبني كيانه إلا بالطرق الشريفة فهو يؤمن بأن سقوطه رهن بمد يده إلى هذا وذاك، وأنه كلما ترفع واستعف ملك نفسه وثبّت كرامته وعاش وجيهاً في الدنيا والآخرة"[1]

وقد روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: "كان أهل الجاهلية لا يُسوِّدون إلا من كانت فيه ست خصال: السخاء، والجد، والحلم، والصبر، والتواضع، والتأني، وتمامهن في الإسلام العفاف".

فالعفاف فضيلة تسمو بصاحبها عن الدنايا واللذة العاجلة إلى التحليق في أجواء المعالي والمجد الأدبي والمادي، فعن زيد بن حارثة عن النبي ﷺ: **"من تكن الدنيا نيته يجعل الله فقره بين عينيه ويشتت عليه ضيعته ولا يأتيه منها إلا ما كُتب له ومن تكن الآخرة نيته يجعل الله غناه في قلبه ويكفيه ضيعته وأتته الدنيا وهي راغمة"** [الطبراني في الأوسط].

وقد أشار أحد الشعراء إلى أثر تلك الفضيلة في أبيات تقول:

غيري يخادعه الرجاء ... وتغره دنيا اللئام فيرغب
لم ترض لي غير المحامد ... نفسٌ يجيء بها العفاف ويذهب
والمرء ينهض في الفضائل ... ما خف محمله وعفَّ المكسب

١- الجانب العاطفي في الإسلام، ٢١١-٢١٢، بتصرف.

دلني على السوق:

عن النبي ﷺ قال: "مَنْ سَأَلَ مَسْأَلَةً وَهُوَ عَنْهَا غَنِيٌّ كَانَتْ شَيْنًا فِي وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[رواه أحمد، الحديث ٢١٣٨٥].

والغنى هنا تعني القدرة على الاستغناء عن الشيء، ولقد كان الصحابة ﷺ يضربون المثل الأعلى في التعفف عما في أيدي الناس وإن عرضوه بطيب نفس، فهذا عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين يعرض عليه أخوه سعد بن الربيع من الأنصار بعد أن آخى رسول الله ﷺ بينهما أن يقاسمه زوجتيه وداره وماله ضارباً أروع مثالٍ في الإيثار، فيقابله عبد الرحمن بأروع مثال في العفاف والتعفف ويقول له: بارك الله لك في أهلك ومالك، ولكن دلني على السوق.

وممن تصدر هذه الكلمات؟ من رجل لا يملك شيئاً من حطام الدنيا غير أن تربيته في محضن النبوة نمّت في جنباته معاني العفة والثقة بالله عملاً بقوله ﷺ: "وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ".[رواه البخاري، الحديث ١٣٣٨].

أول الفائزين:

ولما كان في التعفف ستر الحال عن الخلق وإظهار الغنى فيكون صاحبه معاملاً له في الباطن، فحينئذ يقع له الربح بقدر صدقه في ذلك؛ لأن الله تعالى يحب عبده الفقير المتعفف، أي المبالغ في العفة عن السؤال مع وجود الحاجة الملحة بصرف بصيرته عن الخلق إلى الخالق وتوجهه إلى سؤال الرزق

من الرازق وإنما يسأل إن سأل على جهة التعريض والتلويح الخفي"[1] إذا اضطرته الحاجة وألجأته الظروف؛ ولأجل هذا العناء في كف النفس عن شهواتها المحبوبة وكفاحها في ضبط رغباتها الملحة ابتغاء وجه الله تعالى استحق هؤلاء أن يكونوا أول من يدخلون الجنة، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: **"أَوَّلُ ثَلاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ الشَّهِيدُ وَعَبْدٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ وَفَقِيرٌ عَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ"**[رواه أحمد، الحديث ٩٨١٥].

حقيقة الورع:

وأنت حين تسمع عفيف وتعفف تجد في نفسك تلازماً بين هذه الكلمات وبين الطهارة والترفع عن كل ما لا يجمل بالمرء، ويتمثل صاحب هذا الخلق قول الشاعر:

إن الكريم ليخفى عنك خلقه   حتى تراه غنياً وهو مجهود

فإن تفضل الناس على الإنسان وإن كان يشبع لديه حاجة إلا أنه يبقى أسير منّتهم عليه حتى يرد أو يبادلهم الفضل بالفضل، وإن لم يجد أذل نفسه لهم أو أخذوا من دينه أضعاف ما أعطوه من دنياهم. وكم من أمثال هؤلاء في المصالح والشركات والمناصب أو في أي موقع من الحياة، فالنتيجة واحدة والخلاص من ذلك هو العفاف الذي يقي النفس ما يذلها في العقبى وإن بدا حلوا ممتعاً في بدايته، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني وأوجز، فقال النبي ﷺ: **"عليك بالإياس مما**

١- فيض القدير بتصرف يسير.

في أيدي الناس، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وإياك وما يُعتذر منـــه" [رواه البيهقي].

وكان لقمان الحكيم يقول: "حقيقة الورع العفاف".

وليس أعون للإنسان على هذا الخلق من ثلاثة أمور، أولها معرفة فضله ومنزلته كما ذكرناها وثانيها حسن التدبير لما له ونزوله على قانون الاكتفاء الذاتي فعن النبي ﷺ قال: **"حسن التدبير مع العفاف خير مـــن الغـــنى مـــع الإسراف"** [البيهقي في شعب الإيمان].

وثالثها أن يعلم أن الغنى الحقيقي للمسلم وكمال عزته في استغنائه عن الناس، فعن النبي ﷺ: **"شرف المؤمن قيام الليـــل وعـــزه اســـتغناؤه عـــن الناس"**[رواه الطبراني].

كن ملكاً:

بعد أن تعرفنا على هذا الخلق النبيل الذي يدل على استكمال الـــنفس لمعاني العزة والكرامة والشرف، إلى الدرجة التي جعلت شـــاعراً مـــشهوراً كعنترة يفاخر ويعتز بهذا الخلق على قدم المساواة مع القوة والشجاعة فقال:

هلا سألتِ الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمـــي

يخبرك من شهد الوقيعة أنـــني أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وكأن ما في العفة من معاني القوة النفسية لا يقل عن معـــاني القـــوة العضلية، وأحرى بالمسلم أن يكون عفيفاً متعففاً عن دنيا النـــاس بعـــد أن علمه الإسلام كيف يكون ملكاً وإن لم يملك فخفخة السلطان وأبهة الملك، فعن محصن الخطمي عن النبي ﷺ قال: **"مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى**

فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا". [رواه الترمذي، الحديث ٢٢٦٨].

واستفد من تجربة الشاعر الذي قال:

طلبت الغنى في كـــل   سبيل الغنى إلا سبيل التعفف
ولـــيس الغـــنى إلا في   ومأثرة تبقى ومكرمة تجـــنى

هيا نلبي النداء: ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيـــدي النـــاس يحبك الناس.

*****

العقل ينمو

يبدأ الطفل حياته بإمكانات وقدرات محدودة تجعله في أغلب تـــصرفاته يتحرك بالغريزة كسائر الكائنات، ولكنه لا يلبث سنوات قليلة حتى تزداد إمكاناته ويشتد عوده وتتعدد قدراته، ولكن ما يميزه عن غيره حينئذ هـــو مقدار ما يتعلمه ممن يحيطون به، وقدرته على استخدام عقله في فهم الأمور والتعامل معها، وحسن توظيف إمكاناته فيما يفيده وينفعه، وهذا يحتاج من المحيطين به أن يراعوا هذا النمو العقلي، وإمداده بما يناسبه من مبادئ العلوم والمعارف مثلما يراعون حاجات النمو الجسماني من أطعمة وأشـــربة؛ لأن هذا العقل هو المسئول عن تمييز المصالح من المفاسد، والحقائق من الأوهـــام وهو المسئول عن تسخير إمكاناتنا - مهما قلت- لتحقيق الفوائد والفلاح في الدنيا والآخرة؛ لذا يجب أن نهتم بتغذيته بالعلم النافع والمعارف المفيدة؛ ليكون نعم القائد إلى سبل الخيرات والوازع عن طرق الشرور والمنكرات.

لا تخنق عقلك:

بعض الناس يعتقدون أن أنواعاً معينة من العلوم فقط ينبغي أن تُدرس ويُبذل الوقت والعمر في تحصيلها والتوسع فيها. وأما سائر العلوم فتصير بعدئذ هامشية لا ضرر في الجهل بها، وهذا فهم قاصر بعيد عن روح الإسلام ومبادئه، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمسُ فِيه عِلْماً سَهّلَ الله لَه طَرِيقاً إِلَى الْجَنّةِ**" [رواه الترمذي، الحديث ٢٨٥٨]. فكلمة علم جاءت نكرة و لم تحدد أهو علم شرعي محض أو دنيوي، لكن السياق واضح في كونه علماً نافعاً للإنسان ولحياته على اختلاف صورها "فالعلم الذي يقبل المسلم عليه ويجتهد في تحصيله ويرحل في طلبه إلى أقاصي الأرض ليس علماً معيناً محدود البداية والنهاية، فكل ما يوسع آفاق الفرد ونظرته إلى الحياة، ويزيح ستائر الجهل من أمام أعيننا ويوثق صلة الإنسان بربه ويتيح له السيادة في العالم والتحكم في قواه والإفادة من ذخائره المكنونة، لهو علم ينبغي التطلع إليه"[1] والتمكن فيه بلا أدنى حرج أو تهوين لأهميته، فإن كل العلوم تصب في معين واحد هو فهم الحياة والكون، وللمتدبر فيهما طريق للاهتداء إلى الله ﷻ، يقول الله ﷻ: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾**[2] ولمثل هذه المعاني أشار الشاعر حين قال:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

١- خلق المسلم ص٢٢٢ بتصرف.

٢- الآية ٢٢ من سورة الروم.

أول الأوامر:

ولما كان في العلم دليل على وجود الله وفي تعميق الإيمان به في صدور الناس كانت أول الأوامر إلى أمة الإسلام هي القراءة، بما تعنيها من علم ومعرفة وثقافة. قال الله ﷻ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ[٣]﴾.

وهذا التكرار للفظ "اقرأ" بما فيه من صيغة الأمر، ثم بالنظر إلى دور القلم في اكتساب العلوم وتحصيلها لفه دلالة -لا تخفى- على قيمة العلم والتعلم لأمة يريد لها الله أستاذية العالم وإخراجه من الحيرة والضلال إلى اليقين والهدى، وهذا لن يكون في أمة يستحوذ الجمود والتخلف على أفرادها أو أمة وقفت في ثقافتها وعلمها عند حد لا تتعداه، فقد جرت العادة على أن تستلهم الأمم والشعوب المعاني والأفكار ممن برز وبرع لا ممن تأخر وتبلد، فإن الإسلام لن يقدم لهذه الشعوب صلاح الروح ثم ينأى بنفسه عن صلاح المادة والحياة والكون التي لا يصلح لها إلا أصحاب العقول المستنيرة بأنوار العلم والثقافة ومستحدثات التكنولوجيا، وهذا ما أدركه الشاعر الحصيف فقال:

هل رأيتم أمة في جهلها ظهرت في المجد حسناء الرداء

فالعلم هو أول خطوة في بناء أمة تريد لنفسها التقدم والكرامة.

٣- الآيات ١-٥ من سورة العلق.

نحن أمة العلم:

لقد أمرنا الله بالتعلم وجعل القراءة من أهم وسائله كما أوضح دور القلم في العلم والتعلم، فلولا الكتابة والقراءة ما تقدم البشر ولا ارتقت لهم حضارة، إذ بها يسجل أحدث ما وصل إليه ثم يأتي جيل ليأخذ خلاصة هذه المعارف والمعلومات والخبرات ليبني عليها، وفى هذا دلالة واضحة على أثرها في رقي الأمة وهو خطوتها الأولى لبناء حاضر سعيد ومستقبل أفضل، وهذا شاعر اتضح له فضل العلم وعاقبة الجهل فقال:

العلم يرفع بيوتًا لا عماد له   والجهل يهدم بيت العز والشرف

وهذا ما جعل الإسلام يُرغب أفراده في الاستزادة من العلم إلى غير حد، قال الله ﷻ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1].

وقد قيل لعبد الله بن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ قال: حتى الممات إن شاء الله.

وسئل سفيان بن عيينة: من أحوج الناس إلى العلم؟ قال: أعلمهم لأن الخطأ منه أقبح.

فن الإنصات:

وفى عصرنا تطورت وسائل العلم والتعلم إلى درجة كبيرة بحيث صار التعلم أمراً سهلاً وميسوراً للراغبين حيث فتحت فصول محو الأمية وتعليم الكبار والبرامج التعليمية التلفازية والإذاعية والأقراص المدمجة التي تعمل على الحاسوب وغيرها من الأدوات والوسائل التي أنتجتها التقنية الحديثة، ويبقى

١- من الآية ١١٤ من سورة طه.

أكثرها توافراً وأبسطها استخدامًا وأوسعها انتشاراً ألا وهي شرائط الكاسيت، فهي متاحة للجميع بأسعار زهيدة ومنها ما هو سلاسل محاضرات في الفقه والسيرة والحديث أو في تعلم صيانة الأجهزة أو تعليم مهارات معينة، وبذلك يستطيع المسلم باستخدام حاسة السمع وحدها أن يتعلم الكثير مما ينفع به نفسه وأمته، وأن يرشد غيره إلى الاستفادة من هذه الوسيلة في الخير .

عالم ومتعلم:

إن التعلم والتعليم روح الإسلام، والناس في نظر الإسلام أحد رجلين: إما متعلم يطلب الرشد، وإما عالم يطلب المزيد، وليس بعد ذلك من يؤبه له، قال رسول الله ﷺ: "**الْعَالِمُ وَالْمُتعلِّم شَرِيكَانِ فِي الْخَيْرِ وَلا خَيْرَ فِي سَائِرِ النَّاسِ بَعْدُ**"[رواه ابن ماجة، الحديث ٢٢٨][1]، فمن شاء أن يكون له سهم في الارتقاء بقيمة نفسه وأمته فليكن له حظ من العلم، وليتزود بقدر ما تسمح له إمكاناته وقدراته. وأول طريقه إلى ذلك أن يخصص وقتاً يومياً للقراءة والاطلاع يبنى به شخصيته على أساس متين ويدرك به رسالته في الحياة، ويسعى من خلالها لتوصيل رسالة الإسلام على بيِّنة ووضوح، وأن يخصص وقتاً للاستماع إلى شريط أو ما يناسبه من الوسائل السمعية أو البصرية أو التي تجمع بينهما ويحث غيره على الاستفادة منها أو يجعلهم يشاركونه الاستفادة، فإن في تعليم الآخرين وإرشادهم أجر كبير، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: "**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**

١- خلق المسلم ص٢٢٧.

حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ"[رواه الترمذي، الحديث ٢٩٠١].

*****

هنيئًا بما صبرتم

علم المؤمن بعضًا مما أعده الله للمؤمنين والمؤمنات في الجنة، فلا يقبل منه إذا سُئل: هل في الجنة كذا أو كذا من ألوان النعيم، مما قد يعجب منه، أو يقول: لا أعرف. فالله سبحانه حسم هذه القضية بقوله عز وجل: ﴿وفِيهَا مَا تَشْتَهِيه الأَنفُسُ وتَلَذُّ الأَعْيُنُ وأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]. فإن كل ما يخطر ببالك أو لم يخطر من النعيم متحقق فيها بانتظاره، ففي الحديث القدسي: "أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ"[رواه البخاري، الحديث ٣٠٠٥]. وإذا كانت الدنيا قد امتلأت بالمتع واللذائذ والشهوات المحدودة المؤقتة، فالله سبحانه أعد أصنافًا وأشكالاً وألوانًا من النعيم الدائم الذي لا ينفد ولا ينقطع.

تنتظرك الحور:

يدخل المؤمن الجنة ليجد بانتظاره أجمل وأحلى وأرق نساء خلقهن الله، إنهن جواري الحور، أما الحورية بينهن فتلك درة التاج وفريدة العقد ما تستطيع الكلمات وصفها غير أنها الأجمل والأروع، يقول الله تعالى:

١- من الآية ٧١ من سورة الزخرف.

﴿كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ والْمَرْجَانُ﴾[1]. وهم أيضًا: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[2].قد تجهزت لاستقباله بأجمل الحلل، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: "لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ زَوْجَتَانِ مِنْ حُورِ الْعِينِ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ الثِّيَابِ"[رواه أحمد، الحديث ٨١٨٦]. وهي تنتظر زوجها بغاية الشغف والشوق، فعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: "لا تُـؤْذِي امْـرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إلا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ لا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللَّهُ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا" [رواه الترمذي، الحديث ١٠٩٤]. يغنين له بأعذب الكلمات على أطرب النغمات وبأجمل أصوات خلقها الله في جو من السرور والبهجة، يقول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾[3]. أي يسرون ويتنعمون، والحبرة عند العرب: السرور والفرح، وقال الإمام الأوزاعي: ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ إذا أخذ أهل الجنة في السماع لم تبق شجرة في الجنة إلا رددت الغناء، ولم تبق جارية من جوار الحور العين إلا غنت بأغانيها والطير بألحانها[4].

وهذا لمن دفع المهر في الدنيا بركعات في الأسحار، وبر بالفقراء الضعفاء، وتعفف عن الحرمات.

كوني أكثر إبهارًا:

نعم الحور أجمل النساء، ولكن المرأة الصالحة المتعففة بإيمانها وصبرها

١- الآية ٥٨ من سورة الرحمن.
٢- الآية ٢٣ من سورة الواقعة.
٣- الآية ١٥ من سورة الروم.
٤- تفسير القرطبي .

وطاعتها لربها تتفوق عليها وتعلوها جمالاً ورفعة، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قول الله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ قال: **"هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رُمصًا شمطًا خلقهن الله بعد الكبر فجعلن عذارى عربًا، أي: متعشقات متحببات، أترابًا: على ميلاد واحد"** . قلت: يا رسول الله، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: **"بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة"**. قلت: يا رسول الله، وبم ذلك؟ قال: **"بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن لله تعالى ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي، مجامرهن الدرّ وأمشاطهن الذهب"**[1] [رواه الطبراني].

طعام وشراب مختلف:

من بين أدعية الطعام المأثورة التي نقولها قبل تناول الطعام: **"بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا"** [رواه أحمد، من الحديث ١٢٤٤]. علمنا ذلك رسولنا ﷺ بوحي من الله العليم رغم أن ما نأكله في بعض الأحيان يكون من ألذ المأكولات وأشهى المطعومات، ولكن النبي ﷺ ينبهنا في لطف أن ما أعده الله لنا في الجنة أفضل وأشهى بكثير، فتظل النفوس معلقة بالجنة ولا مقارنة؛ لأن ما نأكله في الدنيا -مهما بدا حلوًا- مجرد أسماء، هذا إن خلا من الملوثات، أما في الآخرة فتلك بحق المسميات، يقول الله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[2]. نعم إنها الحياة الحقيقية والنعيم الأبدي، فحقيقة المتع

---

١ – قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف.

٢– من الآية ٦٤ من سورة العنكبوت.

واللذائذ والمشتهيات في الجنة، يقول الله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

أما الشراب، فما أحلاه يطوف به الولدان المخلدون، يقول تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[2].وهي ليست كؤوسًا ممتلئة فحسب، وإنما يقول الله: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[3].

ما يخطر ببال المؤمن في الجنة لون من الطعام أو الشراب إلا وجده بين يديه، يقول الله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾[4] حتى إذا أعجبه طير يحلق في الهواء نزل مطهوًّا أمام عينيه فإذا انتهى من طعامه عاد الطير كما كان يرفرف ويغرد من حوله.

هذا لمن عفَّ عن أكل الحرام في الدنيا، واكتفى بما أحل الله من الطيبات وإنها لكثيرة.

أسواق للحسن وللجمال:

يدخل أهل الجنة الجنة بفضل طاعتهم لربهم على صورة القمر ليلة البدر أو كأضوأ كوكب دري، ومع جمال هذه الصورة وبهائها إلا أن الله يزيدهم من فضله، يقول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[5]. ومن تلك

١- الآية ٧١ من سورة الزخرف.

٢- الآيتان ٢٥،٢٦ من سورة المطففين.

٣- من الآية ١٥ من سورة محمد.

٤- الآية ١٤ من سورة النساء.

٥- من الآية ٢٦ من سورة يونس.

الزيادة زيادة حسنهم وجمالهم، فعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالاً فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالاً فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً" [رواه مسلم، الحديث ٥٠٦١].

ولكن كيف حال الزوجات، هل يبقين بنفس درجة الحسن والجمال؟ كلا، ففي بقية الحديث أهم يردون عليهم: "فَيَقُولُونَ وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً". فلا ملل في الجنة من شيء، فالتجديد والابتكار دائم، والله تعالى يقول: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[1]. فنعيم الجنة يزداد على الدوام.

متعة النظر إلى الخلاق:

لكل عطاء فرحة، ولكل نعيم بهجة، وأعظم نعيم أهل الجنة الذين عبدوه في الدنيا واشتاقوا إليه وغضوا أبصارهم عن محارمه هو لذة النظر إلى الله تبارك وتعالى، فعن صهيب، عن النبي ﷺ قال: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ" [رواه مسلم، من الحديث ٢٦٦].

والآن:

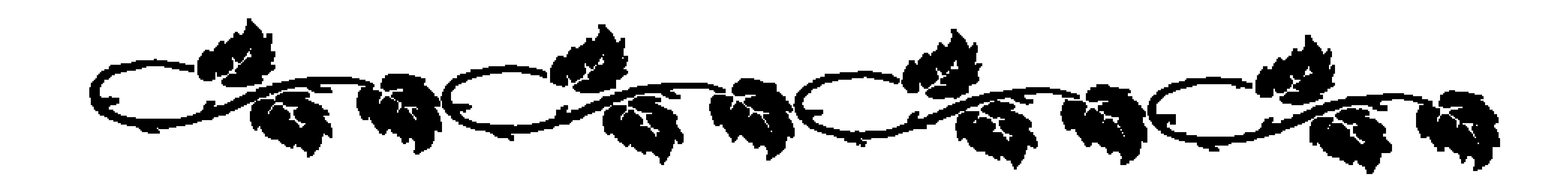
١- الآية ٣٥ من سورة ق.

إن للجنة أهل تجهزت لهم فاحرص أن تكون من أهلها، ولا تكن ممن يترك الغالي للرخيص، ويقدم الفاني على الباقي؛ لأجل شهوات مهما طالت فهي قصيرة، ومهما عظمت لابد أن تفارقها، وكن ممن يتجهز للجنة فإن النبي ﷺ كان يحث أصحابه على ذلك فعن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ قال: **"ألا مُشَمِّرٌ لِلْجَنَّةِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لا خطرَ لهَا هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلأْلأُ وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ وَقصْرٌ مَشِيدٌ وَنَهرٌ مُطَّرِدٌ وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيجَةٌ وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ وحُلَلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدًا فِي حَبْرَةٍ ونَضْرَةٍ فِي دُورٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ قَالُوا نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ قُولُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ ذَكَرَ الْجِهَادَ وَحضَّ عَلَيْهِ"** [رواه ابن ماجة، الحديث ٤٣٢٣].

*****

الباب الثالث

مع اللـه



تمهيد

هذا الباب نخصصه لتحقيق أهداف إيمانية نقترب بها مِن الله ﷻ، من خلال بعض نوافذ إيقاظ الإيمان.

النافذة الأولى بعنوان آية نتدبرها، وتتناول موضوع **حتمية العودة** الذي يذكرنا بضرورة أن يكون اليوم الآخر حيًّا في وجداننا لا نغفل عنه أبدًا، وأن نبادر بالطاعات وفعل الخيرات قبل أن نقف بين يدي الله تعالى في يوم توفّى فيه كل نفس ما كسبت.

ومن نوافذ إيقاظ الإيمان التفكر في الكون، وهو كتاب الله المنظور، وتحت عنوان **ساعة نتفكرها** نجد موضوع **تصريف الرياح**، ونتأمل من خلاله عظمة الخالق ﷻ فيما للرياح من وظائف مختلفة في حياة الناس، ومن هذه الوظائف: تلقيح النباتات، وتوزيع درجات الحرارة والبرودة بين مناطق العالم، وكذلك أدوارها المختلفة في تكوين السحب ونزول الأمطار، وكيف تكون هذه الرياح نفسها -بما تحمله من رحمات- نقمة ودمار للخارجين عن أمر الله تعالى!.

ومن نوافذ إيقاظ الإيمان العبادات الخالصة، والذّكر والدعاء من هذه العبادات، وتحت عنوان **أذكار نقرؤها** نجد موضوع **ورد التوبة**، الذي تعرّضنا فيه للآيات التي تحث على التوبة، وقمنا بسردها لعلها تكون عونًا لنا في المسارعة بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى.

ومن نوافذ إيقاظ الإيمان التفكر في نِعَم الله ﷻ علينا، وتعدادها وشكرها، وتحت عنوان **نعمة نحمدها** نجد موضوع **نعمة الأمن**، الذي يؤكد

على أنه لا سعادة للمرء في غياب الأمن، فهو أول مطلب للإنسان، وهو شعار الإيمان، وهو جائزة الذاكرين لله تعالى، وهو كذلك يحرر القدرات ويطلق المواهب في كل نافع مفيد.



١- آية نتدبرها:

حتميـــة العـــودة



٢- ساعة نتفكرها:

تـــصريف الريـــاح

٣- أذكار نقرؤها:

ورد التوبـــــــة

٤- نعمة نحمدها:

نعمــــة الأمـــن



١- آية نتدبرها:

حتمية العودة

قال الله ﷻ: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[١].

هذه الآية الجليلة التي تلخص رسالة السماء في كلمات يسيرة المعاني سهلة الفهم هي أشبه بوصية مودع حريص علينا وعلى ما يحقق لنا الفلاح في الدنيا والآخرة. وحقاً هي كذلك فقد قال المفسرون بأنها آخر ما نزل من القرآن الكريم. إنها -إذن- آخر كلمات للوحي تحمل لب أسباب النجاة والفوز، إنها التقوى.

وصية ثمينة:

هذه الوصية بالتقوى هي ما جاء به كل الأنبياء وهي ما ختم الله به وحي السماء، وفى ذلك دليل قاطع على أنه لا بديل عنها لمن أراد الفوز برضا الله ﷻ. وللتقوى معانٍ كثيرة غير أن أفضلها هو أنها كلمة جامعة لكل خصال الخير والمعروف، مانعة عن كل خلال الشر والمنكر. ولعل هذا من أسرار اختيار هذه الكلمة بالذات دون غيرها.

يومٌ له ما بعده:

والوصية لا تأتي إلا تحريضاً على فائدة عظيمة أو تحذيراً من مضرة كبيرة. وقد جاءت كلمة ﴿يَوْمًا﴾ نكرة -كما يقول العلماء- لتفيد التعظيم

١- الآية ٢٨٠ من سورة البقرة.

والتهويل؛ ذلك أن يوم القيامة ليس يوماً عادياً من أيام الدنيا يمر وينقضي سريعاً مهما كان تعيساً مريراً، وإنما هو يوم بالغ الطول، يقول الله ﷻ: ﴿فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1]، وهو أيضًا شديد الهول إلى الدرجة التي يشيب لها الوليد وتفر الأم من أبنائها، بل حتى لا يجرؤ أكثر الناس حياً لبعضهم أن يتساءلوا عما يجري لهم وحولهم. يقول الله تعالى: ﴿وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا * يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾[2] وتخيل هذا الهول كل هذه المدة لتدرك سعة رحمة الله بنا إذ نبهنا إلى ما نحن مقبلون عليه لنأخذ حذرنا ونبادر إلى الأعمال الصالحة التي تنجينا من أخطاره وأهواله.

العقيدة تحمينا:

وفي عصر أتقن فنون التجميل والزخرفة لتبدو الأشياء في أروع صورها فتأسر النفوس روعتها وتسبي العقول لذهّا لتلفتنا عن ديننا وآخرتنا، يصبح للإيمان باليوم الآخر دور مهم في حماية المؤمن من سطوة الدنيا بكل ما تحتويه من شهوات ومتع زائفة؛ لأن هذه العقيدة تذكره بأنه راجع إلى الله وسيقف بين يديه مجرداً من الدنيا إلا من شيء واحد هو ما قدمه من أعمال صالحة، وكلما تمكنت هذه العقيدة من نفسه وفكره سار إلى ربه مترقياً في أسباب الكمال ومدركاً في وجدانه حقيقة الحياة الدنيا، مستهيناً بما يترك من متاعها الفاني.

١- من الآية ٤ من سورة المعارج.

٢- الآيتان ١٠، ١١ من سورة المعارج.

لا ظلم اليوم:

ولأن المؤمن يعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة وأن الحصاد يبدأ مع قيام الساعة حيث يحتمي المؤمنون في ظل الرحمن في وقت تدنو فيه الشمس من رءوس الخلائق ويقاسي المجرمون العصاة من العرق الذي يلجمهم ويقيد حركتهم فإذا وقف الجميع في أرض المحشر للحساب حفت الملائكة المؤمنين لتبشرهم وأحاطت بالمجرمين تبكتهم، وهنا تُوفى كل نفس ما أسلفت من خير أو شر، الكل يأخذ جزاءه كاملاً غير منقوص في يوم الرجوع والعودة إلى الله مع زيادة إحسان وتكريم للطائعين. يقول الله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[1] فهذا عود محمود يغمرهم الله فيه برضوانه، وأما المجرمون الذين لا يعملون لعودهم إلى الله حساباً ولا يقدمون طاعة أو معروفاً فلهم الخزي والفضيحة أمام كل الخلائق ثم يساقون كالأنعام في مهانة إلى النار. يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾[2] فهذا عود نعوذ بالله تعالى منه.

اختر لنفسك:

بعد أن فهمنا ما ينتظرنا في هذا اليوم وما يتلوه من مشاهد ومواقف، فالواجب علينا أن نجعل ذلك اليوم الآخر في وجداننا ولا نغفل عنه أبداً، وأن نعد لكل سؤال في ذلك اليوم إجابة كما قيل: من أيقن أنه إلى الله راجع فليعلم أنه بين يدي الله موقوف، ومن أيقن أنه بين يدي الله موقوف

١- من الآية ٢٦ من سورة يونس.

٢- الآية ١٠٦ من سورة هود.

فليعلم أنه مسئول، ومن أيقن أنه مسئول فليعد لكل سؤال إجابة، وأن نبادر دائماً إلى طاعة الله وفعل الخيرات قبل أن نقف بين يدي الله في ذلك اليوم المشهود حتماً. يقول الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] إنها لم تُعَدُّ إلا لمن عملوا بالوصية التي ذكرها الآية وخُتِمَ بها القرآن.

*****

١- الآية ١٣٣ من سورة آل عمران.

٢- ساعة نتفكرها:

تصريف الرياح

هذه دعوة جديدة للتأمل في آية من آيات الله المبهرات التي تنطق بعظمة الخالق ولطفه ورحمته ووحدانيته. آية من موسوعة الكون الهائلة، يطالعها ساكن الخيمة والكوخ مثلما يطالعها ساكن الدور والقصور؛ تبصرة وذكرى، وعظة وعبرة، ترينا قدرة الله المطلقة ليأنس إليها أصحاب الإيمان، ويقرأها أصحاب العقول وينتبه الغافل الحيران، وتدفع المكابرين المعاندين وتدمغهم.

وعلى الرغم من كثرة الفوائد المتعلقة بحركة الرياح إلا أن كثيرًا من الناس لا يلتفتون إلى هذه النعمة ولا يتدبرون ما فيها من دلائل على وجود الله مع أنها إذا سكنت تملَّك الناس كرب وضيق شديد، وضاقت النفوس، وتنغص الصحيح، وتدهورت حالة المريض، وفسدت الثمار، وتعفنت البقول، وانتشرت الأوبئة، وتعطلت المصالح، فتأمل ما في ذلك من تدبير العليم الحكيم.

والحق شمس والعيون نواظر   لا يختفي إلاّ على العميان

الرياح لواقح:

إن للرياح دوراً مهمًّا في عملية نقل حبوب اللقاح في النباتات التي تفتقد أزهارها الرائحة الجذابة أو الرحيق أو الألوان الجاذبة للحشرات حيث تقوم الرياح بنشر اللقاح على مسافات واسعة.

فعلى سبيل المثال تنشر الرياح لقاح نبات الصنوبر على مسافة قد تصل إلى ٨٠٠ كيلومتر قبل أن يلتقي اللقاح بالعناصر الأنثوية ويتم التلقيح[1].

وقد كشفت البحوث الحديثة للعلماء النقاب عن أسرار جديدة، وبينت التأثيرات المهمة للرياح في تكوين الغيوم وهطول الأمطار؛ مصداقًا لقوله تعالى:﴿ وأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾[2].

حيث ثبت أن تكثف بخار الماء على شكل قطرات مطر لا يحدث حتى ولو بلغت نسبة الرطوبة في الكتلة الهوائية ٤٠٠٪ بدون توفر ذرات ملحية أو ثلجية بالغة الصغر، وأن الرياح هي التي تنقل هذه الذرات حتى إذا التقت -بإذن الله- بكتلة هوائية رطبة بدأ التكاثف ثم يهطل المطر[3].

هذا الدور البارز للرياح أشارت إليه الآية الكريمة سالفة الذكر. والعجيب أن بعض المفسرين قد فهموا من هذا اللفظة ﴿لَوَاقِحَ﴾ منذ أربعة عشر قرناً ما اكتشفته البحوث العلمية الحديثة وأكدته منذ فترة قريبة، فقد قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾، قال: لواقح للشجر والسحاب.

وقالت طائفة من المفسرين: لواقح جمع لاقح، أي حاملة للسحاب والخير، وقد صوَّب الإمام الطبري كلا القولين؛ ذلك لأن الرياح تُلقح بمرورها على التراب والماء والشجر فيكون فيها اللقاح، وهي بذلك لاقحة نفسها ملقحة لغيرها وإلقاحها السحاب والشجر هو عملها فيهما.

١- الرياح لواقح ، موقع مكنون الإعجاز العلمي.

٢- من الآية ٢٢ من سورة الحجر.

٣- الإعجاز العلمي في القرآن، موقع الفيزياء محة العلوم.

تجميع وتكثيف وقيادة:

والرياح هي التي تقوم بتجميع السحب فهي تثيرها من البحار، وكذلك تقوم الرياح ببناء السحب الرعدية حيث تنقل الهواء الدافئ شديد الرطوبة من الطبقة الملامسة لسطح الأرض إلى طبقات الجو العليا شديدة البرودة فيتكاثف ما به من بخار ماء وتتطور السحابة الرعدية ثم يهطل المطر بإذن الله، فالرياح الساخنة هي المثيرة للبخار، والرياح الباردة هي المكثفة له حتى يصير سحابًا ثم يسوق الله هذا السحاب بالتيارات الهوائية في طبقات الجو المختلفة فتذهب يمينًا وشمالاً إلى حيث يريد لها الله أن تذهب، وإلى حيث يسخرها ويسخر مثيراتها من الرياح والتيارات لتقود السحاب إلى حيث يريد لها الله أن تصل، إلى بلد ميت مقدر في علم الله أن تدب فيه الحياة بهذا السحاب، وقد صور القرآن هذا المشهد في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾[1] .

وهذا المشهد الذي يتكرر أمام أبصار الناس وتعرضه الآيات في بساطة ويسر، فيه دليل دامغ على البعث والنشور، فالرياح لا تتكون فوق الصحارى مثلاً، لكن الرياح تقود إليها السحب والأمطار لتحيلها أرضًا خضراء تهتز بمعاني الخير والنماء والحياة[2].

١- الآية ٩ من سورة فاطر.

٢- في ظلال القرآن الكريم، موقع الشبكة الدعوية.

بشير خير ورحمة:

ولا يقتصر دور الرياح حين تسوق الغيوم والمزن إلى المناطق الجافة التي تشكو الفقر والجدب الشديدين، بل إنها تسبق السحاب إلى أهل تلك البلاد لتبشرهم بقرب قدوم المطر ومجيء الغيث فتبعث الآمال التي خمدت بعد طول الانتظار وتنعش نفوسًا أوشكت على اليأس. وقد أشار القرآن إلى هذه الوظيفة المعنوية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[1]. وهذه الوظيفة ما زالت موجودة رغم تقدم العلوم والتقنيات، فبينما كان الناس يعرفون هذه الرياح قديمًا بصفات خَبَروها، فإن دراسة الرياح اليوم علم واسع يستعين علماؤه بأحدث الأجهزة والآلات وبالصور التي تلتقطها الأقمار الصناعية ليستدلوا بذلك على معرفة ملامح هذا البشير، بشير الخير والرحمة.

توزيع الحرارة والبرودة:

ولاختلاف حركة الرياح واتجاهاتها أثر كبير في توزيع درجات الحرارة والبرودة بين مناطق العالم، وهو ما يتسبب بدوره في استمرار هبوب الرياح. وهذا التوزيع المستمر لدرجات الحرارة يُنتج انتقال الهواء من جهة إلى أخرى مما يُسبب نوعاً من التوازن المناخي بين بقاع الأرض كما يُمكّن الرياح من اصطحاب الغيوم إلى المناطق الجافة والقاحلة. ولولاها لاحترق جانب كبير من الكرة الأرضية بسبب شدة الحر والجفاف[2].

١- من الآية ٥٧ من سورة الأعراف.

٢- د. زغلول النجار، من أسرار القرآن، موقع الطب الإسلامي على الانترنت.

ولهذه الرياح المتغيرة بين حارة وباردة آثار كبيرة جدًا في نشاط أنـــواع معينة من الحيوانات وتكاثرها، وكذلك له أثره في نمو أنواع معينـــة مـــن المحاصيل التي يشتهيها الإنسان ويستفيد منها.

تنقية وتلطيف:

ونظرًا للحركة الدائبة للرياح بين مناطق الأرض المختلفة كالـــسواحل والمسطحات المائية والمنخفضات والمرتفعات، فإن الرياح تقوم بتنظيف الجو وتنقيته من كل الملوثات الضارة بالبيئة من أتربة عالقة وأدخنة وجـــراثيم، فهي تنقلها إلى أماكن بعيدة في الصحارى والغابات والمحيطات مما يقلل من تركيز هذه الملوثات في المناطق السكنية والتي تسبب العديد من الأمـــراض والأوبئة المهلكة للإنسان -خاصة- وللكائنات الحية عامة، وبذلك فهـــي تجدد الهواء الفاسد وتخلصنا من الروائح العفنة أو الكريهـــة أو مـــسببات الأمراض.

تُحرك السفن وتَحملُ الطائرات:

وللرياح فوائد كثيرة رغم ما توصل إليه الإنسان من تقدم، ففي القديم كانت المراكب الشراعية تعتمد في حركتها على اتجاه الرياح، وحتى عندما تقدم العلم وتحركت السفن بالأجهزة والمحركات الحديثة وصارت الطائرات تحلق في الجو بالمحركات المتطورة فإن رحلاتها ظلت مرتبطة بالرياح ومـــا ينشأ عنها من مناطق ضغط مرتفع أو منخفض أو أعاصير أو سكون تام في حركتها، كما أن الطريقة التي تُصنّع بها السفن والطائرات يُراعـــى فيهـــا الشكل والتركيب بحيث يكونان متوافقين مع طبيعة الريـــاح، فالأشـــكال

الانسيابية لهما تقلل من مقاومة الرياح لحركتهما، وهو ما يُذكِّرنا بقول الله عن ارتباط حركة النقل بالرياح في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[1]. ومن المعلوم أن كثيرًا من حركات الملاحة في العالم تتعطل حينما تسوء الظروف المناخية. والرياح واحدة من أهم العناصر المناخية المؤثرة في ظروف البيئة من حولها.

تطهير البحار وتجديد المحيطات:

تقوم الرياح بدور مهم في تنقية المسطحات المائية الكبيرة مثل البحار والمحيطات وتطهيرها؛ ذلك أن حركة الرياح تسبب ارتفاع الأمواج وبالتالي نزول القاذورات والأوساخ الموجودة على سطحه إلى أعماقه وأحيانًا طردها إلى الساحل، وبذلك فإن الرياح تجدد مياه البحار والمحيطات يوميًّا بهذا التقليب المستمر لمياهه، وهو ما يحفظ الثروة السمكية والكائنات البحرية ويمنحنا الاستمتاع الدائم بها كمصدر مهم للغذاء، كما يبرز هنا الدور المهم للرياح في الحفاظ على الحياة البيولوجية على سطح كوكب الأرض، ولولا ذلك لتحولت جميع المحيطات والبحار منذ أمد بعيد إلى مياه عفنة وسلة قمامة لا تحتمل.

ومن هذه الطهارة الدائمة لمياه البحر والمحيط نفهم الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ حيث قال: "**هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ**"[رواه الترمذي، من الحديث ٦٤].

١- الآيتان ٣٢،٣٣ من سورة الشورى.

عذاب ونقمة:

وهذه الرياح كما تكون لطيفة رقيقة تجلب الخير هي ذاتها تكون نقمة وعذابًا شديدًا على من يخالفون أوامر الله حيث يحولها الله إلى عواصف وقواصف وريح حاصب تهلك وتفسد الحرث والنسل ، وتهدم أضخم البنايات وتقتلع الأشجار العظيمة، وتبيد كل شيء ولا يقف أمامها شيء أبدًا، والله إذا غضب على قوم عصاة أرسلها عليهم كي: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[1].

ومن أجل ذلك كان النبي ﷺ إذا أحسَّ ريحًا دعا قائلاً: "اللَّهُمَّ لَقْحًا لا عَقِيمًا" [رواه الطبراني]. فإن الريح العقيم كما أخبر الله عنها: ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ[2] ﴾[3].

نعم فهذه الريح التي تمر بنا ومن حولنا غير عابئين بها يمكن أن تتحول في لحظات إلى عذاب أليم كما حدث مع قوم عاد الذين تكبروا في الأرض وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[4]، فأرسل الله عليهم ريحًا كانت تحمل الواحد منهم بين السماء والأرض ثم تتركه يسقط صريعًا. وهي الريح التي أرسلها الله على الأحزاب في غزوة الخندق فقلبت قدورهم ونشرت الرعب في قلوبهم، فيالها من آية لمن يتأمل فيها.

١- من الآية ٢٥ من سورة الأحقاف.

٢- الرميم: الشيء البالي.

٣- من الآية ٤٢ من سورة الذاريات.

٤- من الآية ١٥ من سورة فصلت.

لفتة أخيرة:

بعد أن علمنا بعضاً من أدوار الرياح وآثارها الكبيرة في حياتنا وعلى كوكبنا، جدير بنا أن نلفت أنظار غيرنا إلى بديع خلق الله ولطفه وتدبيره، ولا نستهين بآياته المبثوثة في أرجاء الكون، بل نتأملها ونتفكر فيها فإنها تُرسِّخ الإيمان بحكمة الخلاق، ونعمل بجد لنكون بشرى خير للمؤمنين إلى طريق الله والاهتداء بآياته، ونستعيذ بالله حين تثور الرياح كما كان يفعل النبي ﷺ ليعصمنا ويحمينا.

٣- أذكار نقرؤها:

ورد التوبة

١- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١].

٢- ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾[٢]

٣- ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]

٤- ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٤].

٥- ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾[٥].

٦- ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦].

٧- ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٧].

٨- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾[٨].

١- من الآية ٢٢٢ من سورة البقرة.
٢- الآية ٢٧ من سورة النساء.
٣- الآية ١٥٣ من سورة الأعراف.
٤- من الآية ٣ من سورة التوبة.
٥- الآية ٨٢ من سورة طه.
٦- من الآية ٣١ من سورة النور.
٧- الآية ٥٣ من سورة الزمر.
٨- من الآية ٢٥ من سورة الشورى.

٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

١٠- ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً*يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً*وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾[2].

*****

١- الآية ٨ من سورة التحريم.

٢- الآيات ١٠-١٢ من سورة نوح.

٤- نعمة نحمدها:

نعمة الأمن

نعمة الأمن من أكبر النعم التي لا يعرفها إلا الخائف. وتتبين هذه النعمة وتكتمل إذا اطلع الإنسان على أحوال الخائفين الذين لا يجدون الأمن ممن تهدمت مساكنهم، ويشردون من ديارهم، ولا يجدون ملجأ، ولا يأمنون على أنفسهم وأهليهم وأعراضهم وأموالهم، فالأمن في ذاته نعمة تعظم حين نرى أو نسمع أو نقرأ عن أحوال الذين لا يملكون الأمن ويعيشون الخوف كل ساعة، فبذلك ندرك قدر هذه النعمة.

لا سعادة في غياب الأمن:

لا سعادة لإنسان بلا سكينة نفس، ولا سكينة نفس بلا اطمئنان قلب، وليس الأمن بالمطلب الهين، فبواعث القلق والخوف والضيق ودواعي التردد والارتياب تصاحب الإنسان في كثير من فترات حياته، ولذلك فهو في سعي دائم للبحث عن السعادة التي يحقق بها السكينة والاطمئنان لنفسه ولمن يحبهم؛ ليحيوا جميعاً هانئين آمنين بعيداً عن القلق والفزع والاضطراب والخوف؛ لأنها أجواء تخلق الشقاء والآلام وتمنع من تحقيق أي تقدم أو عطاء أو كرامة، ومن ثم فقد امتن الله بهذه النعمة العظيمة على قريش حين قال ﷻ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ*الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ

خوْفٍ﴾[1]. مشيراً بذلك إلى ما لهذه النعمة من أثر مهم في تحقيق سعادة الناس.

أول المطالب:

وإذا كان الأمن من أول أسباب سعادة النفس ولا تستغني عنه في مراحل حياتها المختلفة، فلا يكون غريباً أن نجد أن نبي الله إبراهيم عليه السلام يتوجه إلى الله بالدعاء أن ينعم على أهله وذريته بإسباغ هذه النعمة، فقال عليه السلام: ﴿وإذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِناً واجْنُبْنِي وبَنِيَّ أن نَّعْبُدَ الأصْنَامَ﴾[2]. فبدأ بالأمن قبل كل شيء؛ لأن الأمن إذا تحقق حصل به الخير كله، فبه يتحقق للعباد مصالح دينهم ودنياهم، وينالون الخيرات، ويسعون في طلب الأرزاق في جد واجتهاد، ويجدون في تحقيق مراد الله منهم في إعمار الأرض وإصلاح الحياة بمنهج الله، أما حين يُفقدُ الأمن فإن كل خير يفقد؛ فلا يتم للعباد أمر ولا تتحقق مصلحة أو ابتكار أو رقي، وإنما تستحوذ عليهم معاني الذلة والتقليد والخور.

الأمن شعار الإيمان:

"والإسلام يقيم صرحه الشامخ على عقيدة أن الإيمان هو مصدر الأمان فلقد أوضح القرآن الكريم لنا في كثير من آياته الكريمة أهمية الإيمان في بث الشعور بالأمن والطمأنينة في كيان الإنسان؛ لأن الإيمان الصادق يمده دائماً بالأمل والرجاء في عون الله ورعايته وحمايته، فمهما قابل المسلم من

١- الآيتان ٣، ٤ من سورة قريش.

٢- الآية ٣٥ من سورة إبراهيم.

مشكلات، ومهما واجهه من محن فإن كتاب الله وسنة نبيه بكلماتهما المشرقة بأنوار الهدى كفيلان بإزالة ما في نفسه من وساوس، وتخفيف ما في جسده من آلام وأوجاع، فيتبدل خوفه إلى أمن وسلام، وشقاؤه إلى سعادة وهناء، ويرشدانه إلى ما يحقق له الأمن النفسي والسعادة الروحية"[1] التي لا تقل أبداً عمن ملك الدنيا بأسرها، فعن سلمة بن عبيد الله بن مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ عن أبيه –وكانت له صحبة– قال قال رسول الله ﷺ: **"مَنْ أَصْبَحَ مِنكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"**[رواه الترمذي، من الحديث ٤١٣١].

"وإتماماً لهذه النعمة فقد شرع الإسلام من الشرائع وحدَّ من الحدود ما فيه حماية لأمننا من الفوضى والاضطراب، فوضع سبحانه أقصى العقوبات لكل من يزعزع الأمن ويخيف الناس الآمنين ويتعدى على أرواحهم بالسفك والقتل، وعلى ممتلكاتهم بالتخريب، يقول الله تعالى: **﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[2]"[3].

كما اعتبر الإسلام أن تعريض المسلم لأي فزع جريمة، وذنب يستحق العقاب، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن رسول الله ﷺ قال: **"لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا"**[رواه أبو داود، من الحديث ٤٣٥١].

١- المصدر السابق.

٢- الآية ٣٣ من سورة المائدة.

٣- بيان صادر من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية حول نعمة الأمن (شبكة الإنترنت).

هديتنا للمخالفين:

لقد كان من حكمة الإسلام أن جعل من حق المشركين علينا أن نمنحهم الأمان حين يطلبونه ويستجيرون بنا، يقول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾[1]، وفي ذلك من الحكمة والأمن للمسلمين ما لا يخفى على متأمل، فمن ذلك أننا إذا أسأنا إليهم والمسلمون منتشرون في بقاع الأرض، فإن أهليهم في تلك البلاد ربما أوقعوا إيذاء بالمسلمين المقيمين في بلادهم بغير ذنب، بل بما اقترفناه نحن، فيكون في العمل بهذه الآية تحصين وأمان يبتغيه لنا الإسلام دوماً حتى خارج أراضينا في أوقات ضعفنا، كما يصبح مصدر فخر واعتزاز لنا في أوقات عزنا وقوتنا أن نكون أمان الخائفين.

جائزة المؤمنين:

وإذا كان الله تعالى يعد عباده الذين يطيعونه في الدنيا ويقيمون دينه وشرعه وينشرون رسالته بتمام الأمن، يقول الله تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾[2]. فهو كذلك سبحانه وتعالى يمنحه لمن يُديمون ذكره حيث يقول عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[3] فذكر الله يحقق السكينة، فلا يخشى الذاكر سوى الله متيقناً أن بيده وحده سبحانه وتعالى مقاليد الأمور، فلا يهاب عندئذ المخلوقين.

١- من الآية ٦ من سورة التوبة.

٢- من الآية ٥٥ من سورة النور.

٣- الآية ٢٨ من سورة الرعد.

وهذا الأمن يمتد ليلقاهم به الله عندما يكونون أحوج ما يكونون إليه، وتبشرهم به الملائكة باعتباره جائزة كبرى ونعمة عظمى في الآخرة يوم الفزع الأكبر، يوم يُسقِط الهولُ الأجنة من بطون أمهاتها، ويُشيب الرعبُ الوليد وإن كان في أحضان أبويه، يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1]. فلمثل هذه النعمة تجهز لتكون من مستحقيها.

الأمن مانح القدرات:

ومن المعروف أن الإنسان الخائف تقل قدراته ويسوء تفكيره، ويصعب اتخاذه للقرارات المهمة في حياته، بل ربما اتخذ قراراً أو تصرف أثناء شدة خوفه بشكل يودى بحياته كليًا، بينما يمنحه الأمن القدرة على إنجاز الأعمال في نشاط وهمة، ويتحسن تفكيره في الأمور فيوازن بين المزايا والعيوب ويأخذ فرصته لنقد أخطائه وتصحيحها، وبالتالي يستمر تقدمه ويتميز أداؤه، وليس هذا على المستوى الشخصي فحسب، وإنما يعطيه القدرة أيضًا على مساعدة الآخرين ومعاونتهم في جو من التعاون والطمأنينة. وكذلك يكون حال المجتمع الذي يسوده الأمن والأمان حيث ستعمه روح الإبداع وينتشر فيه الأمل المشرق في غد سعيد.

الأمن قرين الرغد:

بعد أن أدركنا جميعاً أثر نعمة الأمن في سعادة الإنسان وأنها منحة من الله الكريم لنا، وهو سبحانه القادر على إسباغها علينا، واستمرارها دومًا،

١- الآية ٨٢ من سورة الأنعام.

ينبغي أن نعلم الآن أن هذه النعمة تستمر وتثمر نعماً أخرى حين نقوم بشكرها فنطيع ربنا، ونؤدي واجباته، وننتهي عن محرماته، ونُكثر من ذكره، ونأخذ في ذلك العظة ممن سُلبوا الأمن بجحود نعمة ربهم عليهم، يقول الله ﷻ: ﴿وضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الجُوعِ والْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[1].

وهكذا يقترن الجوع مع الخوف مثلما يقترن الرغد مع الأمن، وهذا الأمن -على الحقيقة- لا يُحسه إلا أصحاب القلوب الموصولة بالله، المستشعرة لمعيته الدائمة، فتبقى لهم النعمة، ويدوم عليهم الفضل.

*****

١- الآية ١١٢ من سورة النحل.

خاتمة

وبعد:

أدعو الله ﷻ أن يكون هذا الجزء من السلسلة قد أسهم في تيسير ما تضمنه من علوم الإسلام للمسلم المعاصر، وأن يكون قارئه قد جنى ثمرته علمًا يُنتفَعُ به، وعملاً يُقتدَى به، وأن يفيض قلبه ووجدانه بمشاعر توقظ الإيمان، وتقود المسلم إلى عبادة الله ﷻ، لا بتدارس العلم فقط ولكن بتطبيقه في واقع حياته اليومية.

نسأل الله ﷻ أن يتقبل منا هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان الصالحات من أعمالنا يوم نلقاه، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

اللهم آمين

وصَلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم

جاسم الخواتمي

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم

وتزينوا ليوم العرض الأكبر

حصيلة العقل

رصيد القلب

حساب الجوارح

أولاً حصيلة العقل

سورة القلم

اختر الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة).

١- سورة القلم:

أ	مكية	ب	مدنية
ج	تعتني بأصول العقيدة	د	تعتني بتشريع الأحكام

٢- وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ*وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ*فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ*بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ

أ	ممنون= مقطوع	ب	ممنون= مُخز
ج	المفتون= المغرور	د	المفتون= المجنون

٣- قال عن النبي ﷺ : لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله:

أ	أبو سفيان بن حرب	ب	الوليد بن المغيرة
ج	هرقل عظيم الروم	د	المقوقس ملك مصر

٤- من العبر والعظات التي تضمنتها الآيات الأولى من السورة:

ا	إظهار مكانة الأخلاق في الإسلام	ب	رفع شأن العلم ومكانته
ج	الثبات على الحق طريق للجنة	د	جميع ما سبق

٥- ودُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ * ولا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَّهِينٍ:

أ	تدهن= تسير في الليل متخفيًا	ب	تدهن= تلين في دينك
ج	مهين= حقير	د	مهين= مسيطر

٦- هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ:

أ	همازـ يغتاب الناس	ب	همازـ ساع بالكلام يفسد بين الناس
ج	زنيمـ كثير الزنى	د	زنيمـ ولد الزنى

٧- قيل إن من وصفته سورة القلم بصفات ذميمة هو:

أ	عقبة بن أبي معيط	ب	الوليد بن المغيرة
ج	الأخنس بن شريك	د	أبو لهب

٨- إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * ولا يَسْتَثْنُونَ:

أ	ليصرمنها= يقطعون ثمارها	ب	ليصرمنها= يخفون ثمارها
ج	ولا يستثنون= لا يتركون أي شيء	د	ولا يستثنون= لم يقولوا إن شاء الله

٩- فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ:

أ	كالصريم= كالليل المظلم	ب	كالصريم= بقايا الحريق
ج	صارمين= محقين	د	صارمين= عازمين

١٠- أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ:

أ	بالغة= ممتدة	ب	بالغة= مؤكدة .
ج	زعيم= مدَّعٍ	د	زعيم = ضامن

١١- من الدروس المستفادة من السورة:

أ	ضرورة الأخذ على يد الظالم	ب	الصبر على أعباء الدعوة
ج	الجزاء من جنس العمل	د	جميع ما سبق

*****

من رحيق قصص الأنبياء

اختر الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة)

١٢- عاشت قبيلة عاد:

أ	في فلسطين	ب	في اليمن
ج	في عمان	د	في بلاد الشام

١٣- من الجوانب التي ألمح إليها القرآن في دعوة لوط عليه السلام لقومه:

أ	استئصال الكفر من نفوسهم	ب	عدم التفاخر بالقوة
ج	استهداف ما يحقق المصلحة العملية	د	جميع ما سبق

١٤- من الأساليب الدعوية التي استخدمها نبي الله هود عليه السلام مع قومه:

أ	مقابلة الإساءة بالإحسان	ب	المناقشة العلمية الهادئة
ج	تحذيرهم من عذاب الله	د	جميع ما سبق

١٥- اشتهر قوم هود عليه السلام بـــ:

أ	عظم قوتهم البدنية	ب	اللعن من الأنبياء بعدهم
ج	مجيء معجزة مادية لهم	د	جميع ما سبق

١٦- أهلك الله تعالى قوم لوط عليه السلام بـــ:

أ	الصيحة	ب	الخسف في الأرض
ج	الرياح	د	الغرق

١٧- من الدروس المستفادة من قصة نبي الله هود عليه السلام مع قومه:

أ	تنويع أساليب الدعوة	ب	ترفع الداعية عن كل مطمع دنيوي
ج	ضرورة الترفع عن سفاسف الأمور	د	جميع ما سبق

١٨- عاشت قبيلة ثمود في:

أ	اليمن	ب	فلسطين
ج	شمال الجزيرة	د	بلاد الشام

١٩- كانت قبيلة ثمود تسكن:

أ	السهول صيفا	ب	السهول شتاء
ج	الجبال صيفا	د	الجبال شتاء

٢٠- من أهم الأدواء التي عمل نبي الله صالح عليه السلام على علاجها في قومه:

أ	إتيان الرجال للرجال	ب	الانغماس في ملذات الحياة
ج	تفاخرهم بقوتهم وجبروتهم	د	اتباع كبراء القوم من المفسدين

٢١- اتضح طغيان قوم ثمود كما أشار إليه القرآن في:

أ	قتلهم للناقة	ب	قتلهم لكل من آمن بصالح عليه السلام
ج	محاولة قتل صالح عليه السلام	د	جميع ما سبق

٢٢- عوقبت قبيلة ثمود على طغيانها بـ:

أ	الصيحة	ب	الخسف في الأرض
ج	الرياح	د	الغرق

٢٣- من الدروس المستفادة من قصة نبي الله صالح عليه السلام:

أ	مهمة المسلم هداية الناس للخير	ب	الإخلاص في دعوة الآخرين
ج	الأخذ على يد الظالم	د	جميع ما سبق

*****

من جواهر العلم

اختر الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة)

٢٤- تكون عمارة المساجد من خلال:

أ	بنائها وتشييدها	ب	المحافظة على نظافتها
ج	المكث فيها وتعلق القلب بها	د	جميع ما سبق

٢٥- يصح الاعتكاف:

أ	إذا كان المكث لساعة من الوقت	ب	إذا كان المكث للحظة
ج	ولو كان بالمرور بالمسجد	د	ولو لم ينو الاعتكاف

٢٦- بين بناء المسجد الحرام والمسجد الأقصى:

أ	٣٠سنة	ب	٤٠سنة
ج	٥٠سنة	د	٦٠سنة

٢٧- من سنن المساجد:

أ	السعي بالسكينة والوقار	ب	الأكل والشرب فيها
ح	الدخول بالرجل اليمنى	د	جميع ما سبق

٢٨- مما يباح فعله في المسجد:

أ	التكسب	ب	دخول الكافر
ج	النوم	د	جميع ما سبق

٢٩- من مكروهات المساجد:

أ	رفع الصوت بغير ذكر الله	ب	نشدان الضالة
ج	إخراج الريح	د	جميع ما سبق

٣٠- من محرمات المساجد:

أ	إنشاد شعر الفخر والهجاء	ب	دخول الصبيان
ج	الانتفاع بمرافقه	د	جميع ما سبق

٣١- من ضوابط خروج المرأة إلى المساجد:

أ	الاستئذان من زوجها	ب	عدم ارتداء الملابس اللافتة للأنظار
ج	عدم تعارضه مع مصالح أولى	د	جميع ما سبق

من حصاد الفكر

اختر الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة)

٣٢- إنكار وجود الملائكة:

أ	كفر بإجماع المسلمين	ب	نقص في الإيمان لا يوجب الكفر
ج	لا أثر له في الإيمان	د	مسألة مختلف فيها بين العلماء

٣٣- من صفات الملائكة التي ذكرت في القرآن:

أ	الذكورة	ب	عظم الخلق
ج	عدم الملل أو التعب	د	جميع ما سبق

٣٤- من أسماء الملائكة التي وردت في القرآن والسنة:

أ	عررائيل	ب	ميكائيل
ج	إسرافيل	د	مالك

٣٥- من الذين شاهدوا الملائكة وهم على هيئة بشر:

أ	لوط عليه السلام	ب	عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ج	إبراهيم عليه السلام	د	جميع ما سبق

٣٦- من وظائف الملائكة:

أ	المحافظة على الإنسان	ب	تحريك بواعث الخير في النفوس
ج	قبض الأرواح	د	جميع ما سبق

٣٧- واجبات المؤمن تجاه الملائكة:

أ	البعد عن المعاصي والذنوب	ب	تجنب الروائح الكريهة
ج	حبهم وتوقيرهم	د	عدم البصق عن الشمال

٣٨- الإيمان بوجود الجن:

أ	ثبت بأدلة قطعية	ب	من مستلزمات الإيمان الأساسية
ج	إنكاره لا شيء فيه	د	إنكاره يخرج صاحبه عن الإسلام

٣٩- الشيطان:

أ	مخلوق يعقل ويدرك	ب	أصل الجن أو واحد منهم
ج	لفظ يقال لكل عاتٍ متمرد	د	جميع ما سبق

٤٠- من المواضع التي يحضرها الشيطان للإنسان إن لم يذكر الله:

أ	عند الطعام	ب	عند دخول البيت
ج	عند الجماع	د	جميع ما سبق

٤١- من خصائص الشيطان:

أ	الظهور في صور شتى	ب	إجبار الإنسان على الغواية
ج	حث الإنسان على الضلال	د	جميع ما سبق

*****

صيانة الشريعة – بريد الحب – بيعة مع الله – طهر ورداء

اختر الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة)

٤٢– البدعة هي:

أ	ما لم يأمر به النبي ﷺ	ب	ما لم يفعله النبي ﷺ أو يُقِرّه
ج	ما لم يفعله الصحابة	د	جميع ما سبق

٤٣– من شروط البدعة الأصلية:

أ	أن يقصد بها التقرب إلى الله	ب	أنها ليس لها أصل في الدين
ج	أن تفعل على أنها من العادات	د	جميع ما سبق

٤٤– من أمثلة البدع المحرمة:

أ	الصيام قائمًا في الشمس	ب	زخرفة المساجد
ج	اعتزال النساء قربة إلى الله	د	جميع ما سبق

٤٥– من أسباب ظهور البدع:

أ	اتباع الهوى	ب	الجهل باللغة العربية
ج	الجهل بالسنة	د	جميع ما سبق

٤٦– يلزم المتصدي لإزالة منكر المبتدعات أن يكون عالماً بـــ:

أ	البدع التي لا أصل لها في الدين	ب	البدعة الواجب إزالتها
ج	مآل ما يفعله من الإنكار	د	جميع ما سبق

٤٧– يرى الإمام ابن القيم حرمة إنكار المنكر إذا:

أ	قل وإن لم يزل بجملته	ب	إذا خلفه ما هو مثله
ج	إذا خلفه ما هو شر منه	د	جميع ما سبق

٤٨– مما قاله الفضل بن سهل في أثر الهدية أنها:

أ	تسترضي الغضبان	ب	تسلب سخائم الصدور
ج	تستميل قلب المحبوب	د	جميع ما سبق

٤٩– التضحية:

أ	لا تكون إلا بالمال والنفس	ب	ضرورة لمواجهة أعداء المسلمين
ج	تتحقق بإعطاء فائض الوقت	د	جميع ما سبق

الإضافة والترك والالتزام – نعمة مغبون فيها

العدو الأول – الشفاعة طوق النجاة

اختر الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة)

٥٠- البدعة الإضافية:

أ	يقصد بها التقرب إلى الله	ب	ليس لها أصل في الدين
ج	لها أصل وأدخل عليه جديد	د	جميع ما سبق

٥١- من أمثلة البدع الإضافية:

أ	إلزام المرء نفسه بصيام يوم محدد	ب	الطواف حول الأضرحة
ج	إلحاق الصلاة على النبي ﷺ بالأذان	د	جميع ما سبق

٥٢- البدعة التركية هي ترك القيام بـــ:

أ	واجب تكاسلاً في أدائه	ب	سنة من سنن النبي ﷺ تكاسلاً
ج	مباح بنية التقرب إلى الله	د	جميع ما سبق

٥٣- حكم البدع الإضافية والتركية والالتزام في العبادات المطلقة:

أ	حرام مطلقًا	ب	مكروهة مطلقًا
ج	مستحبة	د	مختلف في حكمها

٥٤- من وسائل العناية بالصحة التي حث عليها الإسلام:

أ	الحجر الصحي	ب	الاهتمام بالنظافة
ج	المسارعة في طلب الدواء	د	موت الرحمة

٥٥- للوضوء شيطان يقال له:

أ	الوسنان	ب	الولهان
ج	خترب	د	داسم

٥٦- من أشكال وسوسة الشيطان للإنسان.

أ	شغله بطاعة عن طاعة أخرى	ب	[illegible] في صحة الصلاة
ج	التخويف من الرياء	د	جميع ما سبق

٥٧- مما يعيننا على مدافعة وساوس الشيطان:

أ	تعلم أحكام الشرع	ب	الإكثار من ذكر الله
ج	سب الشيطان وإهانته	د	جميع ما سبق

٥٨- يرى الإمام النووي أن الشفاعة تتعدد حتى تكون شفاعة في:

أ	رفع درجات أناس في الجنة	ب	أناس استحقوا النار
ج	أناس دخلوا النار	د	جميع ما سبق

٥٩- من الشفاعات التي يقبلها الله تعالى يوم القيامة:

أ	الشهيد في أهله	ب	الأعمال الصالحة في أصحابها
ج	الآباء في أبنائهم	د	جميع ما سبق

*****

حب في غير غلو – لا يحب المسرفين

الاستفادة المزدوجة – يصلونها بما كانوا يعملون

اختر الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة)

٦٠- محبة أولياء الله الصالحين:

أ	قد تتناقض مع العقيدة الإسلامية	ب	مما فطر عليه الإنسان
ج	قربة إلى الله تعالى	د	جميع ما سبق

٦١- من معايير ولاية المرء:

أ	ظهور بعض الخوارق	ب	المحافظة على الفرائض
ج	الاجتهاد في النوافل	د	جميع ما سق

٦٢- ينهى الإسلام عن الإسراف في:

أ	المباح من الطعام والشراب	ب	استخدام المياه
ج	العبادات	د	جميع ما سبق

٦٣- النبي الذي كان يستثمر طاقته وجزءاً من وقته في صنع الدروع هو:

أ	نبي الله نوح عليه السلام	ب	نبي الله هود عليه السلام
ج	نبي الله داود عليه السلام	د	نبي الله سليمان عليه السلام

٦٤- من فوائد ممارسة الهوايات النافعة:

أ	تهذيب المشاعر والسلوك	ب	تنمية المواهب والقدرات
ج	الحصول على ربح إضافي	د	جميع ما سبق

*****

ذرائع الشرك – عفيف متعفف – العقل ينمو– هنيئًا بما صبرتم

اختر الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة)

٦٥– الذرائع:

أ	قد تكون مباحة في حد ذاتها	ب	محرمة بصورة مطلقة
ج	يتوقف حكمها على ما ينتج عنها	د	لا شيء مما سبق

٦٦– من الأعمال المتفق علي منافاتها لعقيدة الإسلام:

أ	التوسل إلى الله بالموتى الصالحين	ب	النذر للمقبورين من الصالحين
ج	الذبح لغير الله	د	جميع ما سبق

٦٧– من العبارات المرفوضة شرعًا:

أ	يا حسين، اقض حاجتي	ب	يا رب أسألك بجاه نبيك
ج	إن شفي ولدي لأتصدقن للبدوي	د	جميع ما سبق

٦٨– يجوز القسم عند الحاجة إليه بـــ:

أ	بالله تعالى	ب	اسم من أسماء الله تعالى
ج	بالنبي ﷺ	د	جميع ما سبق

٦٩– اتخاذ القبور مساجد:

أ	هو السجود للقبور نفسها	ب	كان أصلاً لعبادة الأوثان
ج	مسألة مختلف في حكمها	د	جميع ما سبق

٧٠– زيارة القبور:

أ	مباحة بضوابطها	ب	سنة مستحبة
ج	فيها إحسان إلى الميت	د	جميع ما سبق

٧١– التعفف:

أ	إظهار للفقر وكف عن السؤال	ب	اشتهر به عبد الرحمن بن عوف ﷺ
ج	من شروط السيادة في الجاهلية	د	جميع ما سبق

٧٢- من العلوم الأساسية التي يطالب الإسلام بالسعي في تحصيلها:

أ	العلوم الشرعية	ب	العلوم الاجتماعية والنفسية
ج	العلوم الطبيعية	د	جميع ما سبق

٧٣- المرأة الصالحة في الجنة.

أ	أقل جمالا من الحور العين	ب	اجمل من الحور العين
ج	مساوية لجمال الحور العين	د	نزداد جمالا باستمرار

*****

حتمية العودة – تصريف الرياح – ورد التوبة – نعمة الأمن

اختر الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة)

٧٤- تلعب الرياح دورًا مهمًا في عملية نقل اللقاح في النباتات خاصة ذات:

أ	الرائحة الجذابة	ب	الألوان عير الجذابة
ج	الرحيق الجاذب	د	جميع ما سبق

٧٥- تنشر الرياح لقاح نبات الصنوبر حتى مسافة:

أ	٧٠٠ كيلو متر	ب	٨٠٠ كيلو متر
ج	٧ كيلو متر	د	٨ كيلو متر

٧٦- الرياح:

أ	تدفع السحب حيث شاء الله	ب	تبني السحب الرعدية
ج	تتكون فوق الصحاري	د	جميع ما سبق

٧٧- من فوائد الرياح:

أ	إعادة توزيع درجات الحرارة	ب	توازن المناخ بين بقاع الأرض
ج	لولاها لاحترق جانب كبير من الأرض	د	جميع ما سبق

٧٨- تؤثر الرياح في:

أ	تنقية الجو من الملوثات	ب	حركة السفن ذات المحركات الحديثة
ج	حركة الطائرات	د	جميع ما سبق

*****

ثانيًا: رصيد القلب

اختر الخانة التي توافقك:

أ = دائمًا ب = غالبًا ج = أحيانًا د = نادرًا هـ = لا

في رحاب التفسير

		أ	ب	ج	د	هـ
١	لا يغيب عني أن لتحصيل العلم مكانة رفيعة في الإسلام.					
٢	أحتسب عند الله ما يصيبني من اتهامات باطلة.					
٣	أرجو الفوز بالجنة باجتهادي في تحسين أخلاقي.					
٤	أثق في نصر الله للمؤمنين ولو بعد حين.					
٥	لا أقبل المساومة أو المداهنة في ديني.					
٦	لا يغيب عني أن جزاء المرء يكون من جنس عمله.					
٧	أستشعر مسئوليتي نحو إزالة ما اراه من منكر.					
٨	أوقن أن العمل الصالح هو معيار التفاضل بين الناس في الآخرة.					
٩	أطمع في الفوز بالجنة بصبري على من أدعوهم إلى الخير.					

*****

صيانة الشريعة – بريد الحب – بيعة مع الله – طهر ورداء

هـ	د	ج	ب	أ		
					لا يغيب عني أن المسلم مطالب بالإبداع في شئون الحياة.	١٠
					أكره الخلط بين البدعة في الدين والبدعة في شئون الحياة.	١١
					أعتقد أن البدع تتفاوت في أحكامها الشرعية.	١٢
					أستشعر مسئوليتي في القضاء على البدع بألطف الأساليب.	١٣
					أوقن أن الحب في الله من أوثق عرى الإيمان.	١٤
					أحب أن أخبر من أحب بمشاعري نحوه.	١٥
					لا يغيب عني ما للهدية من أثر طيب في تأليف القلوب.	١٦
					أحب أن أهادي من حولي ولو بهدايا صغيرة.	١٧
					أستشعر ضرورة أن أبذل وأن أضحي من أجل نصرة الإسلام.	١٨
					أومن أن العمل لهداية الناس من أفضل التضحيات وأسمى القربات.	١٩
					أكره الانشغال بشئوني الدنيوية عن دعوة الآخرين.	٢٠
					لا يغيب عني أن التضحيات الكبيرة لا تأتي إلا بتضحيات صغيرة.	٢١
					أستحضر نفسي مجردًا من ثيابي بعد وفاتي كلما تجردت من ثيابي للاغتسال.	٢٢

*****

الإضافة والترك والالتزام – نعمة مغبون فيها

العدو الأول – الشفاعة طوق النجاة

		أ	ب	ج	د	هـ
٢٣	أعتقد أن البدعة إذا كانت لها أصل فهي من المسائل الخلافية.					
٢٤	أستشعر ما أنعم الله عليَّ به من نعمة العافية.					
٢٥	أومن أن المرء مطالب شرعًا بالحفاظ على صحته.					
٢٦	أعتقد أن الإسلام وضع من التعاليم ما يحافظ به على صحة المسلمين.					
٢٧	أكره الإهمال في تطعيم الأبناء في الأوقات المحددة له.					
٢٨	لا يغيب عني ما للكشف الدوري من دور في الوقاية من الأمراض.					
٢٩	أوقن أن الشيطان يبذل قصارى جهده للصد عن سبيل الله.					
٣٠	أكره الاستسلام لوسوسة الشيطان وتشكيكه في وضوئي.					
٣١	أعتقد أنه لا ينبغي التوقف عن فعل الخيرات بدعوى عدم الإخلاص.					
٣٢	أومن أن في طلب العلم إضعاف لكيد الشيطان.					
٣٣	أرجو أن أنال شفاعة النبي ﷺ باتباعي لسنته.					
٣٤	أطمع في شفاعة الصيام والقرآن يوم القيامة.					
٣٥	أتمنى على الله أن أموت شهيدًا حتى أشفع لأهلي.					

*****

حب في غير غلو – لا يحب المسرفين

الاستفادة المزدوجة – يصلونها بما كانوا يعملون

		أ	ب	ج	د	هـ
٣٦	أشعر بحب وود لكل من ألمس فيه الصلاح والتقوى.					
٣٧	أعتقد أن محبة الصالحين قربة إلى الله تعالى.					
٣٨	عقيدتي أن كل من التزم بطاعة الله تعالى فهو من أوليائه الصالحين.					
٣٩	لا يغيب عني أن الصالحين لا يملكون لأنفسهم أو لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا.					
٤٠	أميل إلى التوسط والاعتدال في كل نفقاتي.					
٤١	أوقن أن النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.					
٤٢	أعتقد أن لكل إنسان طاقات وقدرات يمكن استثمارها.					
٤٣	ألوم نفسي لومًا شديدًا إذا مرّ وقت دون أن أحسن استثماره.					
٤٤	أميل إلى الهوايات متعددة الفوائد أكثر من غيرها.					
٤٥	أستحضر سواد النار وظلمتها كلما تواجدت في مكان مظلم.					
٤٦	أتذكر تلاعن أصحاب النار إذا ما دعاني أحد لأمر لا يرضي الله.					
٤٧	أستحضر طعام النار وشرابها كلما طعمت أو شربت ساخنًا.					

ذرائع الشرك – عفيف متعفف – العقل ينمو – هنيئًا بما صبرتم

		أ	ب	ج	د	هـ
٤٨	أشعر برقة في قلبي حين أزور القبور.					
٤٩	يحزنني أن أرى أحدًا يستعين بالمقبورين.					
٥٠	أتألم حين أرى أحدًا ينذر لغير الله.					
٥١	ألوم نفسي لومًا شديدًا إذا نسيت وأقسمت بغير الله.					
٥٢	أكره بناء الأضرحة والطواف حولها.					
٥٣	أستشعر مسئوليتي تجاه تعليم الناس آداب زيارة القبور.					
٥٤	أحب أن آكل طعامي من عمل يدي.					
٥٥	أعتقد أن التعفف رفعة لأصحابه في الدنيا قبل الآخرة.					
٥٦	لا يغيب عني أن أول من يدخل الجنة عفيف متعفف.					
٥٧	أعتقد أن للمرأة مكانة في الجنة تفوق مكانة الحور العين.					
٥٨	أرجو الله أن أكون من المتمتعين بنعيم الجنة.					

*****

حتمية العودة – تصريف الرياح – ورد التوبة – نعمة الأمن

		أ	ب	ج	د	هـ
٥٩	أستحضر طول موقف الحشر كلما كنت منتظراً قضاء أمر ما.					
٦٠	لا يغيب عني أنني سألقى الله مجرَّدًا من كل شيء إلا من عمل صالح.					
٦١	أستشعر عظمة الله في خلقه حينما أقرأ عن الرياح.					
٦٢	لا يغيب عني ما للرياح من دور في تلقيح النباتات.					
٦٣	أشعر بلطف الله بنا في تلطيف الرياح للجو من حولنا.					
٦٤	أحب أن أشرح لمن حولي دور الرياح في نزول المطر.					
٦٥	أوقن أن الرياح قد تكون نقمة على العصاة.					
٦٦	أعتقد أنه لا سعادة إذا ما غاب الأمن.					
٦٧	لا أحب أن أروِّع أحدًا ولو كنت مازحًا.					
٦٨	أومن أن الأمن يطلق قدرات الإنسان ومواهبه.					
٦٩	لا يغيب عني أن نعمة الأمن يحوزها من اتصل قلبه بالله تعالى.					

*****

ثالثًا: حساب الجوارح

اختر الخانة التي توافقك:

أ = دائمًا ب = غالبًا ج = أحيانًا د = نادرًا هـ = لا

في رحاب التفسير

		أ	ب	ج	د	هـ
١	أجتهد في تحصيل العلم ولا أتكاسل عن ذلك.					
٢	أذكِّر مَن حولي بأن أهل الباطل لا يتورعون عن رمي المصلحين بالتهم الباطلة.					
٣	أذكِّر من حولي أن جزاء المرء يكون من جنس عمله.					
٤	أعمل على تحسين أخلاقي والارتقاء بها.					
٥	لا آلو جهدًا في العمل على نصرة الإسلام والمسلمين.					
٦	أثبت على ديني وأرفض المساومة عليه مهما كانت الإغراءات.					
٧	أبذل ما في وسعي لدعوة من حولي إلى الخير.					
٨	ألتزم الصبر مع من أدعوهم إلى الخير.					
٩	أجتهد في تجنب المعصية تجنُّبًا للنار في الآخرة.					

*****

صيانة الشريعة – بريد الحب – بيعة مع الله – طهر ورداء

		أ	ب	ج	د	هـ
١٠	أجتهد في أن أكون مبدعًا في شئوني الدنيوية.					
١١	أوضح لمن حولي الفرق بين البدعة الدينية والبدعة الدنيوية.					
١٢	أقف عند ما شرعه الله دون زيادة أو نقصان.					
١٣	أبيّن لمن حولي أن البدع تتفاوت في أحكامها الشرعية.					
١٤	أتخير ألطف السبل في القضاء على البدع.					
١٥	أخبر من أحب بما أُكِنُّه له من حب وود.					
١٦	أحرص على أن أُهادي مَن حولي ولو بأشياء صغيرة.					
١٧	أشرح لمن حولي أثر الهدية في توثيق العلاقات.					
١٨	أتخير الهدية الملائمة في الوقت المناسب عند مهاداة الآخرين.					
١٩	لا أبخل بوقت أو جهد في دعوة الناس إلى الخير.					
٢٠	لا أنشغل بأعبائي الحياتية عن دعوة الناس إلى الخير.					
٢١	أخصص وقتًا للعمل الدعوي وألتزم به.					
٢٢	أربأ بنفسي عن إعطاء الدعوة ما يتبقى من أوقاتي فقط.					
٢٣	أذكّر نفسي بتجردي من الثياب بعد وفاتي كلما تجردت من ثيابي للاغتسال.					
٢٤	أذكّر من حولي بضعفنا بين يدي المُغسِّل بعد وفاتنا.					

*****

الإضافة والترك والالتزام – نعمة مغبون فيها

العدو الأول – الشفاعة طوق النجاة.

		أ	ب	ج	د	هـ
٢٥	لا أخلط بين البدع الحقيقية والبدع التي لها أصل شرعي.					
٢٦	لا أنكر على أحد بدعة مختلف في حكمها الشرعي.					
٢٧	ألفت من حولي إلى نعمة الصحة والعافية.					
٢٨	أسارع بطلب العلاج إذا مرضت أحدا بالأسباب.					
٢٩	ألتزم القواعد الصحية التي وضعها الإسلام وقاية من المرض.					
٣٠	أحرص على إعطاء أبنائي التطعيمات في أوقاتها المحددة.					
٣١	أداوم على عمل كشف دوري لي ولأفراد أسرتي كل فترة					
٣٢	أذكر من حولي بأهمية العناية بالصحة والمحافظة عليها.					
٣٣	أنبّه من حولي إلى أساليب الشيطان في الصد عن الطاعات.					
٣٤	أسبغ وضوئي ولا ألتفت إلى وسوسة الشيطان.					
٣٥	أستعيذ بالله ثم أتفل عن يساري إذا شعرت بوسوسة					
٣٦	أجتهد في إخلاص نيتي ولا أتوقف عن فعل الخير بدعوى					
٣٧	أداوم على أورادٍ من ذكر الله تعالى يوميًّا.					
٣٨	لا أتكاسل عن طلب العلم الشرعي وتحصيله.					
٣٩	أجتهد في التزام سنة النبي ﷺ.					
٤٠	أدعو الله أن يتقبلني في الشهداء.					
٤١	أواظب على تلاوة القرآن يوميًّا.					
٤٢	أحافظ على صيام النافلة تقرّبًا إلى الله تعالى					

حب في غير غلو – لا يحب المسرفين

الاستفادة المزدوجة – يصلونها بما كانوا يعملون

		أ	ب	ج	د	هـ
٤٣	أتقرب إلى الله بمحبتي للصالحين.					
٤٤	أجتهد في الالتزام بطاعة الله عسى أن أنال محبته وولايته.					
٤٥	أبيِّن لمن حولي أن الكرامات أقرّها الشرع الحنيف.					
٤٦	أذكّر من حولي أن الصالحين لا يملكون لأنفسهم أو لغيرهم					
٤٧	ألتزم الاعتدال والتوسط في كل نفقاتي.					
٤٨	أحرص على استثمار أوقات الفراغ بأفضل صورة ممكنة.					
٤٩	أدعو من حولي إلى استثمار أوقات فراغهم في هوايات					
٥٠	أجتهد في اكتشاف قدراتي وأعمل على تنميتها.					
٥١	أذكّر من حولي أن حسن استثمار الطاقات والمواهب يعود					
٥٢	أتخير الهوايات متعددة الفوائد عند ممارستي لها.					
٥٣	أذكّر من حولي بسواد النار إذا ما تواجدنا في مكان مظلم.					
٥٤	أحرص على تحري الحلال الطيب من الرزق.					
٥٥	أدعو الله مع كل صلاة أن يحميني من النار.					

*****

ذرائع الشرك – عفيف متعفف – العقل ينمو – هنيئًا بما صبرتم

		أ	ب	ج	د	هـ
٥٦	ألتزم آداب زيارة القبور عند زيارتها.					
٥٧	أجتهد في تبصير من حولي بآداب زيارة القبور.					
٥٨	أُحذِّر مَن حولي من الاستعانة بالمقبورين.					
٥٩	أبيِّن لمن حولي حرمة النذر لغير الله.					
٦٠	أحفظ لساني عن القسم بغير الله.					
٦١	أجتهد في أن أقوم بأعمال أتكسَّب منها.					
٦٢	أذكِّر من حولي بأن التعفف رفعة لصاحبه في الدنيا قبل الآخرة.					
٦٣	ألتزم خلق التعفف ولا أنظر إلى ما في يد غيري.					
٦٤	أبيِّن لمن حولي أن المرأة في الجنة أرفع مكانة من الحور العين.					
٦٥	أسأل الله الجنة مع كل صلاة.					

*****

حتمية العودة – تصريف الرياح – ورد التوبة – نعمة الأمن

		أ	ب	ج	د	هـ
٦٦	أسأل الله أن يخفف عني موقف الحشر.					
٦٧	أذكِّر مَن حولي بأننا سنلقى الله مجردين من كل شيء إلا من عمل صالح.					
٦٨	أحرص على تدبر آيات الله في حلقه.					
٦٩	ألفت انتباه من حولي إلى ما تقدمه لنا الرياح من خيرات.					
٧٠	أسأل الله إذا هبت الرياح أن يجعلها بشير خير لا نذير نقمة.					
٧١	أتجنب ترويع الآخرين ولو كنت مازحًا.					
٧٢	أبيِّن لمن حولي أن الأمن يُطلق قدرات الإنسان ومواهبه.					
٧٣	أطلب الأمن في الآخرة بالتزامي بتعاليم الإسلام.					

*****

حصيلة العقل

م	ا	ب	ج	د	م	ا	ب	ج	د	م	ا	ب	ج	د	م	ا	ب	ج	د
سورة القلم					٢٢					٤٣					٦٣				
١					٢٣					٤٤					٦٤				
٢					من مواهب العلم					صيانه الشريعه طهر ورداء					٦٥				
٣					٢٤					٤٥					٦٦				
٤					٢٥					٤٦					٦٧				
٥					٢٦					٤٧					دراله الشرك هينا كما صرم				
٦					٢٧					٤٨					٦٨				
٧					٢٨					٤٩					٦٩				
٨					٢٩					٥٠					٧٠				
٩					٣٠					٥١					٧١				
١٠					٣١					٥٢					٧٢				
١١					٣٢					الإصالة والترك .الشماعه					٧٣				
من رحيل لقصص الأنبياء					٣٣					٥٣					٧٤				
١٢					٣٤					٥٤					٧٥				
١٣					من حصاد الفكر					٥٥					٧٦				
١٤					٣٥					٥٦					حمية العوده نعمة الأمن				
١٥					٣٦					٥٧					٧٧				
١٦					٣٧					٥٨					٧٨				
١٧					٣٨					٥٩									
١٨					٣٩					٦٠									
١٩					٤٠					٦١									
٢٠					٤١					٦٢									
٢١					٤٢					حب في عو علو يصلوها									

أعطِ نفسك درجة لكل إجابة صحيحة وصفرًا للإجابة الخطأ

مجموع درجاتك =

اعرف عقلك

أكثر من ١٠٥	من ٩٣ إلى ١٠٥	من ٨٠ إلى ٩٢	من ٦٢ إلى ٧٩	أقل من ٦٢
ممتاز	جيد جدًا	جيد	متوسط	ضعيف

*****

رصيد القلب

م	أ	ب	ج	د	هـ
في رحاب التفسير					
١					
٢					
٣					
٤					
٥					
٦					
٧					
٨					
٩					
صيانة الشريعة . طهر ورداء					
١٠					
١١					
١٢					
١٣					
١٤					
١٥					
١٦					
١٧					
١٨					
١٩					
٢٠					
٢١					
٢٢					
الإصابة والترك .. الشفاعة طوق النجاة					
٢٣					

م	أ	ب	ج	د	هـ
٢٤					
٢٥					
٢٦					
٢٧					
٢٨					
٢٩					
٣٠					
٣١					
٣٢					
٣٣					
٣٤					
٣٥					
حب في غير علو .. يعملونها كما كانوا يعملون					
٣٦					
٣٧					
٣٨					
٣٩					
٤٠					
٤١					
٤٢					
٤٣					
٤٤					
٤٥					
٤٦					
٤٧					

م	أ	ب	ج	د	هـ
ذرائع الشرك . حسمًا كما صرم					
٤٨					
٤٩					
٥٠					
٥١					
٥٢					
٥٣					
٥٤					
٥٥					
٥٦					
٥٧					
٥٨					
حتمية العودة . نعمه الأمر					
٥٩					
٦٠					
٦١					
٦٢					
٦٣					
٦٤					
٦٥					
٦٦					
٦٧					
٦٨					
٦٩					

أعطِ نفسك درجات كالتالي:

أ	ب	جـ	د	هـ
٥	٤	٣	٢	صفر

تعرف على قلبك

أكثر من ٢٩٢	من ٢٥٨ إلى ٢٩٢	من ٢٢٤ إلى ٢٥٧	من ١٧٢ إلى ٢٢٣	أقل من ١٧٢
ممتاز	جيد جدًا	جيد	متوسط	ضعيف

حساب الجوارح

م	أ	ب	ج	د	هـ	م	أ	ب	ج	د	هـ	م	أ	ب	ج	د	هـ
في رحاب النفس						٢٦						٥٣					
١						٢٧						٥٤					
٢						٢٨						٥٥					
٣						٢٩						ذرائع الشرك هيهنا كما هم					
٤						٣٠						٥٦					
٥						٣١						٥٧					
٦						٣٢						٥٨					
٧						٣٣						٥٩					
٨						٣٤						٦٠					
٩						٣٥						٦١					
صيانة الشريعة طهر ورداء						٣٦						٦٢					
١٠						٣٧						٦٣					
١١						٣٨						٦٤					
١٢						٣٩						٦٥					
١٣						٤٠						حتمية العودة نعمة الأمن					
١٤						٤١						٦٦					
١٥						٤٢						٦٧					
١٦						حب في غير علو يعملون كما كانوا يعملون						٦٨					
١٧						٤٣						٦٩					
١٨						٤٤						٧٠					
١٩						٤٥						٧١					
٢٠						٤٦						٧٢					
٢١						٤٧						٧٣					
٢٢						٤٨											
٢٣						٤٩											
٢٤						٥٠											
الإضاعة والترك . الشجاعة طرق النجاة						٥١											
٢٥						٥٢											

أعطِ نفسك درجات كالتالي:

أ	ب	جـ	د	هـ
٥	٤	٣	٢	صفر

قيِّم أعمالك

أكثر من ٣٠٩	من ٢٧٣ إلى ٣٠٩	من ٢٣٧ إلى ٢٧٢	من ١٨٢ إلى ٢٣٦	أقل من ١٨٢
ممتاز	جيد جدًا	جيد	متوسط	ضعيف

حصيلة العقل

م	أ	ب	ج	د	م	أ	ب	ج	د	م	أ	ب	ج	د	م	أ	ب	ج	د
سورة العلم					٢٢					٤٣					٦٣				
١					٢٣					٤٤					٦٤				
٢					من جواهر العلم					حسابه السريعه طير ورداء					٦٥				
٣					٢٤					٤٥					٦٦				
٤					٢٥					٤٦					٦٧				
٥					٢٦					٤٧					دراهم الشرك. هسنا كما صيرهم				
٦					٢٧					٤٨					٦٨				
٧					٢٨					٤٩					٦٩				
٨					٢٩					٥٠					٧٠				
٩					٣٠					٥١					٧١				
١٠					٣١					٥٢					٧٢				
١١					٣٢					الإصابه والترث الشجاعه					٧٣				
من حين قصص الأسماء					٣٣					٥٣					٧٤				
١٢					٣٤					٥٤					٧٥				
١٣					من حصاد الفكر					٥٥					٧٦				
١٤					٣٥					٥٦					حسه العوده. عمه الأمر				
١٥					٣٦					٥٧					٧٧				
١٦					٣٧					٥٨					٧٨				
١٧					٣٨					٥٩									
١٨					٣٩					٦٠									
١٩					٤٠					٦١									
٢٠					٤١					٦٢									
٢١					٤٢					حب في غير علو. يصلوها									

أعطِ نفسك درجة لكل إجابة صحيحة وصفرًا للإجابة الخطأ

مجموع درجاتك =

اعرف عقلك

أكثر من ١٠٥	من ٩٣ إلى ١٠٥	من ٨٠ إلى ٩٢	من ٦٢ إلى ٧٩	أقل من ٦٢
ممتاز	جيد جدًا	جيد	متوسط	ضعيف

*****

حصيلة العقل

م	أ	ب	ج	د	م	أ	ب	ج	د	م	أ	ب	ج	د	م	أ	ب	ج	د
سورة القلم					٢٢					٤٣					٦٣				
١					٢٣					٤٤					٦٤				
٢					من جواهر العلم					صيانة السريرة . طهر ورداء					٦٥				
٣					٢٤					٤٥					٦٦				
٤					٢٥					٤٦					٦٧				
٥					٢٦					٤٧					درائه السرك هشا كا صرم				
٦					٢٧					٤٨					٦٨				
٧					٢٨					٤٩					٦٩				
٨					٢٩					٥٠					٧٠				
٩					٣٠					٥١					٧١				
١٠					٣١					٥٢					٧٢				
١١					٣٢					الإصافة والترك .الشجاعة					٧٣				
من رحيق قصص الأنبياء					٣٣					٥٣					٧٤				
١٢					٣٤					٥٤					٧٥				
١٣					من حصاد الفكر					٥٥					٧٦				
١٤					٣٥					٥٦					حتمية العودة نعمة الأمن				
١٥					٣٦					٥٧					٧٧				
١٦					٣٧					٥٨					٧٨				
١٧					٣٨					٥٩									
١٨					٣٩					٦٠									
١٩					٤٠					٦١									
٢٠					٤١					٦٢									
٢١					٤٢					حب في غير علو يصلوها									

أعطِ نفسك درجة لكل إجابة صحيحة وصفرًا للإجابة الخطأ

مجموع درجاتك =

اعرف عقلك

أكثر من ١٠٥	من ٩٣ إلى ١٠٥	من ٨٠ إلى ٩٢	من ٦٢ إلى ٧٩	أقل من ٦٢
ممتاز	جيد جدًّا	جيد	متوسط	ضعيف

*****

رصيد القلب

م	أ	ب	ج	د	هـ
في رحاب المسير					
١					
٢					
٣					
٤					
٥					
٦					
٧					
٨					
٩					
صيانة الشريعة طهر ورداء					
١٠					
١١					
١٢					
١٣					
١٤					
١٥					
١٦					
١٧					
١٠					
٢٠					
٢١					
٢٢					
الإضاءة والترك . الشجاعة طوق النجاة					
٢٣					

م	أ	ب	ج	د	هـ
٢٤					
٢٥					
٢٦					
٢٧					
٢٨					
٢٩					
٣٠					
٣١					
٣٢					
٣٣					
٣٤					
٣٥					
حب في عبر علو يصلونها كما كانوا يعملون					
٣٦					
٣٧					
٣٨					
٣٩					
٤٠					
٤١					
٤٢					
٤٣					
٤٤					
٤٥					
٤٦					
٤٧					

م	أ	ب	ج	د	هـ
دوافع الشرك هشا كما صرم					
٤٨					
٤٩					
٥٠					
٥١					
٥٢					
٥٣					
٥٤					
٥٥					
٥٦					
٥٧					
٥٨					
حتمية العودة نعمة الأمس					
٥٩					
٦٠					
٦١					
٦٢					
٦٣					
٦٤					
٦٥					
٦٦					
٦٧					
٦٨					
٦٩					

أعطِ نفسك درجات كالتالي:

أ	ب	جـ	د	هـ
٥	٤	٣	٢	صفر

تعرف على قلبك

أكثر من ٢٩٢	من ٢٥٨ إلى ٢٩٢	من ٢٢٤ إلى ٢٥٧	من ١٧٢ إلى ٢٢٣	أقل من ١٧٢
ممتاز	جيد جدًا	جيد	متوسط	ضعيف

حساب الجوارح

م		ب	ج	د	ه	م	أ	ب	ج	د	ه	ه	:	ب	ج	د	د
في رحاب النعمة						٢٦						٥٣					
١						٢٧						٥٤					
٢						٢٨						٥٥					
٣						٢٩						دوائر الشرك هيئا كما صرتم					
٤						٣٠						٥٦					
٥						٣١						٥٧					
٦						٣٢						٥٨					
٧						٣٣						٥٩					
٨						٣٤						٦٠					
٩						٣٥						٦١					
صيانة الشريعة طهر وورع						٣٦						٦٢					
١٠						٣٧						٦٣					
١١						٣٨						٦٤					
١٢						٣٩						٦٥					
١٣						٤٠						حتمية العودة ، حتمية الأمر					
١٤						٤١						٦٦					
١٥						٤٢						٦٧					
١٦						حب في غير علو ، يعملون ما كانوا يعملون						٦٨					
١٧						٤٣						٦٩					
١٨						٤٤						٧٠					
١٩						٤٥						٧١					
٢٠						٤٦						٧٢					
٢١						٤٧						٧٣					
٢٢						٤٨											
٢٣						٤٩											
٢٤						٥٠											
الإصابة والترك الشجاعة طرق النجاة						٥١											
٢٥						٥٢											

أعطِ لنفسك درجات كالتالي:

أ	ب	جـ	د	هـ
٥	٤	٣	٢	صفر

قيِّم أعمالك

أكثر من ٣٠٩	من ٢٧٣ إلى ٣٠٩	من ٢٣٧ إلى ٢٧٢	من ١٨٢ إلى ٢٣٦	أقل من ١٨٢
ممتاز	جيد جدًّا	جيد	متوسط	ضعيف

حصيلة العقل

م	أ	ب	ج	د	م	أ	ب	ج	د	م	أ	ب	ج	د	م	أ	ب	ج	د
[illegible]					٢٢					٤٣					٦٣				
١					٢٣					٤٤					٦٤				
٢					من جواهر العلم					حصاد السرعة [illegible]					٦٥				
٣					٢٤					٤٥					٦٦				
٤					٢٥					٤٦					٦٧				
٥					٢٦					٤٧					[illegible]				
٦					٢٧					٤٨					٦٨				
٧					٢٨					٤٩					٦٩				
٨					٢٩					٥٠					٧٠				
٩					٣٠					٥١					٧١				
١٠					٣١					٥٢					٧٢				
١١					٣٢					الإضافة والترك الشجاعة					٧٣				
من رحيق قصص الأنبياء					٣٣					٥٣					٧٤				
١٢					٣٤					٥٤					٧٥				
١٣					من حصاد الفكر					٥٥					٧٦				
١٤					٣٥					٥٦					[illegible] نعمة الأمن				
١٥					٣٦					٥٧					٧٧				
١٦					٣٧					٥٨					٧٨				
١٧					٣٨					٥٩									
١٨					٣٩					٦٠									
١٩					٤٠					٦١									
٢٠					٤١					٦٢									
٢١					٤٢					[illegible]									

أعطِ نفسك درجة لكل إجابة صحيحة وصفرًا للإجابة الخطأ

مجموع درجاتك =

اعرف عقلك

أكثر من ١٠٥	من ٩٣ إلى ١٠٥	من ٨٠ إلى ٩٢	من ٦٢ إلى ٧٩	أقل من ٦٢
ممتاز	جيد جدًا	جيد	متوسط	ضعيف

*****

أهم المراجع

- القرآن الكريم.
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير.
- في ظلال القرآن، سيد قطب.
- فتح الرحمن في تفسير القرآن، د. عبد المنعم تعيلب.
- نظرات تربوية حول الجزء الثلاثين من القـــرآن الكـــريم، فـــؤاد الهجرسي.
- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري.
- الصحيح، مسلم بن الحجاج النيسابوري.
- السنن، محمد بن عيسى الترمذي.
- السنن، أحمد بن شعيب النسائي.
- السنن، أبو داود سليمان بن الأشعث.
- السنن، ابن ماجه محمد بن يزيد.
- المسند، أحمد بن حنبل.
- الموطأ، مالك بن أنس.
- المسند (سنن الدارمي)، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي.
- موسوعة الحديث الشريف، شركة حرف لتقنية المعلومات.
- تخريج أحاديث الإحياء، الحافظ العراقي.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة

الناس، الإمام إسماعيل العجلوني.

- صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني.
- ضعيف الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر العسقلاني.
- شرح صحيح مسلم، الإمام النووي.
- المغني، ابن قدامة .
- المجموع شرح المهذب، الإمام النووي.
- فقه السنة، السيد سابق.
- الفقه الواضح، د. محمد بكر إسماعيل.
- الفقه على المذاهب الأربعة، الشيخ عبد الرحمن الجزيري.
- الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي.
- أحكام الصلاة، محمد حسين.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم.
- غزوة أحد، وغزوة الأحزاب، وغزوة تبوك، محمد أحمد باشميل.
- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري.
- فقه السيرة، محمد الغزالي.
- السيرة النبوية دروس وعبر، د. مصطفى السباعي.
- الفتاوى الكبرى، ابن تيمية.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي.
- مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي.
- الداء والدواء، ابن القيم.

أهم المراجع

- التذكرة، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي.
- مدخل لمعرفة الإسلام، د. يوسف القرضاوي.
- الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي.
- عقيدة المسلم، محمد الغزالي.
- الإيمان، محمد نعيم ياسين.
- حقيقة التوحيد، د. يوسف القرضاوي.
- مجموعة الرسائل، حسن البنا.
- البيعة، د. عبد المنعم تعيلب.
- فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين، جمعة أمين.
- المنطلق، محمد أحمد الراشد.
- فقه الدعوة الفردية، علي عبد الحليم.
- فقه الدعوة ملامح وآفاق، د. يوسف القرضاوي.
- موسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني محمد.
- العشرة الطيبة مع الرجل، محمد حسين.
- مشروع برنامج تربوي إسلامي، د. عبد الحي الفرماوي.
- النباتات والحيوانات كغذاء ودواء، د.جمال الدين حسين.
- لسان العرب، ابن منظور.

*****

الفهـــرس

هذا الكتاب

■ التربية الدينية مادة يدرسها الصغار في المدارس في جميع المراحل التعليمية لتنشئهم وفق تعاليم الإسلام وموازينه وتصوراته وأحكامه.

وتنتهي أيام المدارس، ولكن مناهج الإسلام لا تنتهي، وحاجة الإنسان لاستكمال التعرف على أحكام الإسلام وتوجيهاته لا تنتهي، بل تتزايد مع ازدياد متطلبات الحياة في البيت والشارع والعمل، مع الأهل والجيران والأبناء.

وهنا تأتي أهمية هذه السلسلة **"في رياض الجنة"** التي صيغت في استكمال التفقه في الدين.

ومثل كل مناهج التربية الإسلامية في جانبها التثقيفي، فإن كل وحدة من وحدات هذه السلسلة تحتوي على فقرات متعددة في التفسير، والسيرة، والفقه، والمعاملات، والتزكية، وغيرها.

وقد استعان كاتب هذه السلسلة بالتكنولوجيات الحديثة المتمثلة فى توافر العديد من أمهات المراجع الإسلامية على أقراص الليزر، بحيث استعرض من كافة ما ورد فيها مما له صلة بما يطرحه من موضوعات واقتطف ما وجده ملائما للقارئ بأسلوب شيق ويسير.

وقد احتفظ الكاتب لسلسلته شجرة من الأهداف التربوية العديدة انبثق منها العديد من الأغصان والأوراق التى تبني في المسلم الذي يتابع تعلم ما جاء بهذه السلسلة والعمل بها كافة جوانب الشخصية الإسلامية المعاصرة القادرة على مواجهة متطلبات العصر والمرشحة لنيل رضوان الله سبحانه وتعالى.

دكتور
محمد احمد يحيى

